ماساجي إيشيكاوا RiVER in AKNESS هروب رجل من كوريا الشمالية Telegram:@mbooks90

ماساجي إيشيكاوا

A RIVER IN DARKNESS



هروب رجل من كوريا الشمالية



Telegram:@mbooks90

تمهيد

ما الذي أنذكَّره من تلك الليلة؟ ليلة هربي من كوريا الشمالية، ثُمَّة أشياء كثيرة جدًّا لا أتذكرها، فهي أشياء أبعدتُها عن ذاكرتي للأبد... لكن سأخبركم بما أستحضره.

يتساقط الرذاذ، لكنه سرعان ما يتحوّل إلى مطر جارف غزير، حتى إني صرت غارقًا بالمطر، أتهاوى محتميًا بأجمة، عاجزٌ تمامًا عن قياس مرور الوقت، مُرهقٌ غاية الإرهاق.

غاصت ساقاي في الوحل، لكن بطريقةٍ ما، أزحف خارجًا من تحت الأجّمة، ومن خلال فروعها، يمكنني رؤية نهر «يالو» أمامي، وقد ثغير واستحال ثمييزه. صباح اليوم كان الأطفال يخوضون في ما كان أكبر قليلًا من مجرد مجرّى مائي، لكن شلال المطر المنهمر حوَّله إلى تيار عارم يتعذَّر اجتيازه.

وعلى الجهة المقابِلة من النهر، على بعد ثلاثين ياردة تقريبًا، يمكنني تبين الصين، وهي محجوبة خلف غلالة رقيقة من الضباب. «ثلاثون ياردة» المسافة بين الحياة والموت. تعتريني رعدة، أعرف أن أعدادًا لا تُحصَى من الكوريين الشماليين وقفوا هنا قبلي، وهم يرنون بأبصارهم إلى الصين الرابضة تحت جُنَّح الظلام، وفي أذهانهم تطوف ذكريات الأشخاص الذين تركوهم خلفهم، أشخاصٌ يتضورون جوعًا، مثل الذين

تركتُهم، ما الذي كان يمكنهم فعله غير هذا؟ أحدُّقُ إلى التيار وأتساءل عن عدد الذين نجحوا منهم.

لكن مجددًا، ما الفرق الذي قد يُحْدِثه تساؤلي؟ إذا بقيت في كوريا الشمالية فسأموت من الجوع، الأمر بهذه البساطة، على الأقل بهذه الطريقة توجد فرصة، فرصة لنجاحي وتمكّني من إنقاذ أُسُرتي أو على الأقل مساعدتهم بطريقة ما. لطالما كان أطفالي سببًا لحياتي، وإن أكون ذا نفع لهم وأنا ميّت، لكنني ما أزال عاجزًا عن تصديق ما أنا مقبل على فعله. كم يومًا انقضى منذ أن قررتُ الهروب عبر الحدود، والعودة إلى مسقط رأسي؟

أفكر بالأمر مليًّا.

أربعة أيام... تبدو كحياة بأكملها، غادرتُ المنزل قبل أربعة أيام، تطلَّعتُ إلى وجه زوجتي وأطفالي للمرة التي كنت أعرف أنها قد تكون الأخيرة، لكن لم يكن بمقدوري السماح لنفسي بالتفكير هكذا، إذا كنت سأحصل على فرصة لمساعدتهم، كان عليَّ أن أغادر ما دمتُ أمثلك القوة على الهروب، أو أموت وأنا أحاول.

وما الذي أكلتُه منذئذٍ؟ بضع قشور ذرة حلوة دون بذور، ولبّ تفاحة ذابلة، وهو بعض الفتات الذي جمعته من قمامة أشخاص آخرين.

بحثت عن الحرَّاس الذين أعرف أنهم يتربَّصون كلّ خمسين ياردة أو نحوها على ضفة النهر، وتجهَّزت للموت من الإنهاك التام أو الغرق في أثناء محاولتي عبور النهر، لكن ما كنت لأسمح للحراس بالإمساك بي، كلّ شيء عدا الإمساك بي.. اندفعتُ غائصًا في النهر.

لا تزال آخر كلماتي لأُسْرتي ترنُّ في أَذنَيَّ، وإذا نجحتُ في الهروب، بطريقةٍ أو بأخرى سآتي بكم إلى هناك، مهما كلف الأمر».

الفصل الأول

إنَّك لا تختار أن تولد، بل تولد فحسب، يقول بعض الناس: إنَّ ميلادك هو قَدَرك، وأقول: فليذهب ما يقولونه إلى الجحيم، أعرف هذا تمام المعرفة، لم أولد مرة واحدة فحسب، بل خمس مرات، وفي المرات الخمس تعلمت الدرس نفسه: في حياتك أحيانًا عليك أن تمسك بتلابيب قدرك المزعوم، وتدقّ عنقه.

اسمي الياباني «ماساجي إيشيكاوا»، واسمي الكوري «دو تشان سون»، وُلِدتُ -أول مرة- في حي «ميزونوكوتشي» بمدينة «كواساكي»، الواقعة إلى الجنوب قليلًا من «طوكيو». وكان من سوء طالعي أن أولد بين عالَمَين، لأب كوري وأم يابانية. «ميزونوكوتشي» منطقة تلال معتدلة الانحدار، صارت الآن تكتظ في عطلات نهاية الأسبوع بالزوَّار من «طوكيو» و«يوكوهاما»، أولئك الذين يسعَون للهرب من المدينة وتَنشُّقِ بعض الهواء النقيّ، لكن قبل ستين عامًا، عندما كنت طفلًا، لم تكن تضم سوى مزارع قليلة، فيها قنوات للرَّيُّ تَسْتَمِد مياهها من نهر «تاما» القريب.

لم تكن قنوات الرَّيِّ عندئذٍ تُستخدَم للرَّيِّ فحسب، بل للأعمال المنزلية أيضًا كغسل الملابس وأواني الطعام. في صباي كنت أمضي أيام الصيف الطويلة في اللعب بالقنوات، أستلقي في وعاء غسيل كبير وأطفو على الماء طوال مدة العصر، أتنعم بأشعة الشمس وأشاهد الغيوم وهي تعبر

صفحة السماء، وقد جعلت الحركة البطيئة ثلك الغيوم العابرة نبوس عيني الطفل الذي كُنته مثل رقعة شاسعة من البحر، وكنت أتساء عما قد يحدث إذا تركث جسدي ينجرف مع الغيوم، هل يمكن أن أعبر البحر وأصل بلدًا لم أعرفه قط، ولم أسمع به حتى؟ وفكرت بالقرص اللامتناهية لمستقبلي. أردث مساعدة الفقراء -من أمثال أسرتي عي أن يصبحوا أغنى، حتى يمكنهم أن يحظوا بوسائل الاستمتاع بحيواتهم وأردت أن يعم السلام العالم، وحلمت بأنني سأصبح رئيس وزراء اليابان ذات يوم، يا لسذاجتي!

كنت أتسلَّق تلَّة مجاوِرة وأصطاد المنافس في ندى الصباح الباكر، وفي أوقات المهرجانات أتبع الضريح المحمول وأرقص واضعًا قناع الأسد.

جميع ذكرياتي جميلة، كانت أسرتي فقيرة، لكن أيام طفولتي في «ميزونوكوتشي» كانت أسعد أيام حياتي، وحتى الآن تفيض عيناي بالدمع عندما أفكر بمسقط رأسي، أنا على استعداد للتخلي عن أي شيء لأعود إلى ذلك الزمن الجميل، لأشعر بالبراءة والأمل مرة أخرى.

كانت هناك قرية على تخوم «ميزونوكوتشي»، يعيش فيها ترابه مئتي كوري، اكتشفت لاحقًا أنَّ معظمهم أُحضِروا عَنوة بطريقة أو بأخرى من كوريا، من أجل العمل في مصنع الذخيرة المجاور، وكان والدي «دو سام دال» أحدهم، ولد في مزرعة بقرية «بونغتشون ري، في كوريا الجنوبية حاليًا، واغتُصِبت حريته وهو في سن الرابعة عشرة، وجُلب إلى «ميزونوكوتشي».

لكنني لم أكن أعرف أنَّ لي أبًا إلى أن دخلت المدرسة الإعدادية، وليست لديَّ ذكريات عنه إطلاقًا، وفي الواقع صرت مدركًا لوجود أبي أول مرة عندما اصطحبتني أمي إلى مكان غريب -اكتشفت لاحقًا أنه

كان سجنًا- لزيارة رجل لم أتعرّف عليه، أخبرتني أمي في ذلك اليوم مَنْ كان أبي. وفي النهاية جاء الرجل الذي رأيتُه عبر نافذة صالة الزوار إلى منزلنا، وقد كان سيّئ الصبت في المنطقة بكونه رجلًا قاسيًا، وكان أقاربي يتحاشونه.

لم يكن يمكث في المنزل إلا إمامًا، لكنه متى ما جاء، كان يقضي معظم وقته في معاقرة مشروب كحولي ذي رائحة نفاذة، وكان بمقدوره إنهاء لتركين من الساكي خلال وقت وجيز، والأنكى من هذا، سواء كان ثملًا أم لا، أنه كان يضرب أمي متى ما جاء إلى المنزل، وتنكمش شقيقاتي من الرعب في أحد الأركان، حاولت إيقافه بالتشبث بساقه، لكنه دائمًا ما كان يركلني بعيدًا، وكانت أمي تحاول ألا تبكي بصوت مسموع، وتحتمل الألم وهي تكزُّ بأسنانها، تملكني اليأس والخوف حيالها لكنني كنت قليل الحول والحيلة. وبمرور الوقت، صرت أبذل ما بوسعي لأبتعد عنه، الأمر الذي لم يكن صعبًا؛ لأنه لم يكن يعبأ بي كثيرًا، لكن خطر لي أكثر من مرة أننى سوف أنتقم منه عندما أكبر.

أمي اسمها «مييوكو إيشيكاوا»، ولدت عام 1925، كان والداها يديران متجرًا في ركن شارع التسوق القديم، حيث كانا يبيعان الدجاج، وجدتي «هاتسو» هي التي كانت تدير المحل، وقد كان عملها شاقًا وقذرًا، فلحم الدجاج لم يكن يُقطع ويُعبًّا بعناية ونظافة كما هو الحال اليوم.. إطلاقًا. كانت الأقفاص مبعثرة بحيث يختلط الحابل بالنابل أمام المتجر، وعندما يظهر زبون، تُخرِج جدتي دجاجة زاعقة من قفصها وتذبحها في الحال.

عانت جدتي الربق؛ لذا كثيرًا ما كانت تداهمها نوبات السعال، وكانت كلما لمحتني قادمًا من المدرسة أو من اللعب في مكان ما، تُقوس ظهرها وتقول: «مابو، أيمكنك أن تفرُك ظهري؟»، فكنت أمسح ظهرها الصغير وأدلُكه بضع دقائق، وفي أثناء هذه الأوقات ونحن معًا، دائمًا ما كانت تقول لي: «أنت فتى لطيف، يجب ألا تكون مثل أبيك، لا أفهم لمازا ارتكبت أمك خطأ الزواج به؟!»،

كنت أفهم سبب استخدامها كلمة «خطأ»، فقد كانت عائلة «إيشيكاوا، كريمة المَحْيَد وتاريخها عريق في المنطقة، وكانت هناك عدة أفرع من عائلة «إيشيكاوا» في «ميزونوكوتشي»، وكونوا مع السكان المحليين جماعة تربطها صلات وثيقة، توفي جدي «شوكيتشي» قبل مولدي، لكن لطالما قبل لي إنه كان رجلًا صالحًا لطيفًا يعتني بأسرته وبالآخرين في بلدته، أدخل أمي مدرسة البنات الثانوية وشجّعها على تعلم العياكة، وبالرغم من أنّ الأسرة لم تكن توصف بالثراء، فقد بذل ما بوسعه ليوفر لأطفاله تعليمًا من نوع ما،

كانت أمي امرأة ذات شخصية قوية، وجهها بيضاوي جميل بصفة خاصة، وأبي -من ناحية أخرى- كان ذا عينين حادًتين كشفرة حلاقة، قوي البنية، ومفتول عضلات الكتفين، لا أعرف ما الذي رأته أمي فيه، ربما انجذبت لثقته بنفسه وغريزته القوية في البقاء، أعرف أنَّ مجتمعنا المحلي صُعق عندما بدآ يعيشان معًا، وكان الناس يطلقون عليهما سرًا الجميلة والوحش، ويتساءلون عن سبب زواجها برجل فظيع مئله.

قالت جدتي لي ذات مرة: إنّ «الكوريين همجيُّون»، كنت أحبها لكنني امتعضت من تعليقها، ورغم أنني كنت أشعر بأنني ياباني -بقناعة راسخة - فقد كنت نصف كوري، وهو الأمر الذي كانت تعلّمه جدتي تمام العلم، وكان شقيقا أمي الأكبر منها «شيرو» و«تاتسوكيتشي» يقولان تعليقات مشابهة من حين لآخر، كانا قد جُندا ليخدما في الجيش الياباني في «منشوريا»، ودائمًا ما كانا يصفان الكوريين بأنهم فقراء وشعند كمجموعة من الغوريلات، ولم يتحلّيا بالجرأة قطّ ليقولا شيئًا كهذا أمام كمجموعة من الغوريلات، ولم يتحلّيا بالجرأة قطّ ليقولا شيئًا كهذا أمام أبي، بطبيعة الحال، لكن في غياب أبي، عادةً ما كان «شيرو» يقول: «من

الإنطاع، ورغم أنني دائمًا ما كنت أشعر بوخزة من الضيق عندما يقول النخاع، ورغم أنني دائمًا ما كنت أشعر بوخزة من الضيق عندما يقول أشياه كهذه، لم يشغبي سوى الانفاق معه. كنت أشعر بنفور بالغ من أبي، الذي قطعًا كان يعزز سمعة الكوريين بالهمجية متى ما ضرب أمي، ونظرًا لأننا كنا نراه يعذبها يومًا بعد يوم -وكان ذلك يرعب أخواتي حتى الموت- لم يكن من المفاجئ أن أبدأ، مثل جدتى، في كراهية الكوريين.

كان أبي يتبختر في الحي وفي أعقابه عشرين أو ثلاثين من أتباعه الكوريين، فقد كان من أبرز الزعماء المسيطرين في المجتمع الكوري، وكان يستمتع بافتعال المشاجرات مع أيّ ياباني يزعجه.. أيًّا كان، سواء كان شرطبًا خاصًا أم من الشرطة العسكرية، كان الكوريون يعتمدون على حمايته، لكنه كان يرعب اليابانيين أيّما رعب.

دائمًا ما كان أبي يُصِرُ على فعل أيّ شيء بطريقته الخاصة، افتتح بعد نهاية الحرب العالمية الثانية مع عدد من أتباعه، كُشكًا على جانب الشارع لبيع البضائع في السوق السوداء، كانوا يبيعون الأطعمة المعلّبة المصنّعة في مصنع الذخيرة الذي يعمل فيه أبي، بالإضافة إلى السُّكُر Telegram:@mbooks90 والدقيق وبسكويت السفن والملابس، وأشياء أخرى تُشتَرى بطريقة غير والدقيق وبسكويت السفن والملابس، وأشياء أخرى تُشتَرى بطريقة غير قانونية من الجنود الأمريكيين، وذات يوم دخل أبي ورفاقه في شجار كبير مع بعض الجنود الأمريكيين بسبب البضائع التي كان يبيعها، فشمعته السيئة لم تأتِ من فراغ.

ليس الأمر وكأن أبي كانت لديه خيارات كثيرة، فهزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية خلّفت 2.4 مليون كوري في اليابان وقد تقطّعت بهم السُبُل، لا ينتمون إلى الطرف المنتصر ولا المنهزم، دون مكان يذهبون إليه، وحالمًا أُطلِق سراحهم، أُلقِي بهم في الشوارع ببساطة، ووجدوا أنفسهم يائسين ومُعُوزين، بلا وسيلة لكسب العيش، فصاروا

يهاجمون الشاحنات المُحمَّلة بالطعام الذي في طريقه إلى القوان المسلحة للإمبراطورية اليابانية، ويبيعون الغنائم في السوق السوراء, وحتى الذين لم ينخرطوا في أعمال عنف من قَبْل قط، لم يكن لديهم خيار سوى التحوَّل إلى خارجين عن القانون.

وبطريقة غريبة، حررت هذه الأفعال غير المشروعة أولئك الناس. ففي أثناء الحرب لم يكن أمامهم سوى خيارين قاتِمَيْن: إما أن يصبحوا جنودًا في جيش أعدائهم، أو يُستعبدوا بوصفهم عمال حرب مدنيين يُرسَل الجنود إلى الخطوط الأمامية ليُستخدموا دروعًا بشرية ضر القذائف، والعمال يكدُّون في العمل حتى الاستنزاف - وأحيانًا الموت في مناجم الفحم أو مصانع الذخيرة؛ لذا كانت حياة الخارج عن القانون نوعًا من التحرر، Telegram:@mbooks90

وفي مرحلة ما، انضم أبي إلى ما كان يُعرف عندئذِ بالاتحاد العام للكوريين في اليابان، الذي صار يُعرف لاحقًا بجمعية الكوريين المقيمين في اليابان، وكان هذا المجتمع الكوري في اليابان يؤيد مبدأ الصداقة بين الشعبين الياباني والكوري، ويجاهد لمساعدة الكوريين في عيش حياة مستقرة ومنتظمة في اليابان، لكن الأمر لم يكن بالبساطة التي بدا عليها، فمنذ ما قبل الحرب العالمية الثانية، كان العديد من الكوريين من أصحاب «الإقامة الدائمة» على علاقة بالحزب الشيوعي، وقد كانت السياسات الشيوعية مناوئة للإمبريالية، ونظم الحزب حملات من أجل حقوق الكوريين المقيمين إقامة دائمة، وبعد الحرب، بعد وقت ليس بالطويل من تأسيس الاتحاد، أُطلِق سراح شيوعي شهير اسمه ،كبم تشون هاي»، إلى جانب عدة أعضاء آخرين في الحزب الشيوعي، وكان هؤلاء الأفراد قد ظلّوا متحدين في السجن ورفضوا تغيير أفكارهم، وبعد إطلاق سراحهم، كان لهم تأثير قوي في الاتحاد، الذي أصبح يساريًا

-بطبيعة الحال- نتيجة لذلك، لكن المبدأ الأساس الذي كان يحكم سلوك أبي حينذاك لم يكن له علاقة بالاشتراكية، إذ كانت القومية هي الشيء الأمم بالنسبة إليه.

لم يكن هناك -من منظوري- اختلاف كبير بين حركة اشتراكية وحركة قومية، وشجار عنيف في السوق السوداء، فجميع هؤلاء الناس يشتركون في أمرين: جميعهم لديهم تاريخهم الشخصي في اليابان، وجميعهم فقراء، ولم يُريدوا سوى تأكيد وجودهم، الأمر الذي كان يعني القتال كيفما استطاعوا لكسب شكل من أشكال السُلطة.

كان أبي يُعرف بـ «النمر» في الاتحاد، ولا عجب، كانت لديه «قوة قتالية» من مقاتلي الشوارع الأوفياء، وهُم -في الواقع- مجموعة رجال يجتمعون أمام متجر قديم ويشعلون نارًا في سطل معدني، ويتجرَّعون المشروبات الكحولية طوال اليوم، لا أدري إن كانوا يناقشون المشكلات في السوق السوداء أو ينتظرون طلب «قوَّتهم القتالية»، لكن متى ما حدث شيءٌ وطُلِب حضورهم، يتداعون خِفافًا للقتال ويُهرَعون إلى مسرح الحدث.

وفي النهاية انهار عالم أبي، إذ صُنف الاتحاد العام للمقيمين الكوريين جماعة إرهابية وأمر بحله عام 1949. عملت جمعية الكوريين في اليابان بديلًا للاتحاد بالنسبة إلى كثيرين، لكن الزمن تغير، فبحلول ذلك الوقت، استعيد النظام العام، وببساطة لم تعد ثمة حاجة إلى مقاتل شوارع متهور ضعيف التعليم مثل أبي، كانت الجمعية التي أسست حديثًا حينئذ بحاجة إلى إداريين مَهرة، ولم يعد هناك مكان لأبي -الذي حتى لم يكن قادرًا على القراءة – في النظام الجديد، لا يسعني إلًا أن أن عما إذا كان رفض تلك المجموعة له، هو ما جعله في النهاية

أكثر تصديقًا للوعود التي سمعها عن الحياة العظيمة المُنتَظَرة في كوريا الشمالية...

تحضرني مزيد من الذكريات هذه الأيام، وأحيانًا أتمنى لو أنني لم أتذكرها.

لديّ ثلاث شقيقات أصغر مني - «إيكوو»، «هيفوميو»، «مأساكو» لكننا لم نعِش معًا كثيرًا في اليابان، فلأن أُسْرِتنا كانت فقيرة جدًّا، أبعِدنا عن بعضنا وأُرسِلنا إلى منازل أقاربنا لكي يتشاركوا مهمة الاعتناء بنا، ومن ثم تخفيف العبّ، وقد تغيّر هذا الوضع في سنتي الأخيرة من المدرسة الإعدادية عندما انتقلنا جميعًا إلى «ناكانو» في «طوكيو». كان أبي قد قرر الحصول على عمل في مجال البناء، أو هذا ما قاله، أعرف أننا اضطررنا للانتقال بعجلة شديدة، حتى إننا لم يتسنَّ لن الوقت لتوديع جيراننا، واضطررنا لترك جَدَّتنا الحبيبة خلفنا.

رغم أنني كنت قلقًا في البداية بشأن تَرْك كلّ ما أعرفه والانتقال إلى مكان لم أرّه قطّ، إلا أنني كنت سعيدًا بحياتنا الجديدة في البداية. بدأنا نعيش كأُسرة حقيقية، كنا نستيقظ معًا في الصباح ونخلد للنوم معًا في الليل، وكنا نتناول العشاء معًا، وكان لدينا روتين أُسَري، عَنْت هذه الأشياء الصغيرة لي الكثير، ففي النهاية، الأشياء الصغيرة هي التي عادة ما تربط العائلات معًا بروابط الحب الأسري، لكن تلك الأوقات السعيدة نُسفت قبل أن تبدأ تقريبًا، لم يمر وقت طويل قبل أن يعود عُنف أبي أسوأ من ذي قبل.

في غضون أسابيع من وصولنا، عاد أبي للشراب مجددًا، يبدأ حالمًا يعود إلى المنزل في نهاية اليوم، يعاقر الشراب حتى تُنحَت على وجهه تقطيبة قاتمة، وعندما يحدث هذا، تعزل أمي شقيقاتي معي في الغرفة المجاورة، فنقف حيث نحن عاجرين ونستمع إلى المحتوم الذي سيقع.

صوته الوحشي وهو يُعنَف أمّنا، وصوت ضربه لها، وصوته وهو يحاول إخماد صرخاتها الممزوجة بدموعها، حدث الأمر نفسه ليلة تلو ليلة، غالبًا ما كنت أعجز عن فهم ما يقوله لها، لكن أيًّا كان، لم يبدُ قطّ أنها تقاومه، تبكي فحسب. حاولتُ عدة مرات أن أقتحم الغرفة لإيقاف أبي، حتى إنني عضضت ساقه ذات مرة، لكنه كان يركلني مُلقيًا بي على الأرض ببساطة، فتتمدد أمي فوقي؛ لتحميني بجسدها، وأخيرًا يملُّ أبي أو يُضعِفه السُكْر، فيترنَّح خارجًا من المنزل ويختفي في ظلام الليل، فنقتَعِدُ أنا وأمي وشقيقاتي الأرضية، رابضين معًا، وننتحب بصمت.

سمع أحد الجيران الصرخات ذات ليلة وتدخَّل، وفوجئ أبي لوهلة، لكنه سرعان ما أمسك بخناق الرجل، ودفعه إلى الجدار، وأوسعه ضربًا حتى أفقده الوعي، فلم يأتِ أحدٌ إلى منزلنا بعد ذلك أبدًا.

لم تزدد الأمور إلا سوءًا منذئذ، عندما يعود أبي في وقت متأخر من الليل، يوقظ أمي، لا لشيء سوى أن يتمكن من ضربها مجددًا، أرتعب كل ليلة عندما أرى وجهه الجنوني، كان النظر إليه كالنظر إلى وجه شيطان، حتى إنني كنت أعجز عن النوم، غير قادر على إبعاد وجهه من مُخيّلتي، وإذا تمكنت من النوم بالفعل، كانت تراودنى الكوابيس عنه.

ومن ثُمَّ حلَّت الليلة الأسوأ، كان فصل الخريف، وكنت في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة، جاء أبي إلى المنزل ثملًا تمامًا كالعادة، لكن هذه المرة، لم يفُه بكلمة، قصد العطبخ وعاد وفي يده سكين، وضعها على عنق أمي وأرغمها على الخروج من المنزل، وعرّفت أنني عليً اللحاق بهما.

اختبأتُ خلف أجَمَة وشاهدت أبي وهو يُرغِم أمي على صعود تلة شديدة الانحدار تتخللها حُفَر، كان يُستخرَج منها التراب لاستخدامه في أعمال البناء، تبعتهما في الظلام وأبي يُرغم أمي على السير إلى حافة منحدر، ارتعشت من الخوف لمرأى وميض السكين في الليلة الطلمان أطلقَ صيحة عالية ودفعها دفعة قوية، فصرختُ وهي تتقهقر مترنّعة ثم طاحت من فوق الحافة، ظل أبي واقفًا في مكانه هنيهة، والسكين و تزال تومِض في يده وهو ينظر إلى الأسفل من مكانه العالي، ثم سار بخطوات قوية ناحية المنزل.

هُرعتُ إلى التلة، إلى الحافة التي رأيت أمي تسقط منها. لم يك بمقدوري تبيُّن مدى ارتفاعها، لكنني قفزت من فوق الحافة على إي حال، ولحسن الحظ، كانت التربة هشَّة، فلم يلحق بي أذى، وحدت أميًّ متمددة كدُمية مكسورة، وملابسها ملطحة بالدماء، فرفعتها مُسْنزاً إياها، صائحًا: «يجب ألَّا تموني! لا تموني وتتركيني! لا يمكنك أن تموتي وتتركيني الآن! *، واستعادت وعيها أخيرًا، فقالت وأنا أحتضنها: •ماسابو. عليَّ أن أغادر، سوف يقتلني إذا لم أغادر، عليك أن تكون قويًّا،، فشعرت بالعجز واليُّتم وأنا أنشبُّت بها، فقد كانت كل شيء بالنسبة إلى. الشخص اللطيف الوحيد في حياتي، لكنني كنت أعلم أنها ليس أمامها خيار آخر. ساعدتها في السير في الظلام وهي تعرج، واقتحمتُ باب المستشفر

الذي بجوار محطة السكة الحديدية وأيقظت الطبيب الذي كان رحلا لطيفًا عالج إصاباتها دون تردد، والمعجزة أنها لم تحتج إلى تُطهة وأحدة.

قعدنا معًا لاحقًا على مقعد جوار المحطة، في صمت، بانتظار أون قطار يتحرك، فقالت أمى فجأة:

لا تقلق، سوف أكدُّ في العمل وأدُخر بعض المال، ثم سأعود من أجلك ومن أجل شقيقاتك: لذا انتظروني حتى ذلك الحين

ثم راحت تنتحب فحسب، بهدوء شديد. كان وحهها نحيلًا وشاحبًا كما لم أره من قبل، وبدت خاوية، أردت أن أكور قويًّا. لكن ها هي دي، تعطيها الجروح والكدمات، وما من شيء يمكنني قعله، فشرعتُ أما أيضًا في المكاء من الإحباط واليأس الشديدين. لماذا تمرُّ بمثل هذه المحمة الفطيعة؟ لِمَ يكرهها أبي لهذه الدرجة؟ فهي في غاية الرقة واللطف، لم يبدُ الأمر منطقيًا لي.

نهضت أمي عندما توقف القطار في المحطة، وعانقتني عناقًا سريعًا، وسارت مبتعدة، واستدارت ولوَّحت لي من عند حاجز التذاكر، ثم تهاديتُ بخطى متثاقلة إلى منزلنا، شاعرًا بالخَدَر، والذهول، والوحدة المطلَقة.

تصرّف أبي كأن شيئًا لم يحدث، وما زاد الطين بِلَّة، انتقال عشيقته إلى المنزل بعد وقت قصير من مغادرة أمي، كان اسمها «كانيهارا»، وهي كورية كأبي، كانت شريرة وقاسية، لا سيما مع شقيقاتي، لكن أبي لم يضرب «كانيهارا» قط ولا مرة، وفي واقع الأمر فوجئت بأنهما كانا يبدوان شغوفين ببعضهما، كانا يضحكان ويبتسمان لبعضهما باستمرار، وقد أشعرني سلوكهما بالغثيان، حاولت أن أتحلّى بالقوة، لكن شقيقاتي كنّ يفتقدن أمي بشدة ويبكين كل ليلة، وعندما يبكين، تصفعهن «كانيهارا» وتوبّخهن بعنف، الأمر الذي كان يجعلهن يفتقدن أمى مزيدًا من الافتقاد.

تخلّيتُ عن الذهاب إلى المدرسة، وبدلًا منها صرت أجوب نواحي وطوكيو، يوميًا، بحثًا عن أمي، كنتُ أصعد كل صباح على متن القطار وأنسرِب في الطرقات لساعات دون توقف، واستمر هذا الحال نصف سنة على الأقل، بحثت جاهدًا في كل مطعم في المنطقة، عازمًا على عدم الاستسلام، وأثمرت مجهوداتي أخيرًا، لمحتها عبر نافذة مطعم ذات مساء، وشاهدتها -عاجزًا عن الحركة - وهي تفرّك طاولة، ثم أجهشتُ

بالبكاء، لا بد أنني بدؤت مثيرًا للريبة لصاحب المطعم، للانه أوما لي. فركضتُ مباشرة إلى أمي وعانقتها.

تلطف صاحب المطعم وقدّم لي شيئا لآخله، وفجأة تدافق على الهلام، وعجزت عن التوقف، أخبرت أمي بكل ما يتعلق بسعظانيها وهل معنا، معنا، ومعاملتها لشقيقاتي وكيف أنهن يفتقدنها، وهل شيء ابنسين بلطف قائلة: «كن صبورًا قليلًا بعده، ثم أعطتني عقدها وخاتمها الذهبيين، وقالت: «إذا واجهتك أي مشكلة، فخذ هذه إلى مستزهن لكن لا تُحدّث والدك عني، اتفقنا؟ لا تقل له إنك رأيتني، ولا تخدره بمكاني،

عندئذ وقد وجدت أمي، بدأت الذهاب إلى المدرسة مجددًا، كنت أدهب لرؤيتها كل عصر تقريبًا حالما تنتهي الحصص، وأحيانًا في عطلان نهاية الأسبوع أو في العطلات العامة، كنت أصطحب شقيقاتي معي، وقد كان مالك المطعم لطيفًا جدًا معنا، أفترض أنه كان يعرف قصتنا، أمّا «كانيهارا» فلم يكن يهمني ضربها لأنني كنت أعتقد أنه ذات يوم حقريبًا «ستعود أمى وتنقذنا.

عندما أستذكر كل شيء، أعتقد أنني أتفهّم عقلية أبي في ذلك الوقت، لكن لا يمكنني مسامحته على ما فعله.

كان لديه، في أيام مجده، عشرون أو ثلاثون تابعًا، وكان الرعيم الكبير العرّاب، ففي السوق السوداء ميلادُك وخلفيتُك لا تعنيان شيئًا، سواء كنت عسكريًّا سابقًا أو من أسرة نبيلة، وسواء كنت يابانيًّا أو كوريًّا... لا يهم، ميلادك وخلفيتك لا تعنيان شيئًا، كل ما كان يهم هو قوتك الجسدية، وكان أبي يعرف كيف يعيش بالعنف، لكن لاحقًا، عندما انتهت الحرب وعاد كل شيء إلى طبيعته، لم تعد لقوّته الجسدية أي قيمة، وفجأة أصبحت الجنسية والخلفية تعنيان كل شيء، لم تكن له صغب صلات عائلية بالميلاد، والأنكى من هذا، أنه كان كوريًّا، وهذا ما صغب

عليه الحصول على عمل، تلاشت وقوته القتالية، عندما عُدُ الاتحاد العام للكوريين المقيمين جماعة خارجة عن القانون، ومع ترقي رفاقه السابقين إلى مناصب رفيعة في جمعية الخوريين في اليابان، ظل هو قابعًا في الحضيض دون أمل في المستقبل؛ لذلك فرُ غُ إحباطه على أمي، كانت عائلتها لديها بعض الأملاك، وهي نفسها تلقّت تعليمًا معقولًا، وهي أشياء كان أبي متعطشًا لها، لكن لم يستطع الحصول عليها؛ لذا حملتُ على عائقها كل غضبه على العالم، كنتُ أتساءل في البداية لعاذا لم يضرب وكانيهارا، قط؟ وتخميني؛ لأنها كورية ولا تُمثّل له تذكيرًا لم يستمرًا بكل ما لم يستطع الحصول عليه،

من الأشياء التي تعلمتها في هذا الوقت أنه في حين يحب بعض الناس –مثل أبي- استعراض قوتهم الجسدية، لدى بعض الأخرين سبب مُعيّن يدفعهم للعنف.

قرر أبي، في عامي الأخير في المدرسة الإعدادية، أنه ينبغي لي الالتحاق بمدرسة متوسطة كورية، رغم أنني لا أتحدث الكورية، لم أرغب في هذا، لكن خوفي كان يمنعني من معارضة رغباته، فالتحقت بها.

كان معظمنا في المدرسة من أسر فقيرة، وقد كان فقُرنا نابعا من التفرقة العنصرية، ولا شيء آخر، لم يعبر معظم الطلاب صراحة عن إحباطهم حيال هذا الوضع –فقد كابوا منشغلين بتدبير أمورهم لكن هذا لا يعني أنهم كانوا مستسلمين، إذ غالبًا ما كان زملائي في المدرسة يتشاجرون مع اليابانيين عندما يلعبون بالخارج أو في طريقهم إلى المنزل من المدرسة، وبمرور الوقت، جميعهم صاروا يربطون بين التفرقة العنصرية والعنف، وقد كانت طريقة التفكير واضحة، إذا ضربك أحدهم، فلا تُدر له الخد الآخر، بل ترز الضربة بقوة مضاعفة.

شعرت بالتمزق وأنا أرى زملائي بالصف، لكنني بعد ذلك أحسست بنمو أواصر القربى بيني وبينهم، وأدركتُ أنْ جدّتي وأقاربي الآخرين كانوا على خطأ، فالكوريون ليسوا بالوحوش الذين وصفوهم، كانوا يتسمون بالخشونة بالطبع -أنّى لهم ألا يكونوا- لكنهم أيضًا كانوا ودودين وطيبين، ورغم أنني كنت لا أزال أضع مسافة بيني وبين معظمهم، بدأت أتحدث مع فتى اسمه «كان تي سون»، كان يقعد بجانبي في الصف، كان لأغلبنا شعر قصير، لكن شعر «سون» كان كثيفًا أشعن، رغمًا عن لوائح المدرسة، شعره يشبه عُرْفًا؛ فأكسبه لقب «الأسد».

وبعدما عرف «الأسد» وضع أسرتي، دعاني ذات يوم لمرافقته إلى منزلهم، سِرْنا عبر متاهة في حيِّ كوري بالقرب من مصنع حلويات، وكانت رائحة الحلوى اللذيذة تعبق في الهواء، وعندما وصلنا إلى منزله، سألتني أمه على العور عما إذا كنت جائعًا، وبعد لحظة، أسرعت إلى المطمخ وعادت بأرز ومخللات كورية وعدة أطباق أخرى، وسرعان ما امتلأت المائدة بالطعام.

ما غتثت تقول: «كُلِ المزيد!»، رغم أنُ فمي ممثلئ وكنت أغوص بالأرز الذي ألتهمه بنهم، كان «الأسد» وأمه يشاهدانني، ولم يسعني سوى ملاحظة ابتساماتهما. اختبرت حب الأم، وبالطبع أحببت شقيقاتي حبًا جمًّا، لكن هذه كانت أول مرة أشعر فيها بعطف حقيقي من أشخاص لا تربطني بهم صلة قرابة، كان دفؤهما وعطفهما ملموسين، ومنذ دلك اليوم، كان منزل «الأسد» هو المكان الوحيد الذي يمكنني الاسترخاء فيه، ورغم ما مررت به من عقبات ومنعطفات في حياتي، لم أنس لطف أشرته قطّ.

وحالما صرتْ صديقا «للأسد»، أحسست أنني أكثر قدرة على الحديث مع زملائي في الصف، لكن معظم دروسي كانت لا ترال غير مفهومة ثمامًا بالنسبة إليّ، لأنها تُدرُس باللغة الكورية، الرياضيات كانت مفهومة، وكذلك العلوم إلى حدٍ ما، لكن بقية المواد لم تكن سوى مفهمات مُستغلَقة، كان يوجد آخرون مثلي لا يعرفون شيئًا من الكورية، لكن على غير المتوقع، كان بعض الأسائذة يتحايلون على اللوائح ويشرحون لنا باليابانية، متمردون!

علمونا أنَّ ، كيم إيل سونغ ، هو ، الملك الذي حرَّر كوريا من الاستعمار » ، وأنه شنَّ حربًا على الأمريكيين الإمبرياليين وأتباعهم الكوريين الجنوبيين الخانعين ، وقد انتصر ، وغُرس في أذهاننا أنَّ ، كيم إيل سونغ ، حنرال تويُّ لا يُقهر ، لاحظتُ أنَّ الأسائدة كانوا فخورين بدوره بوصفه ، الزعيم العظيم ، لأمة صاعدة .

ضرب الركود اليابان في هده المددة، وأعلنت عدة شركات إفلاسها، عارتفعت نسب البطالة ارتفاعًا حادًا، وكان الكوريون هم الأكثر تأثرًا، فالظروف التي كانت صعبة فحسب من قبل، أصبحت فظيعة بالنسبة إلى عائلات كثيرة، وعي هذه الأثناء، في كوريا الشمالية، أعلن «كيم إبل سونغ» أنه بصدد بناء يوتوبيا اشتراكية، وسُمْيت بـ «حركة شوليما». كان أساتذننا يعيشون في فقْر مثل بقيتنا، فتعلقوا بقشة الأمل، فهناك تلك الأرض، «أرض الميعاد»، «ألجنة على الأرض» «أرض اللبن والعسل»، وغي خضم يأسهم، صدقوا هذه المزاعم، ومرروا هذه الأكاذب إلينا، كنت أستمع إلى ما يقولونه بنصف انتباه في أحسن الأحوال، أه بالطبع، توجد «جنة على الأرض» على الشاطئ الآخر من البحر، لكن الوصع هنا والن هو كلُ ما كان يهمُني، كيف يمكنني تحسين حياتي الأن؟ كانت المظاهرات تندلع في الشوارع، وكانت أُسْرتي بالكاد تندئر أمرها، وكنا المظاهرات تندلع في الشوارع، وكانت أُسْرتي بالكاد تندئر أمرها، وكنا معنا، وما زلت أتسلل مع شقيقاتي لنقابل أمي هي كلُ عطلة نهاية معنا، وما زلت أتسلل مع شقيقاتي لنقابل أمي هي كلُ عطلة نهاية

أسبوع، وبالنظر لكل ما كان يحدث فيما حولي يوميًّا، كان من الصعر الاكتراث كثيرًا بـــ «جنة» كوريا الشمالية.

عُدتُ إلى المنزل ذات يوم، بعد قرابة عام من هرب أمي، ووجدن صفًا من الأحذية مرصوفة خارج الباب الأمامي، وصُعِقتُ بما رأيته في الداخل: بعض الرجال يُوبِّخون أبي بعنف، والأهم من ذلك.. لم يُضرَبوا حتى الموت. كانت ثمة إجابة واحدة: لا بد أنهم من أصحاب الشأن في الجمعية، دلفتُ خلسة إلى الغرفة واستمعت إلى نقاشهم، قال أحدهم؛ واسمع، إذا لم يكن بمقدورك تحسين سلوكك فيما يتعلق بزوجتك، فسننهي صداقتنا معك، وقال آخر: «سوف نُبلًغ الأمر للجمعية، وعندها سينتهي أمرك»، تناوبوا على تقريعه، واحدًا تلو الآخر، وكانوا يضربون على حصائر التاتامي ويرفعون أصواتهم وهم يطلبون منه التفكير بما اقترَفَه، وشرعوا في تعديد جميع تفاصيل حياته الدنيئة، وبعد ساعة أو نحوها، نهضوا جميعًا وغادروا، شاعرين بالرضا بأنهم أوضحوا وجهة نظرهم، كما غادر أبي و «كانيهارا»، لكن لم تكن لدي فكرة إلى أين نهبت تسللوا، عاد أبي لاحقًا وحده في تلك الليلة، ولا أدري إلى أين ذهبت تسللوا، عاد أبي لاحقًا وحده في تلك الليلة، ولا أدري إلى أين ذهبت تسللوا، عاد أبي لاحقًا وحده في تلك الليلة، ولا أدري إلى أين ذهبت تسللوا، عاد أبي لاحقًا وحده في تلك الليلة، ولا أدري إلى أين ذهبت

وبعد بضعة أيام، ظهر بعض الرجال المنتسبين إلى الجمعية عند بابنا، ومعهم أمي، ذُمِلتُ ذهولًا شديدًا لهذا التحول في الأحداث، ولم يسعني سوى النظر مدهوشًا، جثا أحد الرجال من الجمعية منحنيًا أمام أمي وقال. «تعهد زوجك بأنه سوف يُصلح سلوكه، هل ترغبين في أن تبدئي معه مجددًا؟ الأمر لا يتعلق بكِ وحدك، فكري بالأطفال؛ كانت أمي مشدوهة وقد انعقد لسانها، لكنها وافقت على العودة في النهاية، ورغم أنَّ شقيقاتي صرخن من المهجة والحماسة، فقد كنتُ قلقًا أيما قلق، لم أستطع التفكير بشيء سوى أنَّ أبي سيبدأ ضربها مجددًا، وأنها مسألة

وقت ليس إلًا، لكن مرَّ يوم، ولا شيء، أسبوعٌ، ثم شهر، ولا شيء، لم يضربها مجددًا أبدًا، وظل رجال من الجمعية يأتون إلى منزلنا ليتحققوا.

لم ينته الأمر عند هذا الحد، بل أوسعوا أبي تأنيبًا بشأن عدم عمله، كانوا يأتون إلى المنزل ويُقرَّعونه أيّما تقريع: «اسمع! ليس لديك عمل، وما الذي تفعله؟ تَثْمل طوال اليوم وتُحيل حياة زوجتك جحيمًا، لكن إذا ذهبت إلى هناك... ثمة وفْرَة في الوظائف! فكّر بالأمر! ستتمكن من إدخال أولادك الجامعة»، لم أكن أعرف أين كانت «هناك» هذه، لكنهم ما انفكُوا يحثُونه على «العودة» إلى هناك. تحدثوا وتحدثوا، أحيانًا حتى منتصف الليل وبعده، كان بمقدوري سماع كل كلمة يقولونها من خلال الباب المنزلق الرقيق الذي يفصل غرفتي عن غرفتهم، كان من الواضح أنهم يناقشون أمرًا قد يغير حياتي تغييرًا تامًا، دون سبيل للرجوع، وفقدت صوابي من الخوف مما قد يكون. ومن ثم... ها قد ذكر الأمر نفسه في المدرسة، «كوريا الشمالية هي موطنكم، إنها جنة على الأرض، هذه هي فرصتكم، اذهبوا إلى موطنكم!»، لكن كوريا الشمالية لم تكن بلادي، لا علاقة لي بها، لماذا كان أبي يُحَثُ على «العودة» إلى هناك؟

طُفِقَ «كيم إيل سونغ» يتحدث عن الأمر في خطاب استمعنا إليه في المدرسة في 8 من سبتمبر 1958، إن لم تخني الذاكرة، قال كلامًا فيما معناه: «رفاقنا من أبناء وطننا الذين يعيشون في اليابان ليس لديهم حقوق، ويُميَّزُ ضدهم؛ ولهذا يعانون مشقة الفقر، ويريدون العودة إلى وطنهم الأم، ونود أن نرحب بعودتهم، سوف تضمن حكومة جمهورية الشعب أن يتمكنوا من بَدُء حياة جديدة عند عودتهم، وسوف نضمن ظروف معيشتهم»، كان تعبير «العودة إلى كوريا الشمالية» لا يزال عصيبًا على استيعابي، فأبي كان من الجزء الجنوبي من كوريا، وليس

من كوريا الشمالية، وكوريا الشمالية لم تكن موجودة عندما وُلِد أبي، فلماذا قد «يعود» إلى مكان لم يعرفه قط؟

وبعد تصريح «كيم إيل سونغ»، بدأ الاتحاد العام للمقيمين الكوربين حملة إعادة كبيرة تحت ستار الإنسانية، وفي العام التالي (1959) تفاوضت جمعية الصليب الأحمر اليابائي وجمعية الصليب الأحمر الكوري سِرًا بشأن «اتفاقية عودة» في «كلكتا»، وبعد أربعة أشهر، غادر أول فوج من العائدين ميناء «نيغاتا»، وبعد ذلك بوقت قصير، بدأ منتسبون إلى جمعية المقيمين في اليابان بالظهور عند باب منزلنا، متلغفين لإقناعنا بخوض الرحلة، وكانوا جميعهم مؤيدين للعودة الحماعية.

هل كانت اللحنة الدولية للصليب الأحمر تعرف شيئًا عن هذا؟ وهل كانت الولايات المتحدة والأمم المتحدة تعلم؟ نعم ونعم ونعم، وما الذي غعلوه حيال الأمر؟ لا شيء.

في الأيام الأولى لما يُعرَف بالإعادة، غادر قرابة سبعين ألف شخص اليابانُ وغبروا البحر إلى كوريا الشمالية، واستمرت العملية حتى عام 1984، باستثناء انقطاع وجيز دام ثلاث سنوات ونصفًا، وخلال عده العدة، غبر قرابة مثة ألف كوري وألفي زوجة بابانية إلى كوريا الشمالية، ويا لها من هجرة كبيرة، وفي الواقع كانت المرة الأولى (والوحيدة) في التاريخ التي ينتقل فيها هذا العدد الكبير من الناس من دولة رأسمالية إلى دولة اشتراكية.

شجعت الحكومة اليابانية بنشاط عمليات الإعادة، زاعمة أنها لأسباب إسانية، لكن في رأبي، لم يكن يُحركهم فعلًا سوى الانتهارية الحبيئة التي تهيمن عليها المصلحة الذاتية، علننظر إلى الحقائق، إنال مدة الإمبراطورية اليابانية، خلب الآلاف تلو الآلاف من الكوريين إلى اليابال

بغير إرادتهم ليعملوا في عبودية قسرية، ولاحقًا، ليُستَخدَموا وقودًا للمَدافع، والآن كانت الحكومة تخشى أنَّ هؤلاء الكوريين وأسَرهم -الذين يُميَّز ضدهم ويسحقهم الفقر في سنوات ما بعد الحرب- قد يصبحون مصدرًا للقلاقل الاجتماعية، فكانت إعادتهم إلى كوريا حلًا لمشكلة لا غير.

ومن منظور حكومة كوريا الشمالية، فقد كانت دولتهم في أمسً الحاجة إلى إعادة البناء بعد الحرب الكورية، وما الذي يمكن أن يكون أكثر ملاءمة من تدفق كبير من العمال؟ كان «كيم إيل سونغ» في حاجة شديدة إلى أن يُثبِتَ للعالم أنَّ الجمهورية الديمقراطية متفوقة على كوريا الجنوبية، وفكرة آلاف الكوريين العائدين لديارهم ليعملوا طَوْع أمرِه في «الخطوة العظيمة للأمام» -كما أسميها-، غذَّت أحلامه المهووسة،

صحيح إذن، كانت الإعادة الجماعية خبرًا سارًا لكلتا الحكومتين، الحل المثالي الذي يُرضِي الجميع باستثناء البشر الحقيقيين المعنيين بالأمر.

صُدّعتْ رؤوسُنا بِسَيل مستمر من الإعلانات الصبيانية التي تكاد أن تكون هستيرية: «استمتعوا بالعمل والدراسة في كوريا الشمالية!»، و«كوريا الشمالية جنة على الأرض!». تقع اللائمة بالتساوي على الجمعية ووسائل الإعلام العامة، كان أصحاب الشأن في الجمعية موهومين، وكان الصحفيون شُذَجًا سذاجة لا نظير لها، وبالطبع، أحسُوا بالذنب حيال ماضي اليابان الاستعماري، لكن هذا الإحساس بالذنب، الذي لم يَجُلُ بصيرتهم، وضع غلالة على تفكيرهم وشوش مُقدَّراتهم النقدية، أعني أننا كنا في النصف الثاني من القرن العشرين، وهم، للحسرة، ما زالوا ينظرون إلى الشيوعية بعدّها الطريق إلى عالم مثالي، أتساءل عما

إذا كان أي من هؤلاء الذين يتشدّقون بهذه الرسائل قد استوعبوا، في السنوات اللاحقة، مدى البؤس الذي كانوا مسؤولين عنه.

وبعد قول هذا، لستُ مقتنعًا بأنَّ تلك اليوتوبيَّة كانت فعلًا القوة الدافعة وراء قرار الناس بالهجرة، فبالنسبة إلى معظم النازحين الكوريين الذين كانوا يعيشون في اليابان حينذاك، كانت النقطة الرئيسة وعدًا أبسط بكثير: «إذا عدتم إلى دياركم، فسوف تضمن لكم الحكومة حياة مستقرة وتعليمًا من الدرجة الأولى لأطفالكم»، فبالنسبة إلى الأعداد التي لا تحصى من الكوريين العاطلين، والذين لا يتلقَّون أجرًا كافيًا، والذين يعملون في أيَّ وظيفة يُمكِنهم الحصول عليها، كانت وعود الاشتراكية المجردة أقلَّ تأثيرًا بكثير من الأمل في حياة مستقرة ومستقبل مشرق لأطفالهم،

ذات مساء في عام 1959، عندما دخلتُ المنزل عائدًا من المدرسة، أعلن أبي: «سنعود إلى بلادي»، فارتعشتُ من الغضب والصدمة، وقلت: «مُحال! لا أريد الذهاب!»، كان قلبي يخفق بشدة، والتفتُ إلى شقيقاتي وأمي ملتمسًا المؤازرة، لم تكن شقيقاتي ناضجات بما يكفي لاستيعاب مضمون النقاش؛ لذا اكتفين بالاستماع برهبة وأبي يتابع حديثه: «ماذا لدينا هنا لنأكله؟ لا شيء تقريبًا، لكن إن ذهبنا، فهناك سنعيش حياة مستقرة، حياة لم نعشها هنا قط!»، فتدخّلت أمي بصوت مرتعش: «لكن لا يمكنني الحديث بالكورية، فكيف سأعيش؟» بدت مرعوبة، وتشبثت ببصيص أمل في أنها قد تواجهه، لكنني لاحظتُ أيضًا أنها لم تقل صراحةً إنها لن تذهب.

استشاطت جدتي غضبًا عندما أخبرناها أنا وأمي بما قاله أبي، وظهرت عليها أعراض السكُتَة قائلة: «هذه فكرة فظيعة! لا يمكن أن تكونوا جادين، جميع الكوريين همجيون، تمامًا مثل زوجِك، إضافة إلى

أن وأطفاك بإدابيون، سوف يكرهكم الكوريون الشماليون ويُسيؤون مماملتكم، أعرف أنُ هذا سينتهي بهاية سيئة»، لم أرها غاضية قط كما كانت ذلك اليوم،

وعندما وصلنا إلى المنزل، وجدنا بعض البغيضين من الجمعية يحومون في المكان.

كانوا يأتون لمقابلة أمي يوميًا، وأوهنوا إرادتها تدريجيًا بوعودهم، كانوا يقولون أشياء مثل: «إذا ذهبت إلى هناك، فلن تعرفي شجارًا أبدًا، وسيتمكن أطفائك من دخول المدرسة مجانًا، ويمكنك العودة إلى زيارة اليابان بعد ثلاث سنوات»، يا لهم من بغيضين متملّقين، كرهتُهم.

وفي النهاية، انتصروا.. انتصر الأوغاد، وافقتُ أمي على الذهاب إلى كوريا الشمالية مع أبي، كنتُ مصعوقًا، واستبدّ بي الاضطراب، ما الذي كانت أمي تفكر فيه؟ لماذا -بحق السماء- قررت الذهاب معه؟ من أجل الحب؟ بعد كل ما جعلها تمرُّ به؟ أم إنها وافقت بسبب حسُّ غريب بالواجب؟ هل صدُقت الوعود بحياة أفضل؟ لن أعرف أبدًا.

فُرُرت مغادرتنا في يناير عام 1960، وعندما حلّ اليوم أخيرًا، غادرنا أنا وأبي وأمي وشقيقاتي المنزل للمرة الأخيرة وتوجهنا إلى محطة ،شيناغاوا،، حيث تُجمّع حشدٌ ضخم، ورغم أنني ما كنتُ أتوقع حضورهم، مسحتُ الحشد بناظريً لعلّي ألمح جدتي وأخوالي وأقاربي، لكنهم لم يكونوا موجودين، كانت جدتي قد أعلنت أنها لم تعد تربطها علاقة بأمي وأنها لن تتحدث معها مجددًا أبدًا، ورغمًا عن هذا، كنت آمل أنُ واحدًا منهم -أيُّ واحد- قد يأتي ليودُعنا. عَزَفَتُ فرقة آلات نحاسية وهي تسير بنظام وخطوات متصلبة بضجيج يصمُّ الآذان، صادر من سماعة فوق الحشد، وهنف الجميع؛ ومرحى!».

شقُ صديقي «الأسد» طريقه بين الحشد، وأمسكني من كتفي وهرني، وكانت الدموع تنهمر على وجهه،

- أذاهبُ أنت حقًا؟
- سوف أراسلك، وأعدك بأنني سأعود يومًا ما.

هذا كل ما استطعت قوله، تلونت معدني، فقد كانت تجتاحني مشاعر كثيرة ونحن نصعد على متن القطار، وعندما نطرت إليه من مقعدي، كان وجهه شاحبًا، وأدركتُ فجأة أنني لن أراه مجددًا أبدًا.

وعندما بدأ القطار يتحرك، سمعنا أصواتًا ناشرة من هنافات بهُجة وصرخات بدت قادمة من كل مكان، تساءلت: لماذا؟ ففي النهاية كانوا عائدين إلى موطنهم الأصلي، فلماذا كل هذا الحزن؟ وبدت الأمور مُنْرِهُ بأشياء سيئة قادمة.

الفصل الثاني

انطلق بنا القطار، ثم أُدخِلنا إلى المركز الرئيس الفوضوي والمزدحم الصليب الأحمر الياباني، حيث أمضينا ثلاث ليال، وعندها حُولنا ومُرَّرنا دون تدقيق خلال الإجراءات الرسمية لـ «العودة» إلى بلدٍ لم يعش فيه أي منا من قبل قطّ. بعض الزوجات اليابانيات تخلصنَ من جوازات السفر اليابانية عندما حصلن على الوثائق الكورية، لكنّ أمي احتفظت بجواز سفرها، كانت توجد جُملة مدفونة في مكانٍ ما في أوراق الإجراءات، تنصُّ على: «حالما تستقر في كوريا، لن يُسمح لك بالعودة إلى اليابان دون تصريح رسمي من اليابان»، حاولتُ إقناع نفسي، بما أنني ياباني الميلاد، فلن أواجه مشكلة في العودة ذات يوم، لكن مع مرورنا عبر النقاط البيروقراطية المتعددة، لم يسعني سوى الشعور بإحساس غامر بالرهبة.

نُولنا أخيرًا بالحافلة إلى الميناء، وتسلّقنا بجهد متن سفينة ركاب سوفييتية تبدو عتيقة، اسمها الـ «كوريريون»، عانى موظفو الصليب الأحمر بسبب الكم الهائل من المعاملات الورقية، كانوا يسمحون للناس المتعبين بالسير والصعود فحسب، تحركت السفينة بعد صعودنا بوقت قصير، ولم يكن ثمة مجال للعودة. حدقتُ كاسِفَ البال يائسًا إلى اليابان ونحن نغادر ميناء «نيغاتا»، ثم رحت أشاهد الأمواج الكليلة الكثيبة وهي تتكسر على مقدّمة السفينة، وكان الرذاذ يبلل البُحَّارة السوفييت الذين تتكسر على مقدّمة السفينة، وكان الرذاذ يبلل البُحَّارة السوفييت الذين

يعملون على السطح، ولا يرتدون سوى قمصان خفيفة رغم الهواء البارر الذي يصفع بحر اليابان.

نظرت فيما حولي، ودُهشت من أنَّ بعض رفاقي الركاب صعدوا على متن السفينة دون أيِّ حقائب، ما الذي كانوا يفكرون فيه بحق السماء؟ تذكرت الإعلان السخيف الذي أصدرته جمعية الكوريين في اليابان: «إذا ذهبتم إلى كوريا الشمالية، فستتمكنون من الحصول على كل ما تحتاجون إليه»، كان هذا إيمانًا أعمى من جانبهم،

وبعد يومين طويلين في عُرض البحر، كنت في سريري عندما صاح أحدهم بأننا نقترب من ميناء «شونغجين» بكوريا الشمالية، فهُرعنا جميعنا إلى السطح، ولمحتُ جبلًا على البُعد، بدا أجردَ بائسًا، وما من أشجار بادية للعيان، هتف أحدهم: «مرحى للزعيم العظيم كيم إيل سونغ!»، وانتقلتُ العدوى إلى بعض الركاب الآخرين الذين انضمُوا بمزيد من الهتافات المَرحة، لكنَّ صوتًا آخر بدأ يتصاعد من آخرين، صوتًا كأنه مزيخ من تأوِّه وصراخ سرعان ما صار عاليًا ومرعبًا، تشبَّثَ رجل عجوز يقف بالقرب مني بحاجز السفينة، وقال: «هذا ليس...» تهدَّ جسده، وتلاشت، وندت عنه شهقة «...هذا ليس ما توقعتُه»، تصلَّب جسده، واستحالت براجم أصابعه بيضاء كوجهه الشاحب شحوب الموتى، فجعلني مظهره الشبحي أرتعد، واقتربتُ من شقيقتي «إيكو» ألتمس فيها الدفء والعزاء، ولم يسعني، وأنا أحدق إلى ذلك الجبل القاحل، سوى التساؤل عما سوف يحلُّ بنا.

ثم لاحظت، مع اقترابنا من الميناء، عدة سُفُن صدِئة راسية على مقربة، وبدت مهجورة تمامًا، ما من حمولة بانتظار تفريغها، وما من عامل مَرْفَأ على الرصيف، ميناء أشباح، وقد جَعَلتُ التلال الجرداء في الخلفية كلّ شيء يبدو أكثر كآبةٌ وقتامة.

ثمّة أوركسترا تعزف على الرصيف، موسيقاها باهتة ومُورِّقة، مرحبًا بكم في كوريا الشمالية! تذكرتُ فرقة الآلات النحاسية الشنيعة في «نيغاتا»، بغطرستها الفارغة المرحة الخرقاء، والآن ها هي هذه الأوركسترا الحزينة، تُحدِث أصواتًا نشازًا في الرياح الباردة، ومع اقتراب السفينة من المَرْفَأ، رأيتُ أنَّ العازفين جميعهم فتيات مدارس، ورغم أننا كنا في منتصف الشتاء، لم يكنَّ يرتدين أكثر من معطف رقيق للزِّيَّ القومي الكوري، هبت الرياح الحادة على عينيَّ، ثم ألقيتُ نظرة ثانية على وجوههن وابتساماتهن المزيفة، لا بد أنكم رأيتموهن على التلفاز، تلك العروض المشوَّهة لفتيات المدارس، اللاتي يُقْتَدُنَ آليًا في «بيونغ يانغ» للاحتفال بعيد ميلاد الزعيم العزيز أو في أيِّ ذكرى سنوية كثيبة أخرى. ها هم أولاء، بالنموذج البُدائي والابتسامات المتشنَّجة التي ترتسم على وجوه الذين غُسِلت أدمغتهم، وبطبيعة الحال لم أفهم تمامًا ما كنت أراه عندئذ، لكن حتى في تلك اللحظة، كنت أعلم أن كلّ هذا هراء.

رَسَوْنَا على الرصيف، وصعد عدة كوريين شماليين لمساعدتنا في الإنزال، ملابسهم وأحذيتهم وكلّ شيء متعلق بهم أفصح على الفور عن أمّل الجنة هؤلاء قَطْعًا أفقرُ منا عندما كنا نعيش حياتنا القاسية في اليابان، ولبثتُ أفكر بالوثائق التي تلقيناها ونحن نسير بخطى متثاقلة على الممشى الخشبي، إذ أشارتُ إلى شيء من قبيل «التقديم للعودة» وذكرتُ شيئًا فيما معناه: «إذا رغبتَ في العودة إلى اليابان في أيّ مرحلة، حتى إذا أوشكتَ على دخول كوريا الشمالية، فأخطِر فورًا أيّ عضو من أعضاء الصليب الأحمر الموجودين حولك»، فنظرت فيما حولي مذعورًا بحثًا عن موظف صليب أحمر، لكن أبي وضع راحة يده على أوحيً كتفيّ ودفعني للأمام، ولم يعد أمامي خِيار سوى مواصلة السير في الممشى الخشبي.

وُلِدتُ مجددًا،

اقتادونا إلى حافلات ونُقِلنا إلى مراكز الاستقبال في المدينة, حدَّقن خارج النافذة مغمومًا، وأنا أبحث عن أي شيء قد يمنحني الأمل، فلم أر سوى بضعة منازل في طريقنا إلى البلدة، كان المنظر الطبيعي موحشًا، ولا يزال يحمل الندوب التي خلفتها قنابل الحرب الكورية، وحالما وصلنا، أجريت لنا مقابلات مع المسؤولين، الذين كانوا يحددون المهنة المستقبلية لكل شخص ومكان إقامته، بهذه البساطة، ولم أستطع تصديق مدى لا مبالاة أبي، فعندما سُئل عن المكان الذي يرغب في الذهاب إليه، قال ببساطة: «أي مكان يناسنني، لا أعرف أسماء أي مناطق في كوريا الشمالية، وسوف أسعد بالذهاب إلى أي مكان، كان مناطق في كوريا الشمالية، وسوف أسعد بالذهاب إلى أي مكان، كان في غاية الثقة والتفاؤل، لكن لم يكن بمقدوري تصديق أنه وضعنا في غاية الثقة والتفاؤل، لكن لم يكن بمقدوري تصديق أنه وضعنا

لكن أمي نهَشها القلق، ولن أنسى ما حييت نظرة الذعر والرعب التي بدت على وجيها، فسألته بصوت متهدّج: «ما الذي سيحدث لنا؟»، ظل بدت على وجيها، فسألته بصوت متهدّج: «ما الذي سيحدث لنا؟»، ظل أبي يقول: «لا تقلقي، سيكون كل شيء على ما يُرام»، لُذتُ بالصمت كيف يمكنه أن يكون واثقًا من أن كلّ شيء سيكون على ما يُرام؟ وعندما أعود بذاكرتي إلى ذلك اليوم، أعتقد أنّ اللغة لعبت دورًا، فأخيرًا صار بإمكانه الحديث بلغته الكورية الأصلية مجددًا.. وأخيرًا أحسّ بالانتماء، وبدا أنّ هذا الشعور بالارتياح تسرب إلى كل حوارحه، إذ كنت أراه مسترخيا وهو يتحدث بلغته الأم، الأمر الذي أعدَه بالثقة بشأن أيْ شيء أخر.

كنتُ -بطبيعة الحال- مثل أمي، قلقا نشأن المستقبل، لكن بالنسبة إليّ النا الصبي البائ ثلاثة عشر عاما ويكبر بسرعة - كان قعودنا لتناول وجبتنا الأولى أكثر ما أنذرني بالخطر، عجرتُ عن تصديق الطنق الذي ظهر أمامي، قدموا لنا لحم كلاب! أجل، لحم كلاب رائحته نفًاذة، كنا نتضوَّر جوعًا؛ لذلك أمسكنا أنوفنا، لكن حتى عندئذٍ كنا على وشك التقيق، حاولت جاهدًا التغلب على غثياني، لكن أيًّا منا لم يكن بمستطاعه ازدراد لقمة واحدة، باستثناء أبي.

كنا محظورين من مغادرة مركز الاستقبال، فها نحن أولاء، المحظوظين بتلقي المعاملة الإنسانية، سجناء في جنة على الأرض. كلّ أُسْرَة أُفردت لها غرفة بعرض ستّ حصائر تاتامي، وكانت هبّات الرياح المتجمدة تدخل إلى الغرفة من خلال الجدران المهلهلة، والحصى يسلخ خدودنا، وفي تلك الليلة الأولى، تساءلتُ عما سيحلُّ بنا، ونحن جميعًا ممددون جوار بعضنا، نرتجف على الأرضية المتجمدة، ظلت شقيقاتي ينادينني بصوت منخفض حزين، «أخي! أخي!»، كُنَّ مرهقات وخائفات ويرتعشن من البرد، وأردتُ أن أُسَرِّي عنهن، لكن لم يخطر لي شيء ويرتعشن من البرد، وأردتُ أن أُسَرِّي عنهن، لكن لم يخطر لي شيء لأقوله.

أمضينا عدة أسابيع في حالة الإهمال هذه، قابعين في البرد يومًا بعد يوم، ونرتجف على الأرضية ليلة بعد ليلة، متوجّسين من المستقبل والمجهول الذي ينتظرنا، حاولت آلا أفكر بأيّ شيء، وأن أتجاهل ذكرياتي عن الحياة التي تركتها خلفي، وألا أتخيل ما ستكون عليه حياتنا هنا.

حُدُّد مصيرنا بعدها ببضعة أسابيع، سيكون منزلنا المستقبلي في قرية «دونغ تشونغ ري»، كنت متوترًا بشأن هذا المكان الذي لم أسمع به قطُّ، لكن ظننت أنه لا بُدّ سيكون أفضل من وجودنا بين أسوار مركز الاستقبال. استغرقت الرحلة قرابة اثنتي عشرة ساعة بالقطار البخاري، وساعة أخرى على متن عربة تجرُّها ثيران، وعندما اقتربنا ببطء من القرية المحاصرة بالثلوج، توقفت عربة الثيران وترجَّلنا عنها بجهد، وسقطت شقيقتي الصغرى «ماساكو» على الثلج وشرعت في البكاء،

وسرعان ما تحوَّل بكاؤها إلى عويل جامح، كانت قد تمكنت بطريقة ما من الصمود في وجه أهوال ظروفنا حتى تلك اللحظة، لكن انكبابها عم الثلج كان القشة التي قصمت ظهر البعير، كانت قد بلغت السادسة للتو، وحياتها الصغيرة بأكملها انقلبت رأسًا على عقب في غضون بضرة أسابيع،

ظلت تنوح: «أريد العودة إلى البيت!» والدموع تنهمر على خديه، وصُعِقتُ عندما حملها أبي ليُهدِّنها؛ إذ لم أرّه يُظهِر أيّ حنان أبويٌ من قبل قطُّ، تحدث معها بلطف وحاول تهدئتها، ودليلنا يقودنا في الطريق نظرتُ فيما حولي من أكواخ متداعية بسقُوفها المصنوعة من القش التي تلتمع بالتلوج، قد يبدو وصفي جديرًا بأن يكون صورة رائعة، لكن ليس كذلك، كان المنظر كئيبًا.

المبنى الذي قُدِّر لنا أن نسميه منزلنا كان يُستخدم مكتبًا خاصًا بالحزب، وكان المبنى الوحيد في القرية المسقوف بالبلاط، فتحمَّس دليلنا تحمسًا يكاد أن يكون هستيريًّا وهو يشير إلى هذه المعلومة، ومن الواضح أنه كان «شَرَفًا عظيمًا أن نسكُن في مثل هذا المنزل»، فنظرتُ إلى هذا الشقوق، كنت إلى هذا الشيء بكل أُبَّهته الملفَّقة، وجدرانه التي تكسوها الشقوق، كنت في حَيْرة من أمري، هل يُصدِّق حقًّا ما يقوله؟ وإن كان يُصدُق، لكدتُ أن أبكي من أجله، إلا أنني أنا الذي كنت سأعيش في المنرل في النهايه لا هو،

ألفينا امرأة عدوانية المظهر في انتظارنا قرب الباب، فتحدثت إينا بنبررة متغطرسة سوف تصبح مألوفة لدي في السنوات التالية، واكتشفت لاحقًا أنها رئيسة نقابة النساء الديمقراطية المحلية، وكانت قد حرَّت معها بعض الجيران للترحيب بنا، وكانوا منتظرين بالداخي، وحامًا اجتزنا عتبة الباب، شرعت في إلقاء خطبة:

مولاء الناس تعرضوا للعنصرية في اليابان، لكن بفضل لطف الزعيم الأعظم كيم إيل سونغ، تمكنوا من العودة إلى وطنهم الأما».

لم يسعني سوى ملاحظة أنَّ جيراننا المستقبليين لم يُولوا اهتمامًا كبيرًا لكلماتها، كانوا مشغولين بالتحديق بنا، إذ راحوا يرْنُون بأعينهم إلى ساعاتنا ودراجاتنا وبضعة أشياء أخرى تمكنا من جلبها معنا، ثم التفتت السيدة إليَّ قائلة: «سأصطحبك إلى المدرسة غدًا، كن مستعدًا!» وبعدها غادروا جميعًا المنزل.

بدا أنَّ الإضاءة تعمل، لكن المصابيح لم تكن تبعث سوى تَوَهُّج ضعيف باهت، ولم أكن أعرف شيئًا عن الجهد الكهربي المنخفض وقتذاك، ثم نظرت فيما حولي بحثًا عن إمدادات الغاز، لكنها لم تكن موجودة، ولم أجد حتى صنبور مياه باردة، فنظرت خارج النافذة، ها هي ذي على بُعد ثلاثين ياردة تقريبًا.. بئر،

كانت أمي ذاهلة عما حولها، ومثلي، لم تستطع تصديق ما تراه.

- كيف سنعيش هنا؟

ردَّدت الجدران الجرداء صدى كلماتها، وشعرتُ بالتشوش، عاجزًا عن التفكير أو الإحساس بأيِّ شيء، فاضَّجعتُ على حصيرة وحاولت أن أنام بعد الرحلة الطويلة، تململتُ وتقلَّبت، واستيقظت مُنهكًا وفاقدًا حِسًى الزمان والمكان،

أوفَت رئيسة نقابة النساء الديمقراطية بكلامها وجاءت لتصطحبني في الصباح التالي في أول يوم لي في المدرسة بكوريا الشمالية، جاءت مع ابنتها، التي أعلنت بفخر أنها «قائدة كشافة»، ورغم أنني لم أكن أتحدث الكورية جيدًا، فهمتُ على نحو غامض ما كانت تتحدث عنه،

وقلتُ ببساطة: «صباح الخير» وتَبِعثُهم، لم تكن ثَمة صورة لليوم الأول في المدرسة لتوضع في أرشيف العائلة،

عندما دخلتُ إلى المدرسة، رأيت قرابة مئة تلميذ وأستاذ مجتمعين في غرفة واحدة، ألقيت عليهم التحية بلغة كورية خرقاء:

«شكرًا لكم للترحيب بي».

غمغم أحدهم: «ياباني لقيط»،

ثم بدا أنَّ الجميع يهمسون بالكلمات: «ياباني لقيط!».

جُرِحتُ، وأحسست بالحرارة تتصاعد إلى وجهي، وتمنيت لو اختفين، وبدأ التلاميذ يشيرون إلى حذائي البلاستيكي وأشياء أخرى لم يرضوا عنها.

- انظروا إلى حقيبته!
 - إنه يرتدي ساعة!
 - باباني لقيط!

لاحظت أنهم لم يكن لديهم حقائب، ويلفُّون أغراضهم بقطعة قمش، فقررت أن أفعل مثلهم بعد ذلك.

وبعد هذا الترحيب، شاهدتُ عشرين تلميذًا يُقدَّمون مسرحية، كانت دعاية سَمِجة تصوَّر حياتي حتى تلك اللحظة، ووَفْقًا للمسرحية، فقد عشتُ حياةً عسيرة في اليابان، لكن بفضل مجهودات حزب العمال الكوري وجمعية الكوريين القديمة، تمكنتُ من «العودة» إلى «وطني الأم»، وعندما انتهى العرض، صفق الجميع بجُذَل، وصفقتُ أيضًا بداعي التهذيب فحسب.

كانت المدرسة صعبة، ليس بسبب الدراسة، لكن لأنني كنت أفهم القليل جدًّا من الكورية، وكلّ ما كنت أستطيع فعله هو أن أسننتج

بِعِموض ما يقولونه من السياق، وغالبًا ما كنت أُدعى بــ «الياباني اللقيط»؛ لأنني لا أتحدث الكورية، ولاحقًا أدركت أنَّ السبب ربما يكون أيضًا لأنني لم أكن أستطيع الرد.

وذات يوم في طريق عودتي من المدرسة، شهدتُ شجارًا بين زملائي، ولم أُطِق رؤية تعرض أحدهم للضرب بقسوة، فقفزتُ على المعتدي، ورغم ضاَلة حجمي آنذاك، كنت قويًا لا أهاب شيئًا بفضل جينات أبي والمدرسة الكورية التي ارتدتُها في «يوكوهاما»، ولدهشتي تمكنت من الإطاحة به أرضًا، ثم أمسكني رجلٌ من ياقتي، تصدًّى لي عندما سمع «الياباني اللقيط!» وشرع في ضربي، ولم يتوقف حتى أدمى شفتيًّ وتلطّخت ملابسي بالدماء، وعندما عدت إلى المنزل، سألتني أمي عما حدث، لكنني لم أشأ إقلاقها، فقلت لها: إنه مجرد شجار مع أحد الصبية في المدرسة، آخر ما كنت أرغب فيه هو قَلَقُها عليَّ، فقد كانت أصلًا تعيش في حالة خوف دائم بفضل تحذير رئيسة نقابة النساء الديمقراطية لها من الحديث بائيابانية.

لكن أبي بدا راضيًا بعض الرضا بحياتنا الجديدة، ولم يضرب أمي أبدًا، وبدأ يشتغلُ عاملًا زراعيًا في جمعية تعاونية، لم تكن هناك أي مزارع خاصة، ولا توجد سوى التعاونيات التي تعمل بها فِرَق، ولم يكن لديه خِيار سوى الانضمام أيضًا إلى نقابة العمال الزراعيين، وحضور اجتماعات التفاكر الإجبارية مرتين أسبوعيًا، للتفاكر بشأن أفكار «كيم إيل سونغ» وسياسات حزب العمال.

كان يجب على أي شخص الانضمام إلى مجموعة مُنتَسِبة إلى حزب العمال، وهذه المجموعات والنقابات لم تكن ذات أيّ غرض مُنتِج، وهدفها الوحيد هو تُلقين الأعضاء مبادئ الحزب وأفكاره، وعلى الجميع

استيعاب كلمات «كيم إيل سونغ» واكتساب معرفة وافية بسياسان الحزب،

كان الفرق الكبير بين العمال المنتظمين وعمّال المزارع، أنّ عمال المزارع لا يتلقّون راتبًا لائفًا، ويُمنحون قليلًا من المال، لكن مدفوعاتهم الرئيسة تتمثّل في حصة من الحصاد كل خريف، ويتوقف التوزيع على ساعات العمل، إذ يُقيّم العمل كل يوم، وإذا عُدُّ حجم العمل ،قياسيًا، يُمنح العامل مقدار ساعة عمل واحدة، وإذا عُدُ العمل «شافًا»، يُمنع العامل مقدار ساعتي عمل.

لكن عند وصولنا، كان الحزب هو السخاء متجسدًا، إذ تلقى أبي ما يُفترض أنه مخزون عام من الأرز! وعندما فتحنا الجوال، اتضح المعظمه مكوَّن من الذرة الحلوة وحبوب متدسية الجودة.

لم يحدث أن فكرت مليًا بحياتي عندما كنت أعيش في اليابان، لكر بعدما انتقلتُ إلى كوريا الشمالية، كان أكثر ما يؤرقني هو الفرق الهائل بين حياتي القديمة وحياتي الجديدة، وصرت مهووسًا بكل الأشياء التي كنت أعدُها مُسلَّمات من قبل، وبكل المشاق التي تحدد معالم حياتي الأن، لكن هذا لم يستمرَّ وقتًا طويلًا، إذ سرعان ما نما إلى علمي أل التفكير ليس مجانيًا في كوريا الشمالية، ويمكن للتفكير بحرية إذ كُشِف أمره أن يودي بحياتك، وإن كنت محظوظًا، ربما تُرسل إلى معسكم منطقة جبلية نائية لتؤدي الأعمال الشاقة، أو ربما تُرسل إلى معسكم اعتقال خاص بالسجناء السياسيين لأنك صُنفت «ليبراليًّا» أو «رأسماليًّا، وصاحب «عادات سيئة»، والعادات السيئة يجب استئصالها، بالاستعان بوسائل مثل الدَّوْس بالحذاء العسكري على الأعضاء التناسلية، أو بمكل بوسائل مثل الدَّوْس بالحذاء العسكري على الأعضاء التناسلية، أو بمكل بيساطة.

سوف تتسنى لك معرفة مكانك بسرعة في كوريا الشمالية، الجنة العظيمة التي يسودها مبدأ المساواة، إذا كنتَ صاحب صلات جيدة ولديك أصدقاء في جمعية الكوريين في اليابان أو حزب العمال الكوري، فسيُتاح لك العيش في العاصمة وبيونغ يانغ»، أو «وونسان»، ثاني أكبر مدينة في البلاد، لكن إذا لم تكن لديك صلات فانس الأمر، وعلى المستوى المحلي، يُقسَّم الجيران إلى مجموعات مكونة من خمس عائلات لكل مجموعة، مع قائد مهمتُه التبليغ عن أيّ شيء متعلِّق بأعضاء المجموعة للشرطة السرية، حتى إذا كان المرء نكرة، وكون المرء نكرة يعني تلقائبًا أنه مشتبه به، وأمثال هؤلاء يُرسلون إلى القُرى النائية ليعملوا كعبيد أرض، وبِقولي «أمثال هؤلاء» أعني حقًا أناسًا مثلنا، إذن في كوريا الشمالية أيضًا، صرنا مجددًا أوضع الوضعاء.

كنا على الدوام تحت مراقبة جلّادي الشرطة السرية، وأظن أننا كنا نُمثّل تهديدًا مزدوجًا، فقد جَلَبنا بعض الأغراض الخطرة معنا من اليابان عندما انتقلنا، أشياء مثل دراجات هوائية وأجهزة منزلية كهربائية وملابس شبه لائقة، ماذا لو أدرك سكان القرية المحلّيون أنّ معايير معيشتهم يُرثى لها؟ والأنكى من هذا، ما الذي قد يحدث إذا تناهى إلى مسامعهم منا مفهوم حرية التفكير؟ ربما يشككون في حكمة «كيم إيل سونغ»، وهذا هو المحظور،

انتقلنا إلى كوريا الشمالية من أجل الانعتاق من شظف العيش في اليابان، ولم نتصور أنفسنا مشاركين في مسعى بطولي من أجل بناء يوتوبيا اشتراكية مستقبلية، والآن وقد صرنا في كوريا الشمالية، ماذا بعد؟ حسنًا، ثمّة أمر واحد اتضح سريعًا، وهو أنّ دخُل أبي ليس كافيًا بأيّ درجة لإعالة أسرة مكونة من ستة أفراد، أصبحنا نأكل أقل بكثير مما كنا نأكله في اليابان،

كان يُتوقّع من جميع البالغين أن يعملوا، وكان المبدأ هو الا عمل لا عشاء»، لكن المعضلة الوحيدة كانت أنّ مسؤولي العزب في الفرية رفضوا توفير عمل لأمي؛ لأنها لا تتحدّث الكورية، ذانت امراة مقترة وبارعة للغاية، ولديها مؤهلات تقنية وشهادة في الرياضيات وخبرة في التمريض، من بين أشياء أخرى، لكن أيًا من هذا لم يشفع لها عند العليق وفي النهاية، عرف أهل القرية أنها ضليعة بشأن الولادة، وصابوا يأنين وفي النهاية، عرف أهل القرية أنها ضليعة بشأن الولادة، وصابوا يأنين مواطنة من الدرجة الثالثة، والحزب نفسه استمز في النظر إليها بعرها عديمة النفع؛ لذا في معظم الأيام لم تكن أمي تفعل شيئًا سوى السب عديمة النفع؛ لذا في معظم الأيام لم تكن أمي تفعل شيئًا سوى السب الي الجبال التي خلف المنزل وجمع الأعشاب وأي شيء أخر قابل للأكل لتكمل نظامنا الغذائي.

وفوق معاناة أمي في سبيل إيجاد طعام كاف لذا، كانت تعاني في طهيه، فكل ما لديها لتعمل به كان موقدًا خشبيًّا بدائيًّا، وكانت كهية الحطب التي تتمكن من العثور عليها تتباين من يوم لأخر؛ لدا كان التحكم في الحرارة يمثل لها مشكلة عويصة، فالأرز الذي تطهوه عادةً ما يكون نصف نيء أو محروقًا، لكن أبي لم يتبرّم قطُّ، وكان دائمًا ما يتناول الأرز الذي تعدُّه متلذذًا، كان تغيُّر أبي هو الأمر الجيد الوحيد في يتناول الأرز الذي تعدُّه متلذذًا، كان تغيُّر أبي هو الأمر الجيد الوحيد في انتقالنا إلى كوريا الشمالية، وعندما أعود بذاكرتي الأن، أرى أنُ اللطف القليل الذي أبداه كان أقل ما يمكنه قعله.

كنتُ وشقيقاتي ننمو بسرعة وجائعين دومًا، وسرعان ما ضفن ذرغ بعدم أكل شيء سوى الأرز، فباع أبي واحدة من دراجاتنا العزيزة الأرب ويعص الملابس التي حلبناها معنا إلى مسؤولي الحزب في القرية. أخيرًا وقد أصدح بحوزته بعص النقود، انطلق إلى سوق المزارعين الواقع على تخوم القرية. كانت الدولة تتحكم في توزيع الغداء، وعمليات

ابيام المحدة ممنوعة نظر بأنا ومع دلك كان يُعضُ الطُرِفُ عنها أحداثا، وحما ويدكما وحما المدارات والتنص خُلسة، وحما مدارا والتنص خُلسة، وحما مدارا عشرة أسعاف السعر مدارات عشرة أسعاف السعر مرسمي

من أبر البعشدا ومعه صرير ويفحه ودخاجه، يديرنا وضعهم من النسبة إلى من النسبة إلى النسبة إلى النسبة إلى النفية براير المأدور راعم أبد كا درئيها من أجل الطعام، لم أرغراً بطك الجعاسة المدعة طويلة.

ر فو فضر بالوم بقية فتمم شرطي الفرية باحتيا كأنه بمدر مثر وأحير السطهر الدية بمدر مثر وأبي المطهر الدية بمدر مثر والمن المثما الفييين من من عن البطر إلى بلكما الفييين مراسير بالمعامد بقرفها والمن بالمرابع المدرية

أنه العند ، إلى أنه ما أنها القرام! المنزير؟ الأرز للنشر، أبها القرام!

مده و دره در در و دره و الشار و من و دره و المدار و المد

قسم الشرطة، نظر أبي إلى الخلف وهتف بي وهو يسير مبتعدًا: «لا تقلق!»،

خشينا أنا وأمي من الأسوأ ونحن ننتظر عودته مدة بدت دهرًا، وعندما ترنح داخلًا قرابة منتصف الليل، كان عاجزًا عن المشي باستقامة. ووجهه دام ومتورم على نحو بشع، لم أحب أبي أو أحس نحوه بعطس قطّ، لكن إحساسًا جديدًا بدأ يتحرك بداخلي تلك الليلة.

قال غاضبًا: «عليكم أن تكونوا حذرين جميعكم، يا إلهي، أولئك الملاعين خدعوني، جمعية الكوريين اللعينة!» كان يرتعد، ليس من الغضب فحسب، علمتُ أنَّ شيئًا بداخله كُسر، ولأول مرة كان مرعوبًا.

لم أرّه خائفًا من أيّ شيء من قبل، فعندما كنا نعيش في اليابان. إذا اعترض أيّ شخص طريقه، كان -ببساطة - يلكمه حتى تظلم الدني في وجهه، وحتى عندما اعتفل، لم يكترث، لكنه كان خائفًا عندئذ، خوفًا صريحًا محضًا، وخوفه أخافني أيّما خوف، وعندما رأيت الرُّعب في عينيه وسمعت نبرة التسليم في صوته، عرّفت على الفور أبنا أودغنا في الجحيم، فاقشعر جلدي، كان أبي قد ابتاع خنزيرًا ودجاحة ونعجة ليُطعم أسرته، ورأى أحد الجيران الوطنيين أنَّ من واجبه أن يشي به لجنايته الجسيمة ويورده المهالك، وذلك الشُّرطي كان ليسُعد بقتله بسببها.

فكرتُ بهذه اللحظة مرات عديدة، ومنذ تلك الليلة –وقد صرت مدركًا للمكان الذي كنت فيه والمكان الذي وضعتني فيه الجمعية والحكومة اليابانية – صرت أداكر دروسي بجنون لأعوض عن خلفيتي «العدائية» معتقدًا بسذاجة أنَّ بوسعي التعلب عليها بالعمل والمثابرة، وكنت عازمًا على بذل كل ما بوسعي لتحسين وضع أسرتي، تطورت مهاراتي في اللغة الكورية تدريجيًّا، وصرت في النهاية قادرًا على الحديث بالكورية

مع أبي بسهولة، ومع هذا التقدم الذي أحرزته، أحسست بنفسي أقترب منه ببطء،

وبعد عام من وجودنا في كوريا الشمالية، كنت في السنة الثالثة بالمدرسة الثانوية الوسطى، وأخيرًا اعترف بمجهوداتي في المدرسة، وأصبحتُ مُنسُق الصف، وأطنني ما كنت أريد سوى أن أجد القبول وأن أثبت أنني أكثر من «ياباني لقبط»، كنت إذا مرض أحد زملائي واصطر للغياب عن المدرسة، أجلبُ له الدوا، وأدرسه الأشياء التي فائته في الصف، ورأيت أن هذا واجبي ومسؤوليتي.

لكن ما الذي كنا متعلمه؟ كانت دروسنا تتحاور كثيرًا الموادُ القياسية كالإملاء والرياصيات والفيزياء، كان علينا أن نتعلم بشأن التغييرات الثورية الإعجارية التي أحدثها بكيم إيل سويع المُعظَم، وكان أهم شيء هو مدى الولاء للزعيم العظيم، فكان الأساندة وجميع من حولنا يحاولون غسل أدمغتنا لنصبح أعضاء شبه مُسترقين في طائفتهم الدينية الزائفة. سايرتهم، وتعلمت بسرعة أن في وضع كهذا، إذا أردتُ أن أنجو، فعلي كلت قدراتي المقدية ومسايرة الأمور، واستوجب علي أن أحتار معاركي بعض الناس حقًا ينتهي بهم المطاف بأدمغة مغسولة، ويصدقون كل بعض الناس حقًا ينتهي بهم المطاف بأدمغة مغسولة، ويصدقونها، وذات بوم سيكونون سببًا عي سقوط نظم كوريا الشمالية، والدي ما هو إلا يوم سيكونون سببًا عي سقوط نظم كوريا الشمالية، والدي ما هو إلا

انضممت إلى جمعية الشباب الديمقراطيين عندما كنت في الرابعة عشرة، كما أصبحت عضوًا في لجنة العدرسة، سنمت من سماع «أنت ياباني أيها اللقيط الأبله، إنك عديم النفع بلا شك»، كنت أعرف أنني لست عديم النفع، وكنت عازمًا على إثبات هذا.

وفي أثناء مراسم الانضمام إلى المجموعات، عليك أن تقف أمام مجموعة من مسؤولي الحزب وتغني أغنية تمدح ، كيم إيل سونغ ، ثم تصطف مع البقية وتقسم بالولاء له، وتتعهد ببدل كل ما بوسعك لتعزير اشتراكيته، ومن ثمّ يعقد مسؤولٌ وشاخًا أحمر حول عنقك ويشن بملابسك شارة.. يرمز اللون الأحمر لدماء الثورة وروح الشيوعية.

تتراوح أعمار أعصاء جمعية الشباب بين الرابعة عشرة والثلاثين، وكان الهدف الأسمى هو تحقيق النصر الكامل للاشتراكية، لم أك أكترث أدنى اكتراث بالاشتراكية، بطبيعة الحال، ولم أرغب إلا بتحسين حياتي وحياة أسرتي، كابت بعض المحموعات ترندي أوشحة حمرا، فحسب، لكن أعضاء محموعتنا عي حعمية الشباب كابوا يحملون بطاقات عضوية.

لن أنسى أبدًا اليوم الذي تلقيت عيه بطاقتي، وكان مكتوبُ عليه:

«يحب عليكم جميعًا أن تحموا أُسُس الاشتراكية وتناضلوا في سبيل
انتصار الثورة، ولا تزال القيادة تُلقي مثل هذه المواعظ الفارغة حتى
يومنا هذا، ويطبيعة الحال، لم أصدق أيًا من ذلك الهراء، لكن حتى أنا
غُرُّر بي للحظة.

رحتُ أحدُق إلى البطاقة مدة طويلة. شاعرا كما لو أنني في الواقع شخص ذو هدف نبيل.

غي ذلك الربيع أمضت جمعية الشعاب شهرًا في غرّس شُتُول الأرر وتسميدها، وكان عرّس شُتُول الأرز في الربيع أقسى الأعمال، ويكرهها الجميع، وكان أول عمل أؤمر بأدانه يمكنني إلى يومنا هذا استحصر جميع تفاصيل غرّس تلك الشُتُول، كنتُ متحمسا لأراء المهمة، لأسي لم أزرع الأرز من قبل، رفعت بنطالي إلى ركنتي وعصت نقدمي في الطبى الرطب الدارد في حقل الأرز، شكّلنا صفًا، حاملين الشتون على حواسا،

وكار مرشدما يقف في ممر دين حقول الأرر، وعندما رأى أننا مستعدون، رممر المطلقوال، كأنه يعلن بداية سباق، فشرعنا في العمل

مِنْ المرشد يراقبنا مُدقَقًا هنيهةً.. ثم زمحر: «لاا إنكم لا تغرسونها عربًا منحيحًا، قلَّمنوا المسافة بين الشُثُولَّ».

أبقيتُ نظرة فوق كتفي، فها هو ذا يتبختر معتدًا بنفسه ويصيح المؤامر، لم أستطع استيعاب سنب أوامره لنا بغرس الشتول قريبة من بعضها، أو سبب عدم قيامه ببعض العمل بنفسه.

التعتُ إلى رميلٍ يعمل بجانبي وسألته: «ما الذي يتحدث عنه؟».

مطر زميلي إلي كما لو أنني أبله، ثم سألني والربية بادية عليه ،ألا تعرف؟ هذه هي أحدث الأساليب العلمية، وتُنتِج أكثر،

لم أكن قد غرست شتول الأرز من قبل، لكنني كنت أعرف ما يتعلمه كل طفل ياباني في المدرسة الإعدادية، إذا غُرست شتول الأرر قريبًا حياً من بعضها، فستُزاحم بعضها ولن تنتج محصولاً حياً أنحديات رراعة الأرز، إذا شئت تسميتها، لكن عندند عثرت مع نفسى، لا يُعقل أن يكون هذا الرحل هاويًا، ولا بد أنه يعرف شبئًا لا أعرفه، ربما اكتشفوا شبث حديدًا لذا تابعت عملي، ولستُ بحاجة إلى قول إن لمحصول فشل شبث دريغا، وكثيرًا ما أتساءل عن عدد الدين تصوروا جوعًا نتيحةً لهذه السياسة البلهاء.

استعتعت بالزراعة في بادئ الأمر، فقد كانت شيئًا حديدًا بالنسبة الني. لكن داهمتني التقلُّصات والآلام بعد بضع ساعات، فاعتدلتُ واقفًا الأمدد ظهرى الذي يؤلمني،

ولا تسترح! وزغقُ أحدهم بي،

فنظرت فيما حولي ووجدته أحد عمال المَزارِع الدائمين، يقف في مكانه دون أن يفعل شيئًا إطلاقًا، فلم أتمالك نفسي وغمغمت: ولا تبدو أنك تعرف أي شيء عن الزراعة، فما الذي يعطيك الحق في التسلُط عليَّ؟».

تحققت لأرى ما إذا كان أحد مسؤولي الحزب يراقبني، وسِرْت مبنعرًا لأدخُّن.

ولاحظت بعد ذلك أنَّ عمال المَزارِع الدائمين بالكاد يقومون بأيَّ عمل، ويُمضُون سحابة يومهم في إصدار الأوامر لجمعية الشباب والجنور بما عليهم فعله، لكن في نهاية اليوم، يزعم المزارعون أنهم عملوا يومًا كاملًا، ويُدْرِج المسؤولون ساعاتهم دون سؤال، لم نحتج، فعندما يجد المرء نفسه عالقًا في نظام جنوني حلم به معتوهون خطِرون، ما عليه سوى الانصياع لما يُؤمّر به.

ورغم أنني أمسكت لساني، لم يسعني سوى التساؤل عن سبب نفاق المزارعين الصارخ، فعند الاستماع إلى «الخبراء» الزراعيين، يَبدون في غاية التواضع ونكران الذات، لكنهم ينقلبون إلى طغاة عندما يتحدثون معنا. واتَّضح السبب وراء هذا لاحقًا في ذلك العام، عند وقت الحصاد.

كان الحصاد يُعرف بـ «معركة الخريف»، لا أدري مَن صاحب هذه العبارة، لكنها تحمل بصمات «كيم إيل سونغ»، كلّ شيء كان «معركة، أو «مسيرة» أو «حرب»، وهي كلمات محفِّزة لتشجيع الناس على القتال بضراوة، ودائمًا ما تُنطَق بنبرة مفخَّمة تبدو مُدَّعية وبَلْهاء في الوقت عينه.

وعندما حلّ وقت الحصاد، وُجّهنا بالاصطفاف في الحقول تمامًا كما فعلنا في الربيع، وصاح مهرّبٌ ما: «انطلقوا!» فتحركنا معًا، نحصد الأرز بمناجلنا، وبالطبع كان المرشدون مشغولين بالزمجرة بالأوامر، والمزارعون الدائمون يتظاهرون بأنهم يعملون، والوحيدون الذين يقومون بأي عمل حقيقي كانوا جميعهم أعضاء جمعية الشباب، وقد كان عملًا يقصِم الظُهر،

وعندما مالت الشمس للمغيب، أحسستُ بموجة ارتياح لفكرة أنَّ يوم عملنا على وشك الانتهاء؛ فمع بداية هبوط الظلام، أمرنا أحد المرشدين برصف إطارات سيارات قديمة على الممر بين حقول الأرز، لم تكن لديَّ أدنى فكرة عن الذي أحضر الإطارات، لكننا رصفناها كما وُجِّهنا.

سألت أحد المزارعين: «ما حكاية الإطارات؟».

فأجاب بصوت خافت: «علينا إنهاء الحصاد اليوم، إنها أوامر الجهات العليا».

وعندما حلَّ الليل، أشعل المزارعون الإطارات القديمة، وكان ضوء ألسنة النار النَّتِئة يُمكَّننا من العمل طوال الليل.

لماذا لا نذهب للنوم ونستأنف الحصاد في اليوم التالي؟ لن يبرح الأرز مكانه خلال الست ساعات التالية، ففيم العجلة الشديدة؟ وكانت الإحاية بسيطة: البيروقراطية.

كانت ولجان الإرشاد، المحلية هي التي تدير مزارع القرية، وهذه اللجان مسؤولة عن كلّ شيء: الآلات والري والمواد، ولم يكن لدى المزارعين خِيار سوى اتباع إرشادات اللجنة. كان النظام يُعرف بسومبدأ القابلية للتطبيق هذا ما يحدث للّغة في دول مثل كوريا الشمالية، فالديكتاتورية الشمولية هي «جمهورية ديمقراطية»، والعبودية تُعرف بسد «العِتَّق من العبودية».

لكن علنعد له دميداً القابلية للتطعيق، لم يكن العيروقراطيون المسؤولون عن إبتاح المرارع يأمهون بالموقع إطلاقًا: شمال حنوب شرق، غرب، الأمر سيان، لا يكترثون البئة بالحصائص المتعلقة بعطلة معينة، وكانت السياسات الزراعية الموجّدة وحدة منخشبة تُصور بوصعها حقائق كوبية، وكانوا يتحاهلون تمامًا أي فقروف بيئية معلية ويصدرون الأوامر بعسها للحميع ،التهوا من عرس شتول الأرز بتاريخ ويصدرون الأوامر بعسها للحميع ،التهوا من عرس شتول الأرز بتاريخ كذا ، وهذا هو الموعد النهائي لمحصاداً ، وعلى المرارعين النوام الحدول الزمني بصرف لنظر عن مدى تسلّط الأو من وعرابتها، وأحيانًا كما يعمل طوال الليل.

وإدا تحاسر مرارع واعترض على عربة بعض التوحيهات، يقال له مست عجزت عن إنجاز العمل من وقته هو الصبعف الشديد في ولات لكيم إين سويغ والحرب، وكان الحميع يعرف ما يعنيه هذا عالم يجرّق أحد على التذمو،

كان الجدود وأعضاء حمعية الشباب يُرسلون للعمل في العررع مرتين سنوبُ قحسب، لكن المزارعين الحقيقيين مصطرون للعمر في طل هذه الطروف السحيفة صوال الوقت، وكانوا يعلمون أنهم حميد طالبت عدة عملهم ومهما بداي من حهد الل بُكافؤها على محهودهم وسيكون الأحر التي يتقاصونه مو نقسه، مثان عليهم اثدع إرشدان هواذ لا يعرفون ما يتحدثون عده الدا من المديني أنهم مقدوا كل دعه من يمكنه أن يلومهم؟

كان العمل في المزرعة شاقًا حسبايًا، لكسي كنت مرافقا مناك ما شكلت من التكليف معه، وأكثر ما كرفيه لشال العمل، هو أسي لم يش لمقدوري الاستجماع في نهائة اليوم أعود لي المدرل مكسوً لقشرة من

الطين ومُنتِنا بالعرق، ولا أريد سوى الاغتسال، لكن منزلنا لم يكن مزودًا بحوض استحمام، ولا أي منزل آخر.. في عام 1960، في جنّة الأرض.

وفي النهاية، رقّعنا حوض استحمام مؤقت خاص بنا، وحاولنا استغلاله الاستغلال الأمثل، أتخيل أنّ «العائدين» الآخرين فعلوا الأمر نفسه، لكن هل كانوا يجلسون في أحواضهم الملفقة، كما كنتُ أقعل، ويتأملون الماضي؟ تذكرت حوض الغسيل المضحك في طفولتي، وتذكرت نفسي وأنا أرنو ببصري إلى الغيوم حالِمًا بمستقبل مجهول الاحتمالات، وبدلًا من ذلك، هأنذا أرنو ببصري إلى الجحيم، أظن أنه كان ينبغي لي أن أبكي مِحْنتي، لكنني لم أبكِ، فحتى عندئذٍ، كنتُ قد تخطيت مرحلة البكاء.

أثار حمًّامُنا المتضعضع جنون جيراننا، فقد كان رمزًا للانحلال الياباني في نظرهم، وكان الاستحمام فعلًا برجوازيًا غارقًا في الترف، وكذلك تغيير ملابسنا كل يوم، واتَّهَمَنا جيراننا من كبار السن بأننا نتصرف «كمُلَّاك الأراضي»، لم أفهم في البداية ما كانوا يقصدونه، لكنني استنتجت من نظراتهم التي تفيض كراهية أنهم يشيرون إلى طبقة عُليا مندثرة.

بدا الناس الذين حولي أنهم بالكاد يُغيِّرون ملابسهم أو يغسلونها، وبالكاد يستحِمُّون أو ينظفون أنفسهم، فتغلغلت الأوساخ في أجسادهم وكانوا قذرين على الدوام.

كانت تُجرى حملات نظافة شخصية من حين لآخر، لتفقد القمل في المدارس. إذا كنتَ متَّسِخًا، تُوبَّخ لعدم اعتنائك بالنظافة الشخصية، لكن إذا اعترفتَ بأنك تستجم على الدوام، فستُوبَّخ بدرجة مساوية في هذه الحالة، بتهمة «الانحلال الياباني»، ما من مخرج آمن، كالعادة.

لم أستطِع تقويت الأمر، فقلت لأحد أصدقائي: "قالوا لنا أن نعتني بنظافة أنفسنا، صحيح؟ إن كانوا صادقين، ينبغي لهم تشجيعنا على الاستحمام كلّ يوم"،

«ما الذي تتحدث عنه؟ حمام كلّ يوم؟ لا يدعو لأمر كهذا إلّا ياباني لقيط» أجابني، كأنني اقترحت شيئًا جنونيًّا،

صُدِمت، لم أصدم برأيه بقدر ما صُدمت بنبرة كلامه، إذ كنت أعنقر أنه صديقي، فكيف أمكنه أن يدعوني بـ «الياباني اللقيط» في وجهي؟ عندما أعود بذاكرتي الآن، لا أعتقد أنّ الناس كانوا يُدركون أنّ الكلمة جارحة، فبالنسبة إليهم كان نعتُ اليابانيين باللقطاء مجرد سرد لحقيقة، إذ غُرِس في أذهان الكوريين الشماليين الاعتقاد بأن جميع اليابانيين قساة، وللأمانة، كنت أصف الكوريين الشماليين بـ «البُدائيين»، كم كان يصفهم معظم «العائدين».

في الأوقات التي لا نعمل فيها بالمزارع، تتولى جمعية الشباب أعمالًا أخرى، مثل جمع أيّ موارد يمكن إعادة استخدامها، مثل: خردة الحديد والمطاط والزجاجات الفارغة، والورق المستعمل، وما إلى ذلك، وأحيانًا كنا نؤمر بالبحث عن خردة يمكن استخدامها في صناعة دبًابة أو طائرة، وكان أساتذتنا يتحدثون بلا انقطاع عن أحدث «خطوط إنتاج الدبًابات» أو «خطوط إنتاج الطائرات»، وكلّ شهر يُحدّد عدد الأرطال التي علينا جمعها.

لكن في كوريا الشمائية ما من أحد يُلقِي أيّ شيء ذي قيمة أو يمكن استخدامه؛ لذا كان من المستحيل تحقيق الأهداف التي يحددونها لناء ورغمًا عن هذا، إذا فشل أحدهم في تحقيقها -وهو أمر حتميّ من حين لآخر- يُوبّخ بشدة، كما يوبّخ والداه.

ورغم أنَّ هذا ربما يبدو غريبًا، فقد كان أصعبُ شيء عليَّ جمعه هو جِلْد أرنبين اثنين سنويًا، وهذا كان يُستخدم في صنع القبعات وأغطية الأذنين والقفازات لحماية الجنود من البرد القارس، وكان الأطفال يُشجَعون على تربية الأرانب وجمع الطعام لها في طريق عودتهم من المدرسة، الأمر الذي كان في غاية السُّخف، لأن فُرَصنا في اصطياد أرنب تكاد تكون معدومة، وكلّ مَن يتمكن من اصطياد أرنب يأكله على الفور ويبيع جِلده في سوق المزارعين، إذن ماذا يفعل التلاميذ إذا لم يتمكنوا من اصطياد الأرانب؟ عليهم أن يذهبوا إلى السوق ويبتاعوا جلدًا، لكن الجلد الواحد يكلف أربعة أو خمسة «وونات»، وهو مبلغ ضخم إذا أخذنا في حسباننا أنَّ الراتب السنوي للعامل العادي كان سبعين أو ثمانين في حسباننا أنَّ الراتب السنوي للعامل العادي كان سبعين أو ثمانين

غنيٌ عن القول إنَّ الأساتذة كانوا يُقرِّعون أيِّ تلميذ لم يتمكن من إحضار الجِلدَين المطلوبَين، والآن أتذكر كلماتهم المُرهَبة المتوعَّدة: «إذا لم تتمكن من إحضار جلود الأرانب، فأحضر بعض الأسمنت! وإذا لم تتمكن من إحضار الأسمنت، فأحضر بعض القرميد!».

الأسمنت والقرميد كانا بالطبع قيِّمَين بِعدَّهما موادَّ بناء، وإذا تمكن الأساتذة من تقديم كمية مقبولة من الأسمنت وعدد كافٍ من القرميد لِعلْيَة القوم من أعضاء الحزب، فسينالون رضا المسؤولين؛ لذا كانوا يضغطون على تلاميذهم ليأتوا بالأشياء المفيدة.

وكان آباء التلاميذ المتعثرين في دراستهم يمنحون الأساتذة السجائر والكحول بِعدُها رشوة، لكن الرُّشا لم تكن كافية قط، إذ يضغط الأساتذة بعنف مطالبين بالمزيد ثم المزيد، والتلاميذ الذين لم يعد بمقدورهم تحمُّل المزيد من الرُّشا لم يرغبوا في الذهاب إلى المدرسة.

وفي الشتاء تُوْكل إلينا مهمة جمع حصة من حطب النار والفحم, بعض العائلات لم تكُن تُكلِّف نفسها عناء جمع الحطب وابتكروا حلولا بديلة، إذ كانوا يصنعون الفحم الخاص بهم أو حتى إنهم يحتالون لسرقة الكهرباء لأغراض الطبخ، وهؤلاء الأطفال لم تكن لديهم طريقة للإيفاء بما عليهم، ونتيجة لذلك؛ يركضون في نواحي القرية عشية موعر التسليم، ويسرقون أي حطب وفحم يجدونه.

حالمًا يتجاوز الأفراد سِنَّ المدرسة، يُتوقَّع منهم القيام بمهمُّتين, هما: المساهمة في الإنتاج والمشاركة في العمليات العسكرية. كان النظام بأكمله قائمًا على «الشعارات العسكرية الأربعة»، والعقائر الأساسية هي: «تسليح الشعب بأكمله»، و«تحصين الأمة بأكمله»، و«بناء أمة من القادة العسكريين»، و«إكمال التحديث العسكري»؛ لذلك كُونت ميليشيات عديدة.

وعندما لم تعُد سِنِّي تُناسب جمعية الشباب، لم يعُد أمامي خِيار سوى الانضمام إلى إحدى هذه المليشيات، وقد كان «جيش العمال والمزارعين الأحمر»، وتجنَّدتُ عندما تخرجت في المدرسة الثانوية، وانخرطت في مدة تدريب.

كان التدريب احترافيًا بما فيه الكفاية، تعلمت كيفية حفر الخنادق والقتال لحماية مواقعنا، ودُرِّبنا بِعدِّنا قناصةً تدريبًا جيِّدًا. مجموعات الأفراد الذين اعتادوا العمل معًا شُكِّل منها وحدات عسكرية، وكانت الفكرة هي إمكانية تعبئة الوحدات بسرعة في حال نشوب أزمة، وتُجرَى التدريبات مرتين سنويًا، في أسخن أوقات السنة وأبردها، كنا نفعل أشياء مثل: تسلق جبل أو حفر خنادق في الأرض المتجمدة، ومن البداية ظللت أسأل نفسي سؤالًا واحدًا: ما حكاية مَوس الحزب بعَسكرة الشعب بأكمله؟

عند نهاية إحدى مُدد التدريب القاسية، قلت لأقرب أصدقائي: «رباه! لم أعُد قادرًا على الاستمرار، إنه صعب للغاية!» إذا سمع أحد أفراد الشرطة السرية حتى هذه الشكوى التافهة، لأرسِلت إلى معسكر اعتقال في الحال، لم أكن الوحيد الذي يتذمر، لكنه كان أمرًا محفوفًا بالمخاطر،

كان صعبًا علي استيعاب لماذا لم يبدُ أنَّ أي أحد يُشكُّك في جدوى التدريب، لكن كان علي أن أتذكر أنَّ أدمغتهم غُسِلت منذ أن كانوا أطفالًا بأصوات زمْجَرات الأوامر الهستيرية، فمنذ نعومة أظفارهم كانت تأتيهم الأوامر من أساتذتهم ومن مسؤولي الحزب الذين كانوا يغرسون فيهم الرسائل نفسها يومًا تلو يوم. «أشعل ديكتاتور كوريا الجنوبية الحرب الكورية! كان مناصرًا للإمبريالية الأمريكية! قائد حكومة صُورية! خانع!» ونتيجة لذلك؛ كانت عسكرة الشعب مُبرَّرة تمامًا من وجهة نظرهم، كانوا المنوبية، وكل من يتساءل أو يُشكِّك في هذه الحكمة لا بد أن يكون الجنوبية، وكل من يتساءل أو يُشكِّك في هذه الحكمة لا بد أن يكون معاديًا للثورة ومُحْرَبًا وخائذاً.

Te.egram @mbooks90 معاديًا للثورة ومُحْرَبًا وخائذاً.

وأبتم تتساءلون عما إذا كانت أدمغتهم غُسِلت إلى هذه الدرجة، خذوا في حسبانكم أنَّ الكوريين الشماليين لم يعرفوا ديمقراطية ليبرالية من قبل قط، وليس لديهم مفهوم عن ماهيتها وما تعنيه، لم يعرف رفاقي أو يسمعوا إلا بالحكم الاستعماري على يد اليابان، والديكتاتورية على يد مكيم إيل سونغ»، وقبل ذلك كانت مدة الإقطاع البائسة في عهد السلالات الكورية. لم يعرف الكوريون الشماليون سوى العبودية، ولم يكن لديهم أيُّ شيء ليقارنوا دولتهم به، لأنهم لم يختبروا شيئًا آخر، وحتى عندما يفعل «كيم إيل سونغ» شيئًا وحشيًّا أو فظيعًا، لا يُبدي أيُّ أحد أقل مقدار من الدهشة.. «تذكروا زمن حكم اليابان الاستعماري!»، «لا تنسوا أبدًا

فظاعة الإمبريالية الأمريكية!»، وصدَّقَ الشباب الكوريون الشماليون الدعاية، نظرًا لعدم معرفتهم بأيِّ معلومات أخرى،

حلَّ إبريل من عام 1964، السنة الرابعة لنا في كوريا الشمالية، والطقس شديد البرودة، لا تظننُ أنَّ إبريل ينبغي أن يكون بداية الربيع. إذ كانت الثلوج بالخارج تبلغ خصري، كان يوم 14 من إبريل 1964 هو عيد ميلاد «كيم إيل سونغ»، الذي يُعدُّ أحد أكبر عطلات السنة، وتلك السنة تحديدًا كانت كارثية لأسرتي،

كان الجميع في كوريا الشمالية يحتفلون بذلك اليوم المشؤوم، ويتلقّى كل مزارع رطلين ونصف الرطل من لحم الخنزير، وبعض الحلوى والفواكه، وهذا تُرَف لا يُسمَع به في أيّ وقت آخر من العام، ومن المذهل أنَّ الناس كانوا يُخدَعون بهذه «الهدايا»، ويعتقدون حقَّ أنَّ «كيم إيل سونغ» يهتم بأمرهم. الحيلة لم تنطل عليَّ قط، لكنني وشقيقاتي مع ذلك كنا نتطلع إلى المناسبة بقدر ما يتطلع إليها الآخرون، لحم خنزير وحلويات وفواكه كلها في يوم واحد؟ كان اليوم الوحيد من أيم السنة الذي لا أشعر فيه بالجوع، فما الذي قد لا أحبه؟

خلال سنواتنا الأولى هناك، كان أبي يخرج عشية يوم الاحتفال الكبير ويبيع بعض أغراض المنزل التي جلبناها من اليابان، لكي يتمكن من شراء بعض اللحم والكحول، وعندما يحل اليوم العظيم، يظهر الجيران من حيث لا ندري ليزوروا أمي، التي عادة ما يتجاهلونها ما لم يحتاجوا إلى مساعدتها في ولادة طفل، ولا يكفُّون عن الابتسام في عيد ميلاد الزعيم العظيم.

جاء الناس إلى منزلنا من كل حَدَب وصوب: عِلْية القوم من الحزب والقادة العسكريين، ورجلٌ ما يُعرف بـ «قائد الاشتباك»، ورئيس القرية، والعديد من المتملقين الذين تمكنوا جميعهم بطريقةٍ ما من

الوصول إلى منزلنا رغم وقوعه في أعماق الجبال. لم يكونوا مغفلين، كانوا يعرفون أنَّ لدينا طعامًا شهيًّا وشرابًا سنشاركه مع الجميع، وكانوا يعرفون أنَّ منزلنا الياباني الزَرِيَّ –ويا للمفاجأة!- نظيف، والأهم على الأرجح، كانوا يعرفون أنه ستكون هناك وفرة في الكحول.

في ذلك العام (1964) أوقدت مع أمي النار في المطبخ، وظلّت تطبخ لساعات، وجاء جميع المنافقين والطفيليين وحظُوا بوقت عظيم مستمتعين بثمار مجهوداتها. جميعهم سكروا وضحكوا وغنّوا حتى الواحدة أو الثانية فجرًا، وفي النهاية خرج الجميع في أعقاب بعضهم، ما عدا حلاق اسمه «هان جو هان»، الذي كان تُملًا للغاية بحيث عجز عن الوقوف، قد يبدو هذا غريبًا، لكن الحلاقين كانوا نادرين في كوريا الشمالية أنذاك؛ لذا كان هذا الحلاق صاحب حظوة عند العديد من عِلْية بيته، وبعدما تمكّن أخيرًا من النهوض، ترنّح خارجًا في الظلام، لم تكن توجد مصابيح شوارع، ولم يكن معه مصباح يدوي، والثلوج متراكمة في كل مكان، ومِن الممكن أن يسقط بسهولة في نهر أو ينزلق من حافة طريق جبليّ، لكنه أصرّ على المغادرة، وأنا ووالداي وشقيقاتي كنا في غاية الإرهاق فأوينا إلى الفراش حالمًا غادر.

استيقظتُ شاعرًا بحر لا يطاق، وعندما فتحتُ عيني رأيتُ ألسنة اللهب تلعق السقف، ظننت في البداية أنني أحلم لا بد، ثم قفزتُ من فراشي وصرخت لأوقظ الجميع، لكنهم كانوا يغطُون في نوم عميق، وبطونهم مليئة بالطعام الجيد، هززت أبي وأمي ثم شقيقاتي، وأنا أصرخ بهم لأوقظهم، خفق قلبي بشدة، وكنت متأكدًا أننا سنموت جميعًا، وفي النهاية نجحتُ في إيقاظهم، وعندما رأوا ما يحدث قفزوا خارجين.

لم يتسنُّ لنا الوقت لنرتدي ملابسنا أو لنحمل أيِّ شيء معنا، وبعر ثوانٍ من مغادرتنا المبنى المشتعل.. انهار بأكمله، نجونًا بأعجوبة حقًا، وما زلت أرى كوابيسَ عن الحريق إلى اليوم.

اتّضح أنّ الحلاق المحتفل هو الذي تسبّب في الحريق، فعندما اصطدم بالتلوج التي يتعذّر اختراقها، مع سُكْره، عاد أدراجه متعثر إلى منزلنا، لكنه بدلًا من الدخول، ترنّح إلى السقيفة حيث كنا نحتفظ بالقش والحطب، ثم سوّى لنفسه فراشًا من القش، وفي غمرة سُكُره أشعل سيجارة وغرق في النوم على الفور؛ فاشتعل المكان مثل علبة مفرقعات، ويبدو أنه استيقظ وحاول أن يصرخ، لكنه كان مذعورًا وقد أخذ السُكْر منه كل مأخذ بحيث عجز عن فعل أيّ شيء، فزحف مبتعدًا في الظلام.

وسرعان ما خرج عددٌ من أهل القرية إلى الشارع واندفعوا وَجِبين لمساعدتنا في محاولة إخماد النيران، فشكّل بعضهم صفًا من البئر إلى المنزل ومرَّروا دلاء الماء، وآخرون جلبوا الماء من حقل الأرز في أيّ وعاء عثروا عليه، حتى إنَّ بعضهم حاولوا استخدام الثلوج، لكن جهودهم كانت عقيمة، واحترق منزلنا تمامًا، ومعه كل ما نملكه، وأصبحنا بلا مأوى في لمح البصر، لم يسعني سوى الإحساس بأننا ملعونون.

ذهبت مع أبي في الصباح التالي لمقابلة المسؤولين أنفسهم الذين استعتعوا بضيافتنا في اليوم السابق، وسألنا عما إذا كان بمقدور الحزب مساعدتنا، قبل أقل من أربع وعشرين ساعة تناولوا طعامنا مبتهجين وثملوا بالكحول التي اشتراها أبي، والآن غيروا نبرة حديثهم تغييرًا تامًا؛ «ما الذي تتحدث عنه أيها الياباني اللقيط؟ لماذا ينبغي لنا توفير سكن لكم؟ لكن سنمنحكم إعفاءً خاصًا لقَطْع بعض الأشجار حتى تتمكنوا من بناء منزل جديد لأسرتكم، هذا هو قرار الحزب»، هكذا قالوا، ومن

الواضح أنهم كانوا راضين عن أنفسهم بشأن ما عدُّوه بادرة سخيَّة، وقد اشعرني نفاقهم بالغثيان.

ذهبنا مباشرة إلى كبير العمال، المسؤول عن قسم الصيانة، لنستعير عربة ثيران، وانتشلت أمي بعض الأرز وموقد الفحم من حطام منزلنا المحترق، وأعدّت لنا كُرتي أرز كبيرتين، ثم انطلقت مع أبي إلى الغابة التي تبعد قرابة خمسة أميال من القرية، أخبرنا شرطي بالمكان الذي يمكننا أن نقطع منه بعض الأشجار، وشرعنا في العمل دونما إبطاء، وبعدما قطعنا اثنتي عشرة شجرة، أخذنا استراحة غداء.

قال أبي لي: «كُلُ كُرتَي الأرز الاثنتين».

شعرتُ بالحرج الشديد محاولًا إعادة كرة أرز واحدة، إذ لم أكن معتادًا على عطفه أو مراعاته.

قلت: «لا، لا، لا.. لنتشاركهما».

لكنه دفعني عنه، ففقدتُ توازني وسقطت، وانزلَقَتْ كرتا الأرز من يديً وتدحرجتا إلى المنحدر، فطاردهما أبي واستعادهما، كانتا مغطّيتين بالطين، لكن أبي ناولهما إياي على أيّ حال، قائلًا: «أمك أعدَّتهما لك؛ لذا كُلهما فحسب!»، ولدهشتي أجهشَ بالبكاء، لم أرّه يبكي أو يُظهِر عاطفة من قبل قط، فبدأت أنتحب أنا أيضًا بطبيعة الحال، وبطريقةٍ ما، جعل إظهار أبي مشاعرَه كلَّ شيء يبدو أسوأ بكثير، لكنني بالتأكيد ازدردت كُرتي الأرز.، بَدْرة حُبِّي لأبي -التي غرستُها عندما وصلنا أول مرة- بدأت تنمو.

كان ثمة شخص واحد في القرية يعاملنا بلطف، اسمه السيد «تشون»، وهو حدًاد، حاول إبهاج أمي التي بلغت الحضيض، ومتى ما شكرناه على الطعام القليل الذي يتدبّره لنا أو أعربنا عن شُكرنا له

المرهر ما ينا وتفقيبا، كان يقول يسلطة: «المرة القادمة، سوف تكونون أبدم الدرر، بساعد ويدي لم لش معظم أهل القرية تجاهلونا، حتى إنَّ معصهم بدا سعيدا بدمار ميزايا، كانوا يعارمن منا منذ وصولنا، والأر شمروا بأنهم لنبعموا لأنفسهم، وأمد لمادا يعبش هؤلاء اليابانيون اللقطاء في مدرل أفصل من منازلتا؟ لماذا يضنئي للعائدين السكن في مثل هذا المبرل الحميل؟ من لم يكن مترابيا الذي هو عبارة عن كوخ رأوسيل من منازلهم ، انظيم بيل كان مسقوفا بالبلاط فحوس، لكن هنز عار عاميا لغارة حيفهم، ومالوا الشيء تقسه عن ملابستا اليابانية التي يا، المانية ورفيسو ، أو أن البالي يوما في إثر يوم، وبعيدة كل البعد م الموصية الزائم مراجيها كانت مُضَعَة بالنسية الديهم، وفي أثناء ترتيب حطام مبرانا المحترف كال تغص مكلي القرية يسيرون عابرين وهم يسمع يشمانه ماعره لم يسعني سهي ملاحظة أنهم الأشخاص أنفسهم الزبر التهمها بالبراهد بطناق امي وأسرقوا في شرب حمر أبي عييل أيلم محييت وعندك عرأت أتعلهم يست والبدائيس و

عددها درأرا عي بداء المدرل، خان السيد «تشون» هو الوحيد الذي ماعدده من أهل الفرية أولا أحدنا الأشجار التي قطعناها من العدة إلى مدارة لمعالحتها، ثم وبسعنا أساسات المنزل مستخدمين حجارة حمعناها من قرب الدهر، واستخرجت أمي وشقيقاتي الطين الذي سنستحدم عي ساء الجدران، وبعد بضعة أسابيع، صبعنا سقفا من الفش بفينا من المطر، ورعم أننا شعرنا بشيء من الارتباح عندما اكتمل المدرل، كما لا برال نفتقر إلى الأثاث والطعام والملابس، فاضطن أبي لإنفاق معظم عبرانية المنزل الضنيلة لشرا، بعض المواد العذائية المنزل الضنيلة لشرا، بعض المواد العذائية الأساسية من سوق المرارعين، ولم يكن لدينا مال يكفي للملابس؛ لنا الأساسية من سوق المرارعين، ولم يكن لدينا مال يكفي للملابس؛ لنا

كان لدى كلَّ منا زيَّان فحسب، وتعيَّن علينا تدبُّر أمرنا دون ملابس داخلية،

وطوال هذه المدة، طلّت أمي تقول مرارًا وتكرارًا: «أنا أسفة جدًّا! أنا آسفة جدًّا!»،

وقال أبي وأما اسف أبضًا، دائمًا ما أحمل حياتكم صعبة ومحددًا، طيدمت بكلماته، إذ بدا أنه عبار رحلًا محتلماً. شعرتُ بالتشوُّش، كانت المرة الأولى الذي أرى فيها أبي يعتبي بأمي، وهو تطورُ مُرحَب به بالطبع، لكن في الوقت نفسه، قلتُ لنفسي، أهدا ما ينطلبه الأمر لنحمل أبي على الاعتباء بأمي الدمار الشامل داأنه استعرق وقتًا طويلًا جدًا ليبلغ هذه المرحلة.

أسان حتى الله عن سبب احدة في الشديد في خوريا الشمالية عن الرحد الذي كانه في الدان المت أخل أن للأمر علاقة بقوته الحسابة، فهي التي معجته سنطة حقيقية في البانان، لش في خوريا الشمالية صدرت قوته بلا معنى، وفي الواقع خالب عبنا عليه أخثر من كوليد عبرة التبني أخل أن العسألة أعقد من هذا فقي البانان واحه الكثير من المعضد والمحير والتعبير، والطريقة الوحيدة التي خال فالرا بها عبى التعليد عن مشاعرة والمقامعة، في العنف، بين الدان الحسيما كان يرى - كان يقاتل ليدافع عن إخوته الكوريين،

بدأ أبي تدريحنا بتحدث عن عادمته بعدما الثقابا الي النهاج العقوم العنفضع الذي بنيناه.

وما الشابياعل عليا في الاشياء القديمة لغسها في لما التي الذي مثلث له مصدر امتعاص ومن يمكنه أن يلومه أكان لغوا الأبال وكلب يُصدُق، حاولت حقا أن أفائل من أحل ألله وطلبي في البادان، وكلب

لأموت من أجلهم، وبماذا جُوزيتُ؟، وعندها يومئ إلى محيطنا قائلُا: «هذاا»،

وأحيانًا يعجز عن احتواء غضبه وإحباطه، «لا أصدق الطريقة التي خدعني بها أولئك الناس! يا ماساجي، إذا تمكنت من العودة إلى اليابان فأخبرهم برأيي فيهم!»،

من الغريب أنني لم أسمعه قط يلوم النظام السياسي في كوريا الشمالية أو يتذمر منه، وأدركت أخيرًا أنه لم يختبر الحرية الحقيقية قط، فهو وُلد في ظل الحكم الاستعماري الياباني، ثم نُقل قسريًا إلى حياة عبودية العمل في اليابان، ولم يعرف شيئًا آخر، فهذا ربما ينشر لماذا أصبح لا مباليًا ومثقبًلًا وضعه بمرور الوقت.

لكن خوف أمي كان يشتدُّ بمرور كل يوم.

جاءنا شرطي شاب بعد وقت ليس بالطويل من انتقالنا إلى كوخنا المتداعي، ووفقًا لما قاله، كان ثمة خلل في سجل أُسْرتنا، إذ شجّلت جنسية أمي على أنها يابانية، وسُجّل اسمها بعميوكو إيشيكاواء.

«يجب عليك أن تغيري اسمك!» صاح وهو يرمق أمي بنظرة نارية.

قلت: «إنها يابانية، وليست بحاجة إلى تغيير اسمهاء.

فأخذ يخور في وجهها: «إنك تعيشين في كوريا الشمالية. يجب أن تغيّري اسمك! يجب أن تستخدمي اسمًا كوريًّا!».

قلتُ راكضًا لأدافع عنها: «لا تلمسها، إذا لمست شعرة منها، فسأقتلك!».

فبدا أقلُّ ثقة بنفسه عندما سمع كلامي.

لم تفهم أمي كلمة مما قاله، لكن رغم ذلك بدت في غاية الخوف،

أرجَعُ الشرطي كتفيه ونفخ صدره في محاولة غير مقنعة ليبدى ضخمًا، ودمدم: «حسنًا، غيري اسمك.، حتى المرة القادمة!».

أيًّا كان ما يعنيه بذلك، التفتُّ إلى أمي وقلتُ لها ألَّا تقلق، ولم أرغب في قول المزيد خشية إقلاقها.

تنهدتُ وأمسكت بحقيبتها المصنوعة من الخيش، وبَدت في غاية الوهن والإرهاق، كما لو أنها لم تعُد لديها القوة حتى لتكون خائفة.

عليَّ الذهاب لأبحث عن طعام للعشاء.

وسارت بتثاقل إلى الجبل لتبحث عن السرخس والفطر البري، أو أي شيء قابل للأكل ولو قليلًا، كانت ترتدي بنطال عمل منتفخًا فضفاضًا غُشِيَته الرُّقع، وتنتعل حذاء مهترئًا، أردتُ أن أبكي كما كانت تبكي أحيانًا، إذ غائبًا ما كانت تنهار باكية وتنشج لساعات، وكنت أحاول تعزيتها، بيد أننى لم أجد الكلمات. لا وجود لها.

اعتقدتُ حقًا عندما كنت في المدرسة الثانوية أنني إذا درست بجد، فسأتمكن من إيجاد مَخرَج من مأزقي وإنقاذ أسرتي، ورغمًا عن فاجعة حريق المنزل والتمييز الذي نواجهه كلّ يوم، كنتُ مقتنعًا تمام الاقتناع أنني إذا بذلت المجهود الكافي، فسأتمكن من انتشال نفسي من هذه المحنة الفظيعة وإيجاد سبيل إلى حياة أفضل لي ولأسرتي، ومع اقتراب موعد التّخرُج، ذاكرت دروسي بجد كما لم أذاكر من قبل،

وذات يوم، قبل ثلاثة أشهر من التّخرُّج، أعطانا الأستاذ استمارة، وكان علينا كتابة ما نريد أن نفعله بعد التخرج ووصْف أحلامنا المستقبلية، وكانت عملية قاسية ومؤلمة بما أننا لم يكُن لدينا اختيار حقيقي في الأمر، بيد أننى لم أكُن أعرف هذا بعد، كانت الفيزياء مادتي المفضلة، وأردتُ دراستها في الجامعة ومن ثم أُصبح باحثًا، فكتبتُ مُفُعَمًا بروح المسؤولية:

«أريد دخول الجامعة ودراسة الفيزياء».

سألني أحدهم عما كتبته.. فأخبرته، وسمع بعض زملائي ما ألله فانفجروا ضاحكين عليًّ.

قال أحد زملائي: «ها! هذا الشاب يريد الدخول إلى الجامعة».

وبدأ مَزيدٌ منهم يضحكون، لم أستوعب الأمر، كما يمكنكم التخيل، ففقدت أعصابي وقلت: «أجل، أريد دخول الجامعة، ما المشكلة في هذا؟».

اكتشفتُها في اليوم التالي خلال جلسة استشارتي، التي تلطّه بتقديمها لي مديرُ المدرسة وأستاذُ صفّي، واتضح أنّ هده والاستشارة الأكاديمية والمهنية، ليست سوى أضحوكة، إذ عَلِمت أنه بعد التخرج في المدرسة الثانوية في كوريا الشمالية، توجد ثلاثة مسارات على المرء الاختيار منها، بيد أنها لا وجود لها، ففي الواقع، يُختار مسارك نيابة عنك، إذا كنت ذكيًّا، وكان ميلادك وخلفيتك جيدين بما فيه الكفاية، فسوف تُرسل إلى الجامعة، وإذا كنت قويًا جسديًّا، فسوف تذهب إلى الأكاديمية العسكرية أو تصبح جنديًا عاديًّا، ويُرسل البقية إلى أماكن العمل بوصفهم عمالًا، لم يكن أهم عامل في تحديد المسار هو مدى اجتهادك، بل الطبقة التي تنتمي إليها.

كانت الطبقات الثلاث هي «الموالية» (أو المركز)، و«الأساسية» (أو المتأرجحة)، و«المعادية»، وثلاثة معايير تحدد طبقتك: ميلادك وخلفيتك، وما تُظهره من ولاء للحزب، وصلاتك، أما الإنجازات الأكاديمية

لم تكن لها علاقة بالأمر، مهما كان تميزها. حياتك بأكملها تُحدُّد بالطبقة التي تُصنَف فيها، إذا صُنفَت «مركزًا»، فسينتظرك مستقبل زاه، لكن إذا صُنفتَ «معاديًا»، فأنت أوضع الناس قذرًا وستبقى هكذا مدى الحياة، ما من مسار مهني، وما من فرصة لتحسين وضعك، وما من مُخرج،

اتضح أنَّ مدير المدرسة لم يكن سوى عضو حزب آخر، وفي ذلك اليوم بالتحديد، كانت مهمته هي إخطاري بالطبقة التي وُضعتُ فيها، وقيل لي إنني صُنَفتُ «معاديًا»،. وقُضِي الأمر.

دار رأسي، وأحسست كما لو أنني على وشك الغوص في الأرض، كأنني أسقط في غور سحيق، واحتشدت الأسئلة في رأسي.. صنفتُ؟ مَن ذا الذي نصّب نفسه قاضيًا؟ ولماذا؟ ألم أجتهد في دراستي؟ ألم أعمل بجدً من أجل الحزب؟ هل كان كل شيء إهدارًا للوقت والجهد؟ ماذا سيحدث لأسرتي الآن؟

كنت أعرف أنَّ كوريا الشمالية ليست «جنة الأرض» منذ أن وطِئت قدماي ترابها، لكنني اعتقدت أنَّ دخول الجامعة هو فرصتي الوحيدة لتحسين وضعي؛ فدخول الجامعة، عندما كنا في اليابان، كان أحد الإغراءات للانتقال إلى كوريا الشمالية، وعدونا بأننا سنحصل على تعليم جيد مجانًا، كان حافزًا كبيرًا، لكن أيضًا كذبة محضة صفيقة، يصعب التعبير بالكلمات عما فعله بي هذا الاكتشاف، تشظيت تمامًا، إدراك أنني كُتِبُ عليَّ إمضاء بقية حياتي في قاع المجتمع دون فرصة للخروج، وقع على رأسي كانهيار جليدي، فقدتُ كل أملٍ في المستقبل، وشعرت كأن جزءًا مني مات في ذلك اليوم،

وفي اليوم التالي، وصلتْ وثائق ما من مكتب اللجنة الشعبية إلى العمال، ولإدراكي أنّه لا يوجد مقدار من الجهد أو العمل يمكن أن يُحدث أيّ فرق في مستقبلي، لم أكترث بنوع العمل الذي سوف أحصل عليه..

باستثناء واحد؛ إذا أصبحتُ مزارعًا، فما من أمل في ترقية. وما من أمل في ترقية. وما من أمل في مغادرة القرية، مثل أبي؛ لذا عندما حان وقت مُلء الجزء من الاستمارة، حيث تُحدِّدُ نوع العمل الذي تأمل مزاولته، كتبتُ:

«عامل مصنع»

وفي الواقع لم يكن يهم ما تكتُبه؛ لذا فحتى «أمنيتي» المثيرة للشعقة بالعمل في مصنع رُفضَتْ، وقُرِّر عليَّ العمل في مزرعة القرية، وعدم جاء المرشد من اللجنة الشعبية المحلية ليعلن مكان عملي، لا بدأل خيبتي كانت بادية، لأنه زعق بي فجأة: «ابن المزارع يجب أل يكون مزارعًا، هذا هو الحال في هذا البلد، وينبغي لك أن تكون شاكرُ لأك وأمثال أسرتك تَجِدون عملًا أصلًا»،

ثم قال لي على سبيل العزاء: إنَّ الزراعة ليست أسوأ مهنة، فهي مني نهاية المطاف أفضل من العمل في منجم فحم، وإنَّ الناس من أمثاك الذين جاؤوا من اليابان، أوضعُ الناس قَدْرًا - ينبغي أن يكونوا شاكرين لحظهم السعيد.

كنت أعلم بطبيعة الحال أنَّ الحزب مُعادِ لنا، لكنني لم أدرك حتى تك اللحظة أنها سياسة مُتعمَّدة تهدف لوضع اليابانيين في قاع المجتمع، وصُعقتُ بأن ذلك الرجل قد يعترف بشيء كهذا صراحةً.

استطعتُ فعله هو أن أهيم على وجهي ناحية الجبل وأبكي، قال أحدهم استطعتُ فعله هو أن أهيم على وجهي ناحية الجبل وأبكي، قال أحدهم ذات مرة: «لو كان بإمكان طفل يبكي أن يهدم الكون، لفعله».. كان هذا هو إحساسي يومئذٍ، أردت أن أهدم الكون بأكمله، لكن الحقيقة المحزنة كانت أنه انهار فوق رأسي بألفعل.

لم يكن بمستطاعي الصراخ والبكاء والتنفيس عن يأسي في المنزل، إن أمي ستسمعني، وهي التي بَلغتُ خاتمة اصطبارها، ولم أحتمل أن أسبّبَ لها مزيدًا من المعاناة، كما لم أعرف كيف أحدّث شقيقاتي عن مشاعري، إذ لم أرغب في تحطيمهن أيضًا؛ لذا لُذُتُ بالصمت في المنزل ورُحتُ ألعن قدري بصمت، وعلمتُ عندئذِ أنني قُدُرَتُ لي حياة جحيم على الأرض، وليس ثُمّة شيء يمكنني فعله.. إطلاقًا.

وقبل أن أبدأ عملي الجديد، حاولت اتخاذ مدخل فلسفي لمستقبل العمل في الزراعة، وقلت لنفسي إن المزارعين يكُذُون في العمل في جميع أركان المعمورة، إنها حياة قاسية مليئة بالأيام الشاقة، لكن بها شيئًا من كرامة، أو حتى نُبلًا، لا.. هذه ليست الكلمة الصحيحة، ثمّة جلال بشأنها، فحتى عندما كنت أستدعى للعمل في مزرعة في أيام المدرسة الإعدادية، دائمًا ما كنت أشعر بأنني أساهم مساهمة صغيرة في سبيل مسعى أكبر بكثير. تشتمل الزراعة على العديد من الأجزاء الصغيرة، كلٌ منها يقتضي الجهد والكدح، بلا ريب، لكن كلّ جزء يتطلب مجموعة من المهارات ونوعًا من الحكمة.

كانت فكرة جميلة، وحالمًا بدأت العمل بدوام كامل في المزرعة، تذكّرتُ الأسلوب الكوري الشمالي في الزراعة، الذي شهدْتُه في أيام جمعية الشباب، كان أسلوبًا غبيًا غاية في البُدائية، وكالعادة.. كان الحزب يُشْهِر سياساته بشعارات هستيرية سخيفة: «ازرعوا الأرز في جميع نواحي البلاد! احصدوا في جميع نواحي البلاد!»، وإلى يومنا هذا أنكمِش عندما أتذكر هذه العبارات،

عندما كنت طفلًا في اليابان، كنت أحيانًا أشاهد المزارعين وهم يعملون، وحتى آنذاك، خطر لي أنَّ زراعة المحاصيل تشبه قليلًا تربية الأطفال، كان المزارعون يتعهدون محاصيلهم بالعناية، ويعاملونها بحب ورعاية، أما في كوريا الشمالية، قال مرشدونا إنَّ النظام الياباني غير فعًال على نحو ميؤوس منه، «بلادنا تستخدم مبدأ جوتشي في الزراعة، عليك أن تروِّض الأرض وتغدو سيدها، فهذه هي الطريقة الوحيدة لحصد كميات صحمة من المحاصيل!»، ونموذج جوتشي في الزراعة أساسه معاملة زراعة الأرر كأنها إنتاج صناعي بكميات ضخمة. قرونُ من تقنيات زراعة الأرر عُوملت بازدراء تام، كنا نؤمر بإقحام الشُنُول عرينا من بعضها، وبزراعة المزيد، والرراعة بسرعة قدر الإمكان، كان المزارعون يعرفون أفضل من هذا، لكن ليس بيدهم حيلة سوى تنفيذ ما المزارعون به، معتقرين للدافع عن غعل ما هو أعضل.

فبحلول الوقت الذي بدأتُ فيه الرراعة، كان كل هذا الهراء قائمًا منذ عدة طويلة، ولا بد أن أعضاء الحرب أدركوا أنّ الأمور لا تسير كما يتبعي، لأنهم بدؤوا بالسماح للعائلات الزراعية بتكوين مجموعات وأحد عقود إيجار قطع صغيرة من الأرض، وكانت الفكرة هي زيادة دامعية العزارعين. لكنهم أغسدوا الأمر مجددًا: إد لا يهم مقدار الجهد الذي يبذله العرارع في قطعة أرضه المستقلة، أو مقدار الغذاء الذي ينتجه بالفعل؛ لأن الحزب بأخذه بنساطة، ولا يهم مدى العناية التي يوليها لمحصوله، فالحصة السنوية المخصصة له تبقى هي نفسها، أيّ دافعية توفرها فده الممارسة؟

وغي هذه الأثناء، ما غتى من يُسمّون بالخبراء الزراعيين بُزمجرون بإدحال الألات عي تقنياتنا الرراعية، واستخدام المُحصّبات الكيميشة الجديدة، كنا نُؤمر بفعل المستحيل،

والأمر الدي كان يثير جنوني أنبي لم أكن أستطيع الدهاب إلى المارل مباشرة بعد العمل، كان علي أن أسجّل احمالي إنتاحي اليومي قبل أن أعادر، ثم عليّ أن أحصر، مرتين أسبوعيا، اجتماع تفاكر أيديولوجي من

نوع ما، مهما كنت مرهفًا، كما نشرني، أسبوعًا تلو أسبوع، بأفكار مكيم إلى سويع، والتاريخ البطولي لحرب العمال الكوري، أو بتحليل رصيب لمقالة سعيفة في صحيفة الحرب، وبعد الاحتماع، بأرغم على النقاء ليقاشات وأحديث إصافية، دائمًا ما تحلّص إلى البنيجة بفسها عبقرية بقلسفة السياسية عند دليم إيل سويع، فيقعد متطاهرين باهتمامنا بأحر تأمّدت رعيمه الهمام، أغيرص أنه بمكن تسميتها بفسيل دماع من يوع عد، لكن عثمانة، حمده شنا من الإرهاق بعجر عن الانتفاه، لذي إدا كنت أحقق بما فيه التقائمة التعيب عن احتماع تفاكري واحد، فسيُشته بعرب وتُوضع تحت رقايه شريفة سارية، وكأنما على هذا ليس كافيًا، كن عبد أيض حثمان مها بة شاريت حيش العمال والمرابيين الأحمر عرش سيويّا، وفي بهاية المصاف التراب حيش العمال والمرابيين الأحمر عرش سيويّا، وفي بهاية المصاف التراب حيش العمال والمرابيين الأحمر التقاهر، جميعنا، وفي بهاية المصاف التراب يهم هو ما إدا كان ولاؤنا حاكية إلى سويع، يدو قابط المصديق أم لا إدا أصبحنا بارعيل في التقاهر، جميعنا، وألّا للقينا حثفنا.

ك سمع كلمة حوتشي المفخوحة الدعيضة أينما دهبه المهدج حوثشي الدورية عربة حالة والما الدورية عربة حرث المفقد عوتشي الدورية عربة حربة المائة ألى المفتاء الكلمة في الواقع.

يمكن أن أنت حم خطمة بعدة بعال قد تعلى الاعتماد على معال أو لحكم عاتي، والاستعال أي حميم الاغيد، التي نكا بح ومين منها، ووفق الله عليمية الله حميم الاغيد، التي نكا بح ومين منها، ووفق الله عليمية الله حميم الدغير والمشاهم العالم على حقيم تقرير كل شيء ، وتوحى بابنا بمنت أن بعد بنياء الاعماد ويشق لأنفست طريقة على الحياة، وبنت أميد، على الاياب وقد على هذا مثيرا للصحد بطبيعة بحال على هذه هي طريقه الأنظمة الشمورية باتماد تقلب لبعة إنسا على عقب العنويات حرية والمماع بحدو، والدولة

البوليسية جمهورية ديمقراطية، ونحن كنا «الأسياد على أقدارنا» وإذا رَجَوّنا أمرًا مختلفًا، فنحن في عِداد الموتى.

حتى والناس بواجهون الفاقة والحرمان من أيّ تنوع مادي أو معنوي، ويُهلكون في ظل نقص الغذاء، لم يكن مسموحٌ لنا بالتفكير من أجل أنفسنا أو اتخاذ أيّ مبادرة، فعقوبة التفكير هي الموت. لن يمكنني أبدًا مسامحة «كيم إيل سونغ» على حرماننا من الحق في التفكير.

وبعد بضعة أشهر، طلبتُ نقلي إلى «قسم الآلات»، الذي كان على وشك المحصول على ثلاثة جرَّارات زراعية روسية، كانت ساعات عمل سائقي الجرَّارات تُحسب مضاعفة؛ لذا كان من الطبيعي أن يرغب أي أحد في أن يكون سائق جرَّار، وفوجئت بالكاد عندما وجدتُ التعيِّر المعتاد عندما تقدَّمتُ بطلبي أول مرة.

- أندرك أنّ الجرارات تُقتادُ على الطرق؟
 - امم، نعم.
- وتدرك أنَّ الطرق في هذه البلاد تُصنَّف أسرارًا عسكرية؟
 - هه؟

الغريب أنّ هذه كانت الحقيقة، في ذلك الوقت جميع السكك الحديدية والطرق والأنهار كانت أسرارًا عسكرية، ينبغي لك ألّا تكشف مواقعها إلّا على فراش الموت.

ألا يخطر لك أن شخصًا مثلك ينبغي ألا يعرف هذه المعلومات؟
 شخص مثلي.. مشروع خائن ياباني، لكنني رفضت قبول رفض آخر، فكتبت إلى اللجنة الشعبية في القرية:

«كما تعرفون، لقد عملت جاهدًا من أجل بناء المستقبل الاشتراكي العظيم لوطننا، والآن أريد بذل مزيد من الجهد! لذا أتمنى أن أكون سائق جرار، يروقني أنّ الجرارات تسير مسافات طويلة، ولن أتذكر أبدًا المسار من الرحلة إلى التي بعدها، لكنني سوف أبذل كل ما بوسعي».

ولدهشتي الشديدة، قبلوا طلبي! تلقيت بضعة دروس قيادة واجتزت اختبار قيادة الجرار من المحاولة الأولى، وأخيرًا بدأت الأحوال تُبشّر بخير.

غي ذلك الوقت نفسه، نقل أبي عجأة من المزرعة إلى جمعية تعاونية من نوع ما لإنتاج الفواكه، ولا أحد يدري لماذا، لكنه استمر في العمل حتى كأد يُقضم ظهره، وأنا كذلك. لكن مهما عملنا بكذً، لم يكن بمقدورنا كسب ما يكفي لإعالة أسرتنا، شقيقاتي كُنَّ لا يزلن في المدرسة، ولن أنسى أبدًا مدى شعورنا بالتفاهة لعدم مقدرتنا على إعالتهن كما ينبغي، لا يمكنني حتى وصف اليأس والكآبة التي كنتُ أشعر بهما وأنا أدخل منزلي في «دونغ تشونغ ري»، بعد يوم عمل طويل وأواجه حوعهن، فمهما ععلنا، لم يكن يتوفّر طعام كافِ للجميع.

يحصل المرء - بطريًا - إذا كان يصحة جيدة، على سبعمئة جرام من الطعام في اليوم، وكبار السن والمرضى يحصلون على ثلاثمئة جرام في اليوم، أجل. هذا صحيح، إذا كان المرء مريضًا أو مُستًا فسيعاقب، لكن الواقع كان أسوأ، الواقع كان «لا عمل، لا عشاء»! لذا كان كنار السن يضطرون للعمل حتى يموتوا . كانوا يموتون بالععل.

كانت أمي لا تزال ممنوعة من العمل، ولا تزال تدهب إلى الجس يوميًا لتجمع الفطر والأعشاب، فنأكل بعضًا منهما، وتبيع الباقي في السوق

السوداء التي تداهمها الشرطة السرية من حين لآخر، ودائمًا ما يكوز أحد الباعة مكلَّفًا بمراقبة ظهورهم، ومتى ما صاح «الشرطة!»، يتلاشي تجار السوق في الحال، وكانوا من وقت لآخر يتمكنون من رَشُو الشرطة حتى تدعهم وشأنهم، لكن كان عليهم أن يكونوا أذكياء؛ لأن الشرطة يمكن أن تتنكَّر لهم دون تردد.

كنا نُبقِي على حيواتنا بالكاد، وكلّ ما نجده ننققه على الطعام، لكن بطريقة ما، كنتُ لا أزال أعتقد أنني يمكنني، بمعجزة ما، أن أجد عملًا أفضل، ورغم هذا، عليّ أن أعترف بأنني استمتعت بقيادة الجرار. كنا نعيش تحت رقابة دائمة وخانقة بحيث نعجز عن التنفس، لكنني على متن الجرار كنت حرًا على نحو غريب، كانت إحدى الأوقات القليلة التي أكون قبها وحدي في عالمي الخاص، وكنت قادرًا على استطلاع الأشياء دون أن يراقبني أحد، لن أستطيع التعبير عن مدى بهجتي بذلك،

استهزأ الناس بي، وكانوا يسألونني: «ما الذي تفعله بحق السماء؟ Telegrara @mbooks90
لماذا تجتهد في عملك؟، إذ لم يفهموا أن قيادة ذلك الجرار كانت الحرية الوحيدة التي لدي، ومُتنَفّسي الوحيد من الأوامر والإهانات التي تبهر علينا يومًا بعد يوم؛ لذلك.. لا، لم أكن مجنونًا، كان العمل ملاذي الوحيد وحقًا استمتعت بقيادة ذلك الجرّار.

الفصل الثالث

يثيّه مقوله، والسرى والسعادة بيدهان بمصهمان وأرى أنّ الذاس الدين بعيشور. أوقاتًا منساوية من الحرن والسعادة في حيواتهم، لا يد أر يكونوا مخطوطين للعاية؛ إذ تعيش يعيش الناس حياةً لا شيء فيها صوى الأسيء، أعرف هذا تمام المعرفة،

تُصيبية سائو حرّار في صيف ناطالا الويعدها وقات قصدي وصلتُ إرسالة عبر الصليب الأحمر من شفيو أمي في الناباء ، وتحاول الوقت لذي تلقيباها عنه، كانت قد سال حثرُها وطويت رواياها، كانت أمي قد أرسبت لأقاربها عده رسائل حلال السنوات السابقة، لكنها لم تتلقّ أي رد.

وعسما وصلت هذه الرسالة، فتستُها أمي بلهفة حامدة، وقرأتُها قراءة صامتة سريعة، لكن عندما بلغت الصفحة الثانية، سقطت الرسالة من يديها، وتهالكت هي على الأرضية.

> فركضتُ إبيها وسألتها: «أمي! ما الخطب؟ منا حدث؟ « والتقطتُ الرسالة ورأيتُ أنها تحمل حدر عود اعها:

> > «كانت أمُّكِ تنادى اسمَكِ عندما رهاتُ»،

استحصرتُ كلمات حدثي الأحيرة لي، قالت. «أبت فاللي»، وأبدار مدى الحرن في عينيها، كانت تعرف الثاريخ، وتفهم الأشياء الفظيعة

التي تجري في ظل الحكم الاستعماري، وكنتُ أعرف أنَّ جدتي حاولت ثني أمي عن مغادرة اليابان، لكن بلا جدوى، ولا أزال أتدكر بحثي عنها في محطة «شيناغاوا»، لكنها لم تأت لتودّعنا.

بعد موت جدتي، سرعان ما خفرت التجاعيد العميقة على وجه امي وصارت محاة أكثر دنولًا وإنهاكا وهشاشة، لم تكن تحاعيد التقرم غي السن، بل تجاعيد الألم أردتُ أن أجعل حياتها أسهل، لكن لم يلم لي سبيل لفعل ذلك، مهما سالتُ من محهود، تظل حديثة طعامنا على حالها. كل شيء يظل على حاله.

وسرعان ما أنزل بنا مزيدٌ من البؤس...

دات يوم مشمس عن بداية بيع 1968، جاءت شاحنة وهي تهدر إلى قريند. وتلتها شاحنة الحرى ثم احرى، وغجأة اجتاحت وحدة عسكرية القرية ونوقفت، غامرت أحدهم بالنجمع، وهو الذي بدا أنه قايدهم

حدَجنا بنظرة ارتباب وأعلى: «ستُعدُ هذه القرية ش حامينا العسكرية».

ثم ساروا مبتعدين،

حامية؟ عادة ما تصف الحامية موقعا محصّبا، حيث يُقيم الحود عسم يُرسلون لحماية منطقة، على مم كانوا يحموننا؟ هن كنا على وشب بتعرض للعزو؟ لم بكن بعرف حتى اسم الوحدة لعسكرية

هُرع رئيس القرية إلينا وقال لد إن هولا، الحبود تحت مرة مكيم نشان بون المناشرة، ولنس لدينا توضيح أكثر من هذا، وإن الحنوم موجودون هذا لحماية منطقتنا من شيء لا يعلمه لا الله ولمدة لا يعلمه إلا الله.

وسرعان ما اكتشفتُ أنَّ «كيم تشان بون» هذا و«كيم إيل سونغ» كانا رفاق سلاح، وأصبح «كيم تشان بون» شخصية ذات نفوذ في الحزب، وهو صاحب بعض الابتكارات العسكرية المهمة.. ظل جميع مَن حولي بنداولون هذا، لكنه، لا يُفسّر ما يفعله في قريتنا بفرقة رجاله المَرحين، مرت بضعة أيام، واستبدَّ القلق بالجميع، وساد توتَرُ في الهواء كأنه كهرباء، كان الجميع يتوخُون أقصى درجات الحذر ويختارون كلماتهم بعناية، وذات صباح وأنا أهمُ بالمغادرة للعمل، لمحتُ جنديين يقتربان من منزلنا.

فقلت على الفور الأمي وشقيقاتي أن يختبئن بالداخل، ثم وقفتُ أمام الباب الأمامي الأوقفهما، اقترب مني جندي مخيف المظهر.

> وقال: «احزموا أمتعتكم واخرجوا من هنا في الحال!». سألته: «لماذا؟ أيمكنك التوضيح من فضلك؟».

كان قلبي يخفق بشدة ودمي يغلي، لكنني حاولت أن أبدو هادئًا.

زمجر: «لماذا؟ أتسألني لماذا؟ تصنيف الـــ «سونفبون") « بالطبع ، بلا شك أنت تعرف أنك «معادِ»، أوضع الوضيعين، والآن اغرب عن وجهي!»،

وبذلك، استدار وسار مبتعدًا عاليَ الخطو مع الجندي الآخر الذي يقف جواره، وبهذه البساطة اختفيا.

لم نكن وحدنا، أمرت عدة أسر أخرى بالمغادرة أيضًا، ووفقًا لما أمرنا به نحن، كان علينا أن ننتقل إلى قرية اسمها «بيونغيانغ ري»،

⁽¹⁾ Songban طام سياسي واحتماعي واقتصادي في كوريا الشمالية، يُصنَف الأفراد حسب مستويات التماثهم للحكومة والحرب الحاكم ويحدد امتيارات المواطل (المترجم)

على بُعد عدة أميال، فحزمنا متاعنا القليل وانطلقنا، وعندما وصلنا لم يكن هناك منزل لنا، ووجدنا مُلتَجأً في منزل مهجور كان قد بُنِي لعامل مزرعة، ولم تكن لدينا فكرة عمًّا حدث له، وعلى الأرجح قضى نَحْبه من الإرهاق واليأس.

ولحسن الحظ تمكنتُ من مواصلة عملي سائقًا للجرّار، وبدأ إبي وشقيقاتي العمل في فريق زراعي محلي، أما أمي، فقد استمرت في الذهاب إلى الجبال بحثًا عن الأعشاب كدأبها دومًا.

جاء عدة أعضاء من وحدة «كيم تشان بون» العسكرية إلى قريتنا الجديدة أيضًا، وقد كان سلوكهم إجراميًّا محضًا؛ كانوا يسرقون الحيوانات التي أولاها العمال عناية بالغة، ويقتلونها ويأكلونها، ويسلبون الذرة الحلوة والبطاطس من مستودع الغذاء الخاص بالقرية، وينهبون مصنع معدات المزرعة ويغادرون بالمحركات والمنشارات الكهربائية على شاحناتهم، ويغوون النساء الشابات بوعدهن بالزواج، دون نية ني الزواج بهن، بطبيعة الحال.. جميعنا كنا نمقتهم ونحتقرهم.

اختفى كبار مسؤولي الحزب في «بيونغيانغ ري» وقريتنا القديمة، وتولى صِبْيَة «كيم تشان بون» زمام الأمور، وصار الوضع من السوء بحيث كنا نخشى الخروج حتى في منتصف النهار، إذ كان الجنود يفتعلون المشاجرات مع الناس ويضربونهم ضربًا مبرِّحًا.

كان منزلنا الآبِل للسقوط بالكاد يحمينا من المطر، لكن الرياح تعصف بالمكان على الدوام، كنا لا نزال في فصل تساقط التلوج، وتنخفض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر، فكنا نُبقي موقدًا مشتعلا طوال الليل، وكنا شاكرين للرياح، فبفضلها لم نقلق بشأن التسمم بأول أكسيد الكربون،

لم نعثر على حصائر، فكنا نحن السنة نَربض حول الموقد، ندفئ ظهورنا أولا، ثم ندفئ بطوننا، وهكذا نتلوًى ونتقلّب طوال الليل، ومن حين لآخر نغط في النوم لهنيهة، ولأننا كنا نغير وضعياتنا طوال الليل، غالبًا ما كنت أنا وأبي نستيقظ برؤوس متورّمة، وأحيانًا ننفجر ضاحكين كالمعتوهين. إذا عانى المرء معاناة طويلة بما فيها الكفاية، يكاد الوضع أن يصبح مضحكًا، ويجد المرء نفسه يضحك وهو في أتعس الظروف... أظنها نوعًا من الهستيريا.

استيقظتُ ذات مرة في منتصف الليل واكتشفتُ أنَّ شقيقتي الأصغر، «ماساكو» غير موجودة، فذعرت وهُرعت إلى خارج المنزل، حيث رأيت آثار أقدامها على التلوج، وتبِعُتُها فأوصلتني إلى قريتنا القديمة، فكانت مناك بالطبع، واقفة أمام منزلنا القديم، تنشِج بلا انقطاع.

وحالما رأتني قالت: «هذا هو منزلنا! لا أريد أن أتركه!».

حملتُها على ظهري وسرت متثاقلًا إلى «بيونغيانغ ري» تحت ضوء القعر، كانت التلوج تثلاًلا وتلتمع، تُغلّف كآبة المنظر أمامي، واخترق البرد ملابسي الرثّة، لكنَّ وزن «ماساكو» أمدُني بالدف، أرهقها نشيجها العتواصل، فسرعان ما نامت على ظهري، لا أظنني أحسست بالقرب عنها كما في تلك الليلة؛ إذ تسرّب يأسها وخوفها وإرهاقها إليَّ من خلال ملابسها الخفيفة ولامَسُ شغاف قلبي.

استمر سفاحو «كيم تشان بون» في اضطهادنا ومعاملة جميع سكان القرية كأنهم رقيق يمتلكونهم، كان علينا أن نُقدّم لهم أيّ طعام يطلبونه، ولم يكن ما نقدمه كافيًا قط بطبيعة الحال، إذ دائمًا ما يتبجّحون بادعاءاتهم السخيفة: «إننا نقاتل من أجل وطننا! نريد المزيد!».

أردتُ أن أرُدُ: ومعركة؟ أي معركة؟ لا توجد معركة، ما الذي تتحدثون عنه؟ كل ما تفعلونه هو نشر البؤس واليأس وإرهاب الناس المحترمين الذين يكُذُون في عملهم، وما مقدار ما نأكله نحن في ظنَّكم؟ نعن الذين ننتج الطعام فعلًا في حين أنكم تجُولون وتضربون الناس».

لكنني لزمت الصمت بالطبع، لَقتلوني إذا جاهرتُ بكلامي,

ومِن المدهش أنني، حتى في تلك الأيام الحالكة، وقعتُ في العب فجأة، كان اسمها «ريم سو يون»، في التاسعة عشرة من عمرها، وهي أجمل فتاة رأيتها قط، قابلتها في المزرعة حيث كانت تعتني بأرانب تربيها للتكاثر، وكنت أوصِل العشب إلى هناك وَفقًا لمسار قيادة الجرار، لم أكِنَّ هذه المشاعر لأيِّ أحد من قبل، ولم أدرِ ما عليَّ فعله، فكلما حاولت الحديث معها؛ ينعقد لساني، لذا تجنَّبت الحديث معها تمامً، لكنني كنت أفكر بها دومًا.

وذات يوم عندما كنت أنزل العشب، جاءت إليَّ وعرضت مساعدتي. فعملنا في صمت تام، وفي اليوم التالي، عادت وساعدتني مجددًا، وفي اليوم الذي تلاه أيضًا. وذات يوم كسرَتْ الصمت أخيرًا وسألتني عمّا إن كنت سأشارك في منافسة كرة القدم القادمة، فقلتُ لها إنني لن أستطيع! لأنني لا أملك أيّ بنطال قصير، وعندما قابلتها في المرة التالية، أعطتني بنطالًا قصيرًا صنعَتْه من النايلون الأبيض، التفَتُّ إليها وقلتُ متلعثمًا بلا تركيز: «أحبكِ، فهلا تزوجتِني؟»، يا لها من عبارة غزل افتتاحية!

فنظرتْ إليَّ بِحْجِل وسألتني: «أيمكنك الحصول على موافقة أمي؟». فعلمتُ أنها تستلطفني أيضًا، وأحسست بقلبي يتضخم بالأمل.

استجمعتُ شجاعتي في اليوم التالي وذهبت إلى منزلها، كان والده قد توفي منذ مدة طويلة؛ لذا قلتُ لأم «سو يون» إنني أريد أن أتزوجها. وللأمانة، لم تقاطعني أو تختصر كلامي، بل سمعتني حتى النهابة بحتان دافق،

وقفت وسو يون، جوارها، متعلقة بكل كلمة أقولها، ويمكنني تصورها حتى الآن، كانت تتورَّد خجلًا، واحمرَّت أُذناها.

ظلَّت أمها صامتة هنيهة، والحزن بادٍ عليها، فتسارع وجيب قلبي، وشعرتُ كأنه سيقفز خارجًا مني.

«يؤسفني القول.. زوج ياباني لابنتي.. حسنًا، أخشى أنَّ هذا لن يكون مقبولًا»، بَدَت كما لو أنها شعرت بالذنب على قرارها، واستشعرتُ أنها تلتمس تبريرًا قد يُهدَّئني ويعزِّيني،

«كما ترى، الأمر هو.. حسنًا، كُلِّي ثقة بأنك رجل شريف تمامًا.. أعني، أعرف أنك شريف، لكن كل ما في الأمر هو.. إذا تزوجَتُ ابنتي بعائد.. حسنًا، فسوف نكون في موقف خطِر أيضًا، كما تعرف».

شددتُ قبضتَيّ حتى ابيضًتا، ونظرت إلى «سو يون»، فوجدتُها قد اعتراها الشحوب،

لا أستطيع تذكُّر ما فعلْتُه تحديدًا بعد ذلك، لا بد أنني غادرت بسرعة، شاعرًا بالخِزْي، لكنني أتذكر الأفكار التي كانت تتلاطم في عقلي.

ما الذي كنتُ تفكر فيه؟ رجلٌ حياته ليست بأفضل من حياة متسول! أيّ امرأة تملك ذرة عقل قد تتزوجني؟ كنت مثيرًا للسخرية عندما اعتقدتُ أنَّ أم «سو يون» قد توافق.

وفي المرة التالية التي رأيت فيها «سو يون»، أردت أن أركض وأختبئ، لكنها عانقتني وهمست: «آسفة، خذني إلى مكان ما ولنهرب معا»، أردتُ أن أهرب معها، وأن أعيش هذا الحلم، لكن أين عسانا قد نذهب؟ وماذا عن أمي وشقيقاتي المسكينات؟ لا يمكنني أبدًا التخلي عنهن، كان أمرًا مستحيلًا كحلمي بتحسين حياتي ودخول الجامعة.

وبعدها بوقت قصير، سمعتُ أنَّ «سو يون» تزوجت أحد عِلْية القوم في «بيونغيانغ»، وقررتُ ألَّا أقع في الحب مجددًا أبدًا.

بعد عام، اختفى «كيم تشان بون» ورفاقه فجأة، لا أعرف التفاصيل الرسمية، لكن ثمة إشاعة في القرية بأن وحدته العسكرية سُرِّحت. لم تكن توجد وسائل إعلام كبيرة في تلك الأيام؛ لذا كل الأخبار كانت تنتقل شفويًا، لكن ما تَلُوكه الألسن كان موثوقًا بما فيه الكفاية في معظم الأوقات، وفي النهاية، ظهرَ أنَّ «كيم إيل سونغ» تخلَّص من «كيم تشن، في حملة تطهير.

القصة المعتادة.. كان «كيم تشان بون» قُرَّة عين الزعيم العظيم ردحًا من الزمن، مُبرَّأ من كل خطيئة، لكنه بذل مجهودًا صادقًا في سبيل تحديث الجيش وتنظيمه تنظيمًا أفضل، واتضح أنَّ هذا هو سبب سقوطه، فقد تمكن من خلق قاعدة نفوذ داخل المؤسسة العسكرية وتمرير مبادراته الخاصة به، ولم يمرّ وقت طويل قبل أن يكسب «كيم تشان بون» نفوذًا في رقعة واسعة من كوريا الشمالية، متمكنًا من اقتطاع منطقته المستقلة الخاصة به، ومن البديهي أنَّ «كيم إيل سونغ» عدّ هذا تحدّيًا وتهديدًا؛ لذا طُهُر.

عدنا إلى «دونغ تشونغ ري» على الفور، ولحسن الحظ، وجدنا منزلنا لا يزال قائمًا، وعند وصولنا، أحضرنا بعض الماء من البئر وغليناه وشربنا نخبًا، نظرتُ إلى وجهَيْ والديَّ الذاوِيَين ونحن نشرب ذلك النخب، كان أبي في الخامسة والخمسين، وأمي في الرابعة والأربعين، وتبقَّت لديها قرابة ثماني أسنان. ما الذي كنا نشرب نخبه بحق السماء؟ مستقبل أفضل؟ عودة إلى الماضي؟ لا أدري.. أظن أننا كنا مبتهجين فحسب بالانعتاق من كابوس «كيم تشان بون».

قالت أمي بعدما شربنا النخب: «أريد تناول كرة أرز مكسوّة بفاصوليا حمراء محلّاة»،

بدا أبي مفجوعًا، لأن أمي لم تطلب أيّ شيء من قبل قط، وكان يعلم أنه سيكون من المستحيل تلبية حتى مثل هذا الطلب المتواضع، الفاصوليا الحمراء غالية مثل الأرز، وكان السُّكُر عزيزًا جدًّا، إذ يكلف الجوال مثة وونٍ في السوق السوداء، وهو مبلغ فاحش بالنسبة إلينا.

«لا تقلق!» قالت وهي مدركة لما لا بد أنه يفكر به، «عندما أفكر بالأمر، أجد أنني لا أستطيع أكل كرة أرز حتى إذا حاولت، ليس لدي ما يكفى من الأسنان، لقد ولَّت أمام أكل كرات الأرز عالنسبة إليَّ».

ثم انفجرَت ضاحكة.

لم أسمع ضحكتها منذ دهور، وقد كانت مُعْدية، فبدأنا جميعًا نضحك معًا، حتى طفّرت الدموع من أعيننا.

انقضت ثلاثة أعوام خالية من الأحداث بعد تسريح وحدة «كيم تشان بون»، وكنا لا بزال نعابي الفاقة والعَوْز، بالطبع، لكننا على الأقل عشنا في سلام، الحدث الجدير بالذكر خلال ذلك الوقت كان تلقّي شقيقتي «إييكو، عرض زواج وهي بعمر الثالثة والعشرين، من رجل يُدعى «كان كي سون»، وهو أصلًا من «كوبه» باليابان، كان والده يعاني سرطان هي مرحلة متأخرة؛ لذا أراد أن يتزوج قبل رحيل والده، كانت عائلته ثرية، وهو أمر غير معتدد لدى العائدين؛ لذا اعتقد أبي أن أسرته وأسرتنا لا تناسبان بعضهما، فرقص العرص بتهديب، ومع ذلك بدأت والدة «كان، تأتي إلى منزلنا لاستئناف قضيتها.. قالت «أريد لابنتكم أن تكون كنتي»، ورغم أنه جاءت لتطلب مرات عديدة، تشبث أبي بالرفض.

في مطلع عام 1972، ظهر رجلٌ، يبلغ من العمر أوسطه، عند منزلنا ذات يوم، فظننتُ في بادئ الأمر أنه له علاقة بد «كان» ثم فوجئتُ عندما دقّقت النظر إليه، إذ لم يكن سوى «يونغ سيوك بونغ»، وهو صديق قديم لأبي، كان عضوًا في الاتحاد العام للكوريين المقيمين في اليابان.

ألقى الحقيبة التي كان يحملها وأحاط ذراعيه حول كتفّي أبي. قال يونغ لنا: «كيف حالكم؟ لقد كبرتم كثيرًا بلا شك!»، وَدَعته أمي للدخول.

ثم فتح حقيبته، وناولني ساعة وأخرج بعض الأوشحة لشقيقاتي، لم أصدق عيني، إذ كانت الساعات اليابانية شيئًا نادرًا وعزيزًا، والجميع يتوق للحصول على واحدة منها، ثم أدخل يده في حقيبته وأخرج قنينة كحول لأبي، لكن لم ينته الأمر عند هذا الحد، أخرج دواءً وسُكَّرًا وعدة مقتنيات قيمة أخرى ورصفها على المنضدة، فأجهشت أمى بالبكاء.

شرب مع أبي حتى وقت متأخر من الليل، وكنت أسمعهما يتحدثان بنبرة هامسة.

قال أبي: «انظر إلى حالي! كنتُ أُسمَّى «النمر»، لكنني الآن حطام رجل، بفضل جمعية الكوريين المقيمين في اليابان، أولئك الأوغاد المخادعين!».

«مهلًا، احذر»، قال «يونغ» وهو يلقي نظرة سريعة في نواحي الغرفة، «للجدران آذان، كما تعرف! تونعً الحذر!».

لم يقُل أبي شيئًا لكنه أومأ.

تابع يونغ: «على أي حال، فلنرَ إذا كان بإمكاننا مساعدة بعضنا من الآن فصاعدًا، أعتقد أنك مررت بالكثير من المصاعب».

كان نائب رئيس لجنة الحزب في مدينةٍ ما ومشغولًا جدًّا، لكن بعد تلك الليلة، كان يتدبر أمر زيارتنا من حين لآخر، وحالما علم بأمر عرض زواج «إييكو»، ذهب لزيارة «كان» ثم جاء وقال لــ «إييكو»: «إنه رجل صالح، طبب ولطيف، لا تقلقي بشأن المال»، وأوصى أبي بإعادة التفكير في موقفه، فرغم كلّ شيء، «كان» عائدٌ أيضًا،

خُسم الأمر، وحددوا تاريخ الزفاف بعد شهرين، ومِن المحزن أننا لم نتمكن من شراء ملابس جديدة أو فراش لشقيقتي، وقالت والدة «كان» إنها ما دامت ستتزوج، فهذا يكفي، وليست بحاجة إلى جلب أي متاع معها.

لكن «يونغ» أعطى أمي بعض المال قائلًا: «حذي، اجعليها جميلة بهذا».

أثير إعجابي، حتى إنني تأثرت، كانت مراعاته كنفحة هواء منعش، نادرًا ما كنا نشهد أو نختبر أي إنسانية حقيقية أو أي دِفء في حياتنا اليومية، إذ كان كل شخص يفكر بنفسه.. كيف يتقدم، ويتظاهر بالاهتمام بالحزب، ويبتعد عن المتاعب، ويكافح لجمع الطعام، ويستخدم السجائر والكحور رشوة لتدبر أمره مع ذوي السلطة، وللأمانة. هذا هو السبيل الوحيد للنجاة؛ إذ جرّدهم النظام من الإنسانية تجريدًا تامًّا؛ أي نحن. وكان الأمر المحرن هو أنني أنا نفسي بدأت أفكر بالطريقة عينها، لكن سلوك «يونغ» ذكّرني بمعنى أن أكون إنسانًا، وأدركتُ أنه مهما بلغتُ صعوبة الواقع، يجب على المرء ألا يدع روحه تنهزم، ويجب أن يتحلّى بإرادة قوية، عليه استحضار ما يعرف أنه صحيح من أعماق ذاته ويعمل وَفقًا له.

جاء السيد «يونغ» إلى منزلنا دات يوم، وهو ببدو زريُّ الهيئة، وهو الذي عادةً ما يبالغ في تأنُّقه، لكنه في ذلك اليوم تحديدًا، بدا شعره أشعث وعيناه محتقنتين بالدماء، والأسوأ من كل هذا، بدا خائفًا حرر الموت، نادى باسم أبي ثم أمسك بديه صامتًا هنيهة، ثم بدأ يتكلم بجنون،

أوضح أنه كان قد حضر حفل رأس سنة، وكان هناك بعض أصحاب الشأن في الحزب بين الحضور، وارتكب «يونغ» المسكين زلّة لسان كان على ما يبدو، بعد انتقاله إلى كوريا الشمالية، أنه قد كتب رسائل إلى رجل يُدعى «هام دو كوسو»، رئيس جمعية الكوريين في اليابان وكان يعرف «هام» منذ سنوات، لكنه لم يتلق منه ردًّا، ومن الطبيعي أن سلوك «هام» ضايقه.

أثار «يونغ» هذا الموضوع عن طريق الخطأ، قال شيئًا فيما معنه؛
«لَمْ يصبح «دو كوسو» رئيسًا إلّا بمساعدة الجميع ودعمهم له، لكنه لا
يُقدُّر ما فعله الجميع من أجله، والآن صار يترفَّع عن الرد على رسائل
أمثالي، يا له من متعجرف!».

واتضح أنَّ كلماته هذه كانت خطأً قاتلًا، ففي اليوم التالي أُزيحَ «يونغ» من منصبه؛ إذ إنَّ انتقاد «كيم دو كوسو» كان يعني انتقاد «كيم إيل سونغ» نفسه.

تمالك يونغ نفسه قليلًا بعدما تحدث مع أبي.

قال أبي له: «فلنكن أقوياء، حسنًا؟ سيكون المستقبل أفضر، أعرف أنه سيكون أفضل. فضل ليقولها.

أوماً «يونغ» إيماءة واهنة، وقال لـ «إييكو»: «فلتسْعَدي ا» ثم انحنى لنا وغادر.

وبعد أيام قليلة من زفاف «إييكو»، علمنا أنَّ «يونغ» شنق نفسه، وكتب في رسالة انتحاره:

«لم تعد لديُّ كرامة، ولم أعد أستطيع العيش».

وهكذا انتهت حياة رجل لطيف ومحترم.

وبحلول الوقت الذي ذهب فيه أبي لرؤية جثمانه، كانت الشرطة السرية قد أغذته مسبقًا.

ثم انتحرت زوجته بعد بضعة أيام.

لا أدري كم عدد العائدين الذين عاشوا مثل هذه المآسي، أظن أنه يوجد أعداد لا تحصى من مثل هذه القصص، يعضهم أرسل إلى معسكرات الاعتقال، وبعضهم طُهُر أو أُعدِم، حيوات كثيرة أُهدِرت.

عندما بلغت شقيقتي «هيفومي» «سن الزواج»، كما كانوا يسمونه، ظهر رجل آخر، اسمه «لي سونغ راك»، وساعد في إيجاد زوج لها، كان «لي» يعمل في قسم الدعاية بجمعية الكوريين في اليابان، وقد جلب معه معدًات إرسال من اليابان عندما انتقل إلى كوريا الشمالية، وساهم مساهمة مقدَّرة في الحزب، فقدَّرت جهوده علنًا وأُثنِي عليها، كما كان رجلًا طيب القلب. اتصل بعائد يعيش في «وونسان» عندما علم بأنَّ هيفومي» مؤهلة للزواج، وقبل وقت ليس بالطويل تزوَّجته شقيقتي، لم يرُقني زوج «هيفومي» الجديد إطلاقًا؛ كنت أراه كسولًا وأمتعض من مجيئه إلى منزلنا طوال الوقت ليطلب الطعام لوالديه، في حين أننا بالكاد لدينا ما يُقيم أودنا، وكانت أمي قلقة من أنها إذا رفضت، ربما يقسو على «هيفومي»؛ لذلك كانت تطلب من سكان القرية منحنا الطعام لاساعده، لم أُطِق حقيقة أنها تتسول نيابة عنه، وفي النهاية لم نعد قادرين على الاستمرار، وانتقلوا إلى «بوجون».

في هذه الأثناء، كان «لي سونغ راك» مكلَّفًا بالإشراف على مصنع معدات إرسال في «سينانجو»، ومن ثم، ذات يوم، أُعلِن فجأة عن خيانته؛ لأنه تزوج امرأة من كوريا الجنوبية، لم تكن المشكلة الحقيقية ذات أيّ صلة بزوجته، بالطبع، فقد كانوا يعرفون بأمرها طوال الوقت، كلَّ ما

في الأمر أنه حاول إدخال إصلاحات في منصبه الجديد، أصبح الي الشخصية غير مرغوب فيها، وأُعفِي من منصبه، وغدا كأنه غير موجود. بهذه البساطة، ثم سمعتُ لاحقًا أنَّ عائلته انقسمت، وأنه أصبح متشررُدًا يُرى وهو يتسكع حول محطة قطار «سينانجو».

كان أصدقاء أبي يختفون واحدًا تلو الآخر، ومن الذين لقوا نهاية حزينة أيضًا «كيم أو يون»، وهو «عائد» كان يُدير مصبغة في «كاواساكي، باليابان، ومثل أبي كان متزوجًا بامرأة يابانية، وفي كوريا الشمالية، أصبح «كيم» سائق حافلة، وذات يوم في أثناء استراحة، بدأ يتحدث مع زملائه عن حياته في اليابان، وبعد بضعة أيام، اعتقلته الشرطة السرية هو وزوجته وقذفت بهما في معسكر اعتقال «يودوك»، وهو بؤرة شقاء سيئة السمعة، وبعد عشر سنوات -بمنزلة أبديّة في مثل ذلك المكانم أطلق سراح زوجته وجاءت لتعيش قرب منزلنا، كانت امرأة مُرحة فيما مضى، لكنها صارت خدرة وخاوية تمامًا، وجهها خالٍ من التعابير، وصوتها مجردٌ من أيّ إحساس، كانت تتجنّب التواصل مع الناس مأي شمن، وأصبحت شخصًا آخر يعيش بين ظهرانينا كأنه غير موجود.

ظهرتْ عند منزلنا ذات يوم، وهي تحمل أبنها، وفوجئنا بذلك؛ لأنها كانت تسعى جاهدة لتجنُّب الناس، واتضح أنَّ ابنها مريض للغاية، فحملتُه على ظهري إلى عيادة القرية،

سألتُ الطبيب: «لسانه متقيِّح، وغير قادر على الأكل منذ ثلاثة أيام. أيمكنك إعطاؤه حقنة بنسلين ج؟».

لم أكن أعرف ما إذا كان البنسلين سيعالجه أم لا، لكنه كان المضاد الحيوي الوحيد المتوفر في كوريا الشمالية، وظننت أنه فرصته الوحيدة في النجاة.

«ماذا؟ تريدني أن أعالجه مجانًا؟ أيها الصفيق الحقير! لماذا أُهدر دواءً قينًا عليه؟ ادفع، أو على الأقل اجلب لي بعض الأعشاب الطبيّة! عندها سنتحدث»،

يُفترَض أنَّ الرعاية الصحية مجانية في كوريا الشمالية، لكنها في الواقع ليست مجانية إطلاقًا، لا يستطيع الفقراء الحصول على العلاج دون أن يدفعوا بطريقة أو بأخرى، إذا ليس لديك مال، فأحضر بعض الكحول، أو بعض السجائر، أو بعض الأدوية الصينية، أو انس الأمر.

لاحظتُ اقتباسًا في إطارِ على جدار العيادة خلف الطبيب، يقول: «الطبُّ فنٌ خيِّرٌ، وعلى الطبيب أن يكون أكثر شيوعيةٌ من أيَّ أحد»، كلمات «كيم إيل سونغ»،

> وفجأة صِرتُ ألتهب غضبًا، وانفصم شيءٌ بداخلي، صِحتُ: «مَن الذين تعالجهم حقًا؟ ألا تعالج أحدًا؟»،

قلتُ ذلك ولكمتُه، كان الأمر كما لو أنَّ سدًّا انهار بداخلي، وتدفقت كل أعوام البؤس واليأس، واعتليته على حين فجأة، وانهلتُ عليه بقبضتَي، لكن حتى هذا لم يكن كافيًا، كان غضبي يزداد استعارًا، فركضتُ عائدًا إلى المنزل المحضر سكينًا، أردت حقًّا أن أقتل الرجل، طبيبٌ لا يريد مساعدة الناس كان أسوأ من عديم النفع، كان يُجسِّد السخرية من كل ما يُمتِّله، وعندما عدت إلى العيادة، وجدتُ عدة رجال شرطة يقفون في الرُّواق، ففكرت بقتلهم أيضًا، لكن أبي ظهر بغنةٌ من حيث لا أدري وانتزع السكين من يدي.

أمرني بمغادرة المكان، وفجأة ارتطمتُ بإدراكِ واقعِ ما كنت أعتزم فعله، وركضتُ إلى المنزل. بقي أبي في العيادة بعض الوقت، ثم جاء إلى المنزل، وبعد ثلاث أيام كان عليه الذهاب إلى مركز الشرطة، لكنه مجددًا عاد دون أن يمسُه سوء. لم تكن لدي فكرة عما حدث، ولم يقُل لي شيئًا قط، لكن لا بر أنه كان أمرًا جيدًا، لأنني لم أُعتقَل ولم يحدث شيء بخصوص المسألة برُمَّتها قط.

نشأتُ على كراهية العنف، لا سيما بما أنني شهدت أبي يضرب أمي بوحشية عندما كنت طفلًا، لكن موقفي تغير بعد المواجهة مع الطبيب، وبدا العنف كأنه الحل الوحيد، كنت أشعر بالعجز التام وأنا أقف متفرُّجُا أشاهد أناسًا طببين يتعرضون للتطهير والنفي والدمار، نصحَتْني أمي بتهدئة مِزاجي، وإلّا فسوف أختفي أنا أيضًا.

في السبعينيات، ظهر شعار جديد: «استراتيجية السرعة!»، وأصبحت عبارة عبثية أخرى تُكرَّر حد الملل في اجتماعاتنا التفاكرية، كما استوجب علينا حفظ وصايا «كيم إيل سونغ» العشر ثم ترديدها إلى ما لا نهاية حتى تُنحَت في أدمغتنا أبد الدهر، وفي النهاية أحسست كأن عقلى نفسه احتُلَّ.

يمكنني تذكر تلك الوصايا إلى اليوم، بالطبع، كيف لا يمكنني؟ لَلقين حتفي منذ مدة طويلة إذا لم أتذكرها، ها هي ذي:

- يجب علينا أن نبذل قُصارى جهودنا في النضال في سبيل توحيد المجتمع بأكمله بالأيدولوجية الثورية للزعيم العظيم الرفيق «كيم إيل سونغ».
- يجب علينا أن نُعظم الزعيم العظيم الرفيق «كيم إيل سونغ»
 بولائنا الكامل.

- 3. يجب علينا أن نجعل سلطة الزعيم العظيم الرفيق «كيم إيل سونغ» سلطة مطلقة.
- 4. يجب علينا أن نجعل الأيدولوجية الثورية للزعيم العظيم الرفيق
 «كيم إيل سونغ» إيماننا وأن نجعل تعليماته عقيدتنا.
- يجب علينا أن نلتزم التزامًا صارمًا مبدأً الطاعة غير المشروطة في تنفيذ تعليمات الزعيم العظيم الرفيق «كيم إيل سونغ».
- 6. يجب علينا أن نُعزَّز أيدولوجية الحزب بأكملها وإرادته ووحدته الثورية المُتمثَّلة في الزعيم العظيم الرفيق «كيم إيل سونغ».
- 7. يجب علينا أن نتعلم من الزعيم العظيم الرفيق «كيم إيل سونغ» ونتبنى التوجُّه الشيوعي، وأساليب العمل الثورية، وأسلوب العمل الموجَّه للناس،
- 8. يجب علينا أن نُقدِّر الحياة السياسية التي منحها لنا الزعيم العظيم الرفيق «كيم إيل سونغ»، وأن نردَّ بولاء على ثقته العظيمة ومراعاته بوعي سياسي عالٍ ومهارة.
- 9. يجب علينا أن نضع لوائح تنظيمية قوية، بحيث يتحرك كل الحزب والأمة والجيش وحدة واحدة تحت القيادة الأوحد للزعيم العظيم الرفيق «كيم إيل سونغ».
- 10. يجب علينا أن ننقل الإنجاز العظيم للثورة التي قادها الزعيم العظيم الرفيق «كيم إيل سونغ» من جيل إلى جيل، ليرثها ويستكملها حتى النهاية.

وفي وقت لاحق متأخر، تحققتُ من الوصايا العشر الموجودة في الديانات الإبراهيمية، أتعرفون كم منها تشتمل على إشارة إلى الله؟ خمسٌ تقريبًا؛ لذا يبدو أنَّ الله يُمْكنه أن يتعلم بعض الأشياء من الزعيم العظيم الرفيق «كيم إيل سونغ» -عليه السلام-.

عمليًا، كانت «استراتيجية السرعة» الجديدة تعني أنَّ علينا إنشاء المَزارِع حيثما وُجِدت التربة، وتحويل الجبال إلى حقول مُدرَّجة، ومن أجل إنجاز هذا، كنا بحاجة إلى مزيد من العمال.

أُرسِلتُ في ربيع 1970 للعمل في مزرعة تعاونية بالقرب من «تشونغبيونغ ري»، قُدتُ الجرار مع مقطورة تحمل ثلاثة عمال آخرين، ونحن نرْتجُ في طريقنا ببطء إلى وجهتنا.

وعندما وصلنا إلى المزرعة، صعدنا على متن شاحنة عسكرية، وبعر ثلاثين دقيقة أو نحوها بلغنا واديًا عميقًا، حيث كان الجنود وعمال المزارع قد بدؤوا العمل الشاق على جانب الجبل، سجّلنا حضورن ومُنِح كلٌ منا بنطال عمل، وكان أول بنطال جديد أتلقاه منذ مجيئي إلى كوري الشمالية، فخلعت بنطالي المهترئ وارتديت الجديد، ممتلتًا بالزّهي، حتى أن مَن يراني يظن أنني فزت باليانصيب.

وعند الخامسة من صباح اليوم التالي، أيقظنا صوت بوق من نومنا في كوخنا الطويل، الذي صُمم كثُكُنة عسكرية، وبعد تفقُّد طابور الحضور، شكَّلنا صفًا وانحدرنا إلى النهر الذي يجري عبر قلب الوادي، كسرنا سطح النهر المتجمد بالصخور وغمسنا أيدينا وغسلنا وجوهنا، لسعت المياه الجليدية وجهي وخدَّرت يديَّ في الحال، وبعد ذلك.. ركضنا إلى مركز الجيش، حيث وقعت أعجوبة الأعاجيب، إذ قُدِّم لنا أرز أبيض في صالة الطعام، لم أكن قد تذوقت الأرز الأبيض منذ دهور، وفي الحقيقة كاد منظر الأرز الأبيض أن يجعل الدموع تترقرق في أعين العديد منا، لم أرغب في مغادرة صالة الطعام أبدًا، لكن كان علينا الذهاب إلى العمل.

كانت مهمتنا هي نقل الصخور وأكوام التراب التي أخرجها الجيش من جانب الجبل في أثناء عملهم على بناء أنفاق في نواحي المنطقة، وكانت الأنفاق تُبنَى لتضم البارود ومصانع الذخيرة؛ لأن هذه المباني دمرها القصف الجوي الأمريكي إبّان الحرب الكورية، فكان من المنطقي أن تُبنى بدائلها تحت الأرض، لكن خطوط الكهرباء التي هي تحت الأرض أيضًا، لم تكن تعمل كما ينبغي، كان التيار ضعيفًا؛ لذا لم تتمكن بعض المصانع من التشغيل، وغنيٌ عن القول أنّ إزالة الأنقاض التي خلّفها بناء الأنفاق كان عملًا يَقصِم الظهر.

تلقيت بعد بضعة أسابيع برقية من «كان كي سون» زوج «إييكو»، تقول: «الزفاف، 25 من يناير.. عُد إلى المنزل بحلول الـ24»، لم تكن لدي أدنى فكرة عن زواج من كان المقصود، ثم توجّست من أنَّ نازلة قد وقعت في المنزل، شيء لا يمكن التطرق له مباشرة، ولم تكن الإشارة إلى الزفاف سوى شفرة، نزلتْ بأسرتنا كثير من الماسي لدرجة أنني كنت دائمًا ما أتوقع الأسوأ.

عدتُ إلى موقع العمل في جبال الرمال والأنقاض وأخبرتُ الشخص المسؤول بشأن البرقيَّة، فصاح بين أصوات انفجار ديناميت ومثاقب تحفر الأرض الصلبة: «يمكنك الذهاب!»، فهُرعت وقفزت على الجرّار، وقُدت عائدًا إلى «دونغ تشونغ ري» بأقصى سرعة يمكن للجرّار بلوغها، ورحت أتأمل جميع أسوأ مخاوفي وأنا أقود، لم أشعر بالارتياح للمغادرة، فرغم مشقة العمل والظروف القاسية، لكن على الأقل كان هناك طعام مضمون، وإلى جانب بنطالي الجديد، مُنحتُ أيضًا حذاءً عسكريًا جديدًا، وهو أول نَعْل يناسب قدمَيُّ منذ وصولي إلى كوريا الشمالية.

وجدتُ استعدادات الزفاف تجري على قدم وساق عندما عدت إلى المنزل، كان هناك كعك أرز ولحم وسمك وساكي وبضع هدايا أخرى، لم

أكن أعرف ما يجري، فلبثت واقفًا في مكاني فحسب، محاولًا استيعاب الأمر، ثم اقتربتُ مني والدة «كان» قائلة: «خبر عظيم! إنه يوم زفافك،

كان يمكن لأي شخص حينها أن يطبح بي كريشة، القول بأنني «فوجئت» لا يقترب من وصف إحساسي بأيّ درجة، كنت مشدومًا ومشلولًا من الصدمة.

المرأة التي كنت على وشك الزواج بها، على ما يبدو، كان اسمها «لي هي سوكو» ووالدها نائب رئيس محطة توليد كهرباء في مدينة «هامهونغ»، كان بصرها ضعيفًا للغاية، و... حسنًا، يؤسفني قول هذا، لكن لا يمكن وصفها بالجمال.

 لأنني «عائد» وفقير جناً.. أتعتقدون أنني لا أسنطيع اختير زوجتي؟ ألهذا اخترت لي زوجة؟

كان أبي جالسًا جوار والدة «كان»، وسرعان ما عرفتُ أنه هو الذي طلب منها أن تبحث لي عن زوجة، لكن حتى هو بدا أنه يعتقد أنَّ هذا الترتيب قاسٍ جدًا.

ظهرتُ الحقيقة تدريجيًّا، كانت زوجة أبي «هِي سوكو» هي التي في عجلة من أمرها لإتمام الزوج، فقد كان هذا الزواج فرصة عظيمة للمرأة للتخلص من ابنة زوجها، ولاحقًا عرفت أنَّ المرأة لم تكن تُحب هي سوكو»، وعادةُ ما تقسو عليها وتعذبها، لم تكن والدة «كان» تعرف شيئًا بهذا الخصوص؛ لذا لا يمكنني إلقاء اللائمة عليها، كنتُ في خبرة من أمري. وفي النهاية.. شعرت بصراحة أنه أمر عسير أن نلفي الزواج، وأنا ببساطة لم تكن لدي طاقة للمقاومة، وكانت خياراتي محدودة؛ لذا سايرت الأمر.. كنت في الثالثة والعشرين.

بعد بضعة أيام، اقترب أبي منى وأنا أهيِّئ الإفطار،

أدركُ الآن أنه كان خطأً فادحًا مني أن أطلب من والدة «كان» أن تجد امرأةٌ لك، أنت ابني الوحيد، وأريدكَ أن تكون سعيدًا، من الأفضل لك أن تُطلِّق وتجد المرأة المناسبة.

قلت: «ليس لديها مكان تذهب إليه، قُضي الأمر الآن، دعها تبقى معى.. سأعتني بها»،

- كما تشاء، اعتنِ بها إذن، لكن لا يمكنني أن أقبلها بوصفها زوجة ابني، وإذا رغبتُ في العيش معها، فعليك إيجاد مكان آخر لتعيش فيه. يا لِسخرية القدر،

لا يمكنني أن أقول إنني أحببت «هي سوكو»، فقد كنت بالكاد أعرفها، وسرعان ما اكتشفتُ أنَّ زوجة أبيها كانت تُبقيها محبوسة في غرفة! لذا لم تتعلّم فعل أي شيء.. لم تكن تعرف الطبخ، وكانت تمضي ساعات طويلة في أحلام اليقظة، لكنني لم أستطع تخينً العيش وحدي، لا سيما Telegram @mbooks90

في هذا العالم القاسي، وكانت في أمس الحاجة إلى مساعدتي؛ لذا قررنا أن نحاول إنجاح الزواج والانتقال للعيش معًا.

اقتريتْ أمي مني عندما كنت أحزم أمتعتي.

قالت: «قدَرُك دائمًا صعب»، وارتسم تعبير حزين على وجهها، لم أدرِ ما أقول، كنت أكره فراقها، لكن كان عليَّ الوفاء بالتزاماتي نحو زوجتي.

وجدتُ زوجين عجوزين في «دونغ تشونغ ري» لديهما غرفة إضافية، قالا إنَّ بإمكاننا استخدامها، وكانت توجد شروط، بالطبع: كان علينا أن نعطيهما جزءًا من حصص طعامنا، ونساعدهما في جمع الحطب، وننهض ببعض أعمال المنزل، وما إلى ذلك، ولم ينقضِ وقت طويل قبل أن يزيد الزوجان العجوزان مطالبهما، والأسوأ من كل شيء، كانا يريدان، من بين أهم ما يريدانه، أيّ شيء ذي قيمة من اليابان، ولم

يفهما لماذا، بوصفي «عائدًا»، لا أملك شيئًا، بالطبع لم يكن لدينا شي، لنعطيهما إياه.

كان علي التكينف مع العديد من الأشياء في تلك السنة الأولى، فعلاوة على عملي الأساسي في المزرعة، كان علي الاعتناء بأصحاب منزلنا، وفوق ذلك، أصبَحت زوجتي حبلى، فصرتُ دائم القلق بشأن الكيفية التي سوف أعيل بها طفلًا، في حين أننا أنفسنا بالكاد نُبقي على حياتنا، لكن لم تكن لدي إجابات لهذا السؤال، وظللت أذهب إلى العمل، يومًا في إثر يوم، آملًا وقوع معجزةٍ ما.

بعد عام من زواجنا، عدتُ إلى المنزل من العمل ذات يوم، وأحسس فجأة بدوار، اضّجعت على الأرضية وبدأت أنزف من أنفي وأذنيً، ولم يتوقف النزيف، فأصببتْ زوجتي بالذعر، ثم بدأتُ أفقد وعيي، فطلبت منها إحضار المساعدة.

استيقظت في المستشفى بعد يومين، ورأيت وجهَيْ والدَيْ القلقين يرنوان إليَّ عندما فتحتُ عينيَّ، كانوا قد سدُّوا أنفي وأذنيً بشاش، جُلت بناظريَّ في المكان بحثًا عن «هي سوكو»، لكنها لم تكن موجودة،

قال أبي: «صُدمتْ زوجتك بشدة عندما رأتك تفقد وعيك لدرجة أنها، على ما يبدو... أنها.. ألَ.. هربتْ».

بدأتُ أبكي.

قالت أمي: «كن قويًّا».

لكن لم يكن لدي وقت لمزيد من التفكير في الأمر، إذ تشتَّت انتباهي بوخزة ألم مباغتة، اتضح أنَّ النزيف نتيجة لتضرَّر وعاء دموي بين عيني، وكان الطبيب قد أعطاني حقنة لإيقاف النزيف.. لكنها لم تنجح وفي نهاية المطاف أدخلوا لفأفة شاش قطنية من أنفي إلى عيني، فتوقف النزيف.

وحالما غادرت المستشفى، جاءت زوجتي لرؤيتي في منزل والديّ، كان بطنها كبيرًا جدًا، وبدت كأنها تجد صعوبة في المشي.

«أرجوك طلقني، لا أريد أن أسبّب لك المزيد من المتاعب، لكن طفلنا...»، لم تكمل الجملة، وكنتُ أنساءل كيف تخطط لتربية الطفل بنفسها؟

> تدخل أبي قائلًا. «لا ثقلقي! سوف بربّي الطفل». سبكون حفيده الأول.

وُلد ابدي المحر في 25 من مارس 1972، وأسميناه «هو تشول»، ولدتْه «هي سوكو» في مدرلنا، وعدرت بعد ميلاده بوقت قصير، أودُ أن أقول إنَّ رؤيتها وهي تذهب قد أحربتني، لكننا كما بالكاد نعرف بعضنا، وربما الوضع أعصل هكدا بحائب أبدي كانت لدي شواغل أكثر إلحاحا، كان لدي ابن لأعتني به، وبالطبع لم تكن توجد مناشف ناعمة أو حلب مجفف. لا شيء تقريبًا.. حقًا، حتى وأنا منشغل بتلبية احتياجات ابني اليومية، لم يسغني سوى التفكير بمستقبل هذا الطفل الصغير البريء الذي بن يجد الكثير، وسوف تكون حياته ملينة بالمعاباة والحسرة، ينبغي أن أكون منتهجًا لأنني صرت أبًا، لكنبي لم أر ما أبتهم بشأنه، والمني أن حياته ستكون علينة بالشفاء، لكن والدي وشقيقتي الأصعر كانوا مسرورين، وكنت سعيدًا بابتقالي بلعيش معهم مجددا،

انقضى شهران منذ عيلاد ابني، وكانت أمي تهيَّى الإفصار في المطبح، كانت طويلة قليلًا فيما مضى، بكنّ طولها تقلّص بمرور السنوات، وكان بنطال عملها مليء بالتقوب التي تُظهِر جِلدها، كانت في السابعة والأربعين من عمرها فحسب، لكنها بدت عجوزًا طاعنة في السن.

وبدا أنها تفقد توازنها فجأة، فالتفتت وسارت متعثرة نحوي وأنا أحمل ابني.

قالت لي وهي تقعد بجانبي: «أحتاج إلى قليل من الراحة»، ونظرتُ إلى ابني وإليَّ بابتسامة باهنة على شفتيها، ولاحظتُ أنها تتنفس بصعوبة، فبدأت أشعر بالذعر.

قالت لي بصوت خشن واهن: «عندما تعود إلى البابان، أرجو أن تأخز رمادي معك، واذهب به إلى منزل جدَّيك، وضعه في مقبرة الأسرة»

ما الذي تتحدثين عنه؟ كُفّي عن الحديث هكذا، إنه نذير شؤم،
 لديك حفيد جديد.

لكن وجهها لم يزدد إلا ذبولا، وعلمتُ عندئذ أنَّ الخطب جلل، أصبحتْ أنفاسها قصيرة ومجهدة، وكان وجهها يزداد شحوبًا بمرور كل ثانية. قالت وهي تضَّجع: «سأغفو قليلًا».

بدأتُ أفرك ظهرها بما أنني أعلم أنها تحب ذلك، وسألتها وأنا لستُ متأكدًا مما عليَّ فعله: «هل تتألمين؟ أتشعرين بالمرض؟».

لكنها لم تجِب، فهزرتُها، لكنها لم تُبدِ أيِّ ردة فعل.

صرحْتُ: «أمي! أمي!».

لكن ما من إجابة.

ثم بدأ الطفل بالصراخ،

هُرِع أبي وشقيقتي إلى الغرفة، بعدما أيقظَهم الصراخ من نومهم. انحدر خيط من الدموع من زاويتَيْ عينَيْ أمى.

فوضع أبي يده على فمها.

يْم نظر إليَّ بتعبير جامد على وجهه.

كنت أسمع ما يقوله، لكنني لم أستوعب معنى كلماته.

ولقد مائت.

الشخص الوحيد الذي جاء إلى المنزل بعدما انتشر خبر وفاة أمي في القرية هي السيدة «تشون»، زوجة الرجل الذي ساعدنا في بناء منزلنا فيل سنوات طويلة بعد الحريق، اندفعت مسرعة وهزّتُ جثمان أمي والدموع تنهمر على وجهها،

وراحت تنتحب: دلقد أصبحت جدة للتو! لماذا تموتين؟٥٠

كان ابني الذي أنهكه البكاء ينام بين دراعي.

جاءت وإبيكو، وهميفومي، في نلك الليلة، أخذت وإبيكو، الطفل مني، فقد كانت ترى أنني خدر ومُشنَّت الانتباد، وقالت لي: وأنت الابن البكر، عليك أن تكون قويًّاه.

قالت وهيقومي، الأمر نفسه.

وأما أنظر إلى جسد أمي الهزيل، استوقفني بنطالها الرَّث الذي غشيته الثقوب، عشعرتُ بالأسف حيالها، ماتت وهي ترتدي بنطال عمل بالنَّا ومهترنًا، لم أحتمل الأمر،

خرجت إلى ظلام الليل، وكانت أمسية غائمة، والقمر والنجوم محجوبان تمامًا، همت على وجهي في أرجاء القرية قرابة ساعة، ثم مررت جوار منزل حيث رأيت بنطألا معلقًا بالحارج لبحف، فأحدت البنطال وأقحمته تحت قميصي، وأنا أهمس لنفسي أنني لن أمعل شيئًا كهذا مجددًا أبدًا، وأتوسّل الغفران لأفعالي،

ركضتُ إلى المنزل، وغسلت جنمان أمي، وألبستها البنطال، وأحزروا ماذا.. اتضح أنَّ ذلك البنطال كان باليًا أيضًا.

وضعناها في تابوتها عصر اليوم التالي، وحاولتُ تنبيت الغطاء، لكن المسامير كانت رديئة ولا تدخل مستقيمة، وهذا عبَّر عن كلِّ شيء بالنسبة إليَّ، أما أمي.. فلم تستمتع برفاهية واحدة منذ انتقالها إلى كوريا الشمالية. عجزتُ عن التوقف عن التفكير بالأمر، هل عاشت يومًا سعيدًا واحدًا في حياتها بأكملها؟ أم لم تكن حياتها كلها أفضل حالا من بنطال عملها المهترئ؟ بنطال بال... حياة بائسة، حتى وأنا أحمر تابوتها، رحتُ أفكر مليًّا بما إذا كانت قد مُنِحتُ يومًا واحدًا من السعادة الخالصة، لكنني لم أستطع تذكُّر أيّ يوم، ربما يمكنها أن تسعد أخيرًا في الموت.

دفنًاها على جانب بالجبل بالقرب من مزرعة فواكه، ونصبتُ قطعة خشب بسيطة لتحديد الموقع، مكتوب عليها: «هنا ترقد مييكو إيشيكوا»، عجز أبي عن الكلام، وكان يتنهّد من الحزن فحسب.

عندما عدنا إلى المنزل، وجدنا أهل القرية الذين ساعدونا في حمل التابوت إلى جانب الجبل، يتشاطرون بحماس الطعام والشراب الذي وفَرته «إييكو».. فأشعرني الأمر بالغثيان. عندما كانت أمي حية. لم يكوبوا يلتفتون إليها مجرد التفاتة، وعندئذ.. ها هم أولاء يأكلون ويشربون على شرف موتها، لم أستطع احتمال نفاق أفعالهم، لماذا لا يذهبون ويرقصون على قبرها؟

عدتُ إلى مكان راحة أمي، وأشعلت سيجارة وغرستها في قبرها بدلًا من البخور، وغنّيت أغنية أطفال كانت أمي تغنيها لي اسمها «اليعسوبة الحمراء»، كانت تغنيها وهي ترنو إلى السماء، قائلة إنّ السماء وحدها هي التي تربطها بوطنها الأم، كانت دائمًا ما تبكي وهي تغنيها، كنتُ قادرًا بالكاد على إخراج الكلمات خلال نشيجي، وأردتُ أن أغوص في القبر معها، شاعرًا بوطأة الحزن واليأس.

إستمرت الحياة، لم تكن هي نفسها، لكنني وأبي وشقيقتي الأصغر «مأساكو» وابني بقينا معًا، أصبحت «ماساكو» عاملة مزرعة، وكان أبي الذي ناهز الستين من عمره لا يزال مسؤولًا عن الغلاية في مصنع لمعالجة الفواكه، في حين واصلت عملي في المزرعة.

عادةً ما كنا نستيقظ عند الخامسة، فنتناول على الإفطار كُرُنْبًا صينيًا نزرعه في حديقتنا، يُغلَى في الماء ويُتخَّن بنشاء الذرة، يبدو شنيعًا، صحيح؟ كان شنيعًا فعلًا، لكنه يُشعِر بطوننا بالامتلاء إذا تمكنا من ازدراد وعاء منه.

كان أبي يغادر المنزل أولًا، ثم أحمل ابني لأحاول إيجاد امرأة يمكن أن ترضعه، وأسير من منزل إلى منزر، طائبًا المساعدة، لم أكن قادرًا على دفع أيَّ شيء؛ لذا كنت آمل العثور على امرأة طيبة القلب، فكان الناس أحيانًا يصرخون بي، وكنت أكتوي بالخزي، لكن ماذا عساي أن أفعل غير هذا؟ أدعُه يتضور جوعًا؟ لذا لم أستسلم قط، وبعد ذلك، آخذه إلى الحضانة النهارية بالمزرعة وأبدأ العمل.

منذ حريق المنزل لم نمتك حتى أريكة واحدة، وكنا ننام على الأرضية فحسب، وكان يصعب النوم في البرد، خاصة بالنسبة إلى ابني، كنت وأبي نخلع قمصاننا ونضّجع قريبًا منه لندفئه بحرارة جسدينا، ونأخذه إلى أدفأ مكان بالقرب من موقد التدفئة، وعندما تخبو نار موقد التدفئة، نحتضنه مجددًا ونأخذه إلى موقد الطبخ وبضّجع جواره.

غالبًا ما كان يبكي من الجوع في الليل، فكنت أُعِدُّ له سخينة أرز خفيفة من نشاء الذرة ومسحوق الأرز وأعطيه بضع ملاعق؛ محاولًا تخفيف جوعه الدائم، لكن هذا لا ينجح أحيانًا، فأحمله في نواحي المنزل على ظهري محاولًا تهدئته، وأحيانًا يداهمني النوم وأنا واقف، ثم عنرما تضعف ركبتاي وأجفل، يوقظه الاهتزاز فيبكي مزيدًا من البكاء، وفي النهاية كنتُ أتكِئ على الجدار وأنام هكذا، كان من الممكن أن يعون بسهولة، بالجوع أو بالإرهاق أو بالبرد، عشتُ في حالة دائمة من الخوف واليأس مع وجود القليل جدًّا مما يمكنني أن أفعله له.

كانت الحياة صعبة، بل أصعب من ذي قبل، لكن ابني أبعدُ عن ذهني موت أمي، وعداه لم يكن لدي شيء لأعيش من أجله، وإذا فكرتُ كثيرًا في هذا الأمر، فقد يمَّمت وجهي صوب الهاوية؛ لذا جاهدت لأتمكن من العبور من يوم إلى الذي يليه.

الفصل الرابع

بدا العالم مكانًا لا يعرف الرحمة في ذلك الوقت، كنت أبًا عازبًا بعمر السادسة والعشرين، مطلقٌ بعد زواج عبثيُ دام سنة، وتوفيت أمي في سنُّ صغيرة بعد بؤس حياة بأكملها، جاهدتُ مع أبي لإبعاد ابني من براثن الموت، ولم أر حولي سوى التفاهة السخيفة، ولم أعد قادرًا حقًا على رؤية الجدوى من البقاء على قيد الحياة.

إذن، ماذا فعلتُ عندما بلغت هذا المستوى الجديد من الحصيض؟ البشر ليسوا سوى كائنات غير عقلانية؛ لذا فعلتُ ما فعلته أعدادٌ لا تحصى من الناس وما سيفعلونه بعد موتي بوقت طويل.. صليت، لم يكن يهمني حتى أنني لا أؤمن بالله، صليت كي لا تحلُّ بي مزيد من المآسي، وصليت من أجل صحة ابني، وصليت من أجل تغيير قدري، صليت كل يوم، وشملني الله برعايته، لمدة خمس سنوات، خمس سنوات لم يحدث لي شيء إطلاقًا، ثم بلغتُ الحادية والثلاثين.

وسُئِمُ الله مني.

كنا في فصل الخريف، بعد الحصاد بقليل، وكان يوم توزيع الغذاء يقترب، وهو اليوم الوحيد في العام الذي يسترخي فيه الناس قليلًا، عُدتُ إلى المنزل من العمل ووجدت شقيقتي «ماساكو» تضم ابني وتبكي بكاءً مُرًا، أخذتُه بين ذراعيُّ وسألتها عما به، لكنه كان بخير، وهو أيضًا كان يتساءل عن سبب انزعاج «ماساكو»، سألها: «لماذا تبكين يا عمتي؟»، ما من إجابة، واصلَتْ نشيجها فحسب، ثم توقفت فجأة عن البكاء ونظرت إليّ نظرة جادّة، وقالت: «ماساجي، أرجوك لا تغضب مني، أنا حامل». صُعِقتُ، بما أنني لم تكن لديّ دنى فكرة أنها تواعد أحدهم أصلا.

سألتُها: «مَن هو؟ هل تعتزمان الزواج؟».

وعندئذ انكشف المستور، كان اسمه «هان أوم تشورو»، وهو عامل مزرعة من القرية، وقد كان لطيفًا وشغوفًا بها عندما كانت شقيقتي تلبّي طلباته، لكن عندما أخبرَتُه بأنها حامل غيّرَ تعامله، وعندما سألتُ عما إذا كان ينوي الزواج بها، تدخّلت أسرته، ثم كانت القصة المعتادة، لم يكن يستطيع الزواج بها، بالطبع، فقد كانت يابانية لقيطة، وطردوها من المنزل.

أحسست بالغضب يتصاعد بداخلي وهي تروي لي القصة، لطالما نصحتني أمي بأن أضبط أعصابي وأن أتحلَّى بالصبر، كانت ترى دومًا Telegram.@mbooks90 أنَّ العنف لا يحلُّ أيِّ مشكلة، لكنني لم أستطع الاحتمال، «ماساكو» شقيقتي، وقد أُهينت،

دَهبِتُ، مُتأبِّطًا فأسًا، إلى منزل «هان» الذي يقع على بعد مسيرة عشر دقائق من منزلنا، ووجدتُه بالداخل.

لقد خدعتَ شقيقتي أيها البهيميّ! أوتعرف أيها الحثالة؟ لن
 تنجو بفعلتك!

حاولتُ أسرته إيقافي، لكنني أمسكت به من مؤخرة عنقه وطرحته أرضًا، فبدا خائفًا أشد الخوف وأجهش بالبكاء، ثم صاح: «سامحني! سأتحمَّل كامل المسؤولية!»، لكنني كنت عاجزًا عن سماع صوت العقر،

رأوسمت ضربًا حتى أظلمَتُ الدنيا أمامه، كنتُ أعلم أنه لا يجدر بي هذا، وأوسمت ضربًا حتى أظلمَتُ الدنيا أمامه، كنتُ أعلم أنه لا يجدر بي هذا، وأوسمت ضربًا حتى السيطرة على نفسي، ويكن بمقدوري السيطرة على نفسي،

لم أستطع التنفيس عن غضبي حتى وأنا أنهال عليه بقبضتًي، أظنُّ المي كانت محقة، تمكنتُ أسرة «هان» من انتزاعي من فوقه، وكنت ألمي كانت محقة، تمكنتُ أنني ترنَّحت في طريق عودتي إلى المنزل.

وعلى نحو لا يُصدُق، وجد زوج «هيفومي» شخصًا يرغب في الزواج بماساكو»، كان محاسبًا يعمل بمدرسة في بلدة اسمها «مينسان»، ني أعماق الجبال، توفيت زوجته ولديه طفلان، وهو «عائد»، بطبيعة لمان استشعرتُ نُذُرَ متاعب منذ البداية؛ لأنها لم ترَه من قبل قط، وبما أنني مررت بالتجربة نفسها، كنت متشكّكًا بشأن ما إذا كان هذا هو الحل المناسب لها، لكن «ماساكاو» كانت سعيدة بالمُضي قُدُمًا في الزواج، وأظنها كانت مستعدة لفعل أيّ شيء من أجل فرصة لعيش حياة مستقرة.

قلتُ لها يوم مفادرتها: «إذا أساء معاملتك، فأخبريني فحسب، مأتولى أمره»،

قالت: «لا، شكرًا.. لا مزيد من العنف، عِدني بأنك ستظل هادئًا».

شعرتُ أنا وأبي بالوَحدة من دونها، وكذلك ابني، كان من الغريب أن بخلو المنزل من أيّ امرأة، وبدأ أبي يسألني عما إذا كنتُ مهتمًا بالزواج مجددًا، لم أكن متحمسًا، لكن عندما فكرتُ بابني وبمستقبلي، علمتُ في قرارة نفسي أنني أريد إيجاد امرأة أشاركها حياتي، ربما تنجح المحاولة الثانية.

قابلت عام 1976 امرأة اسمها «كيم تي سول»، كلانا جاء إلى كوريا الشمالية من البابان في السنينيات، وكلانا مُطلِّق، كانت متزوجة سابق بأحد الكوريين الشماليين الأصليين، لكن حماتها كانت تُهينها على الدوام بقولها: «أنت عائدة، لماذا ليس لديك أي شيء ذي قيمة؟ »؛ إذا لم يستمر زواجها أكثر من شهرين، ولأننا مررنا بتجارب مؤلعة متشابهة اعتقدنا أننا يمكننا تشارك مشاعرنا وإمضاء حياة هادئة معًا.

كانت مراسم الزفاف في غاية البساطة، تشاركنا ما لدينا من طعاء، وشربتُ مع «ثي سول» كوبًا من الساكي، لنُعلن بداية تعبُّد بعصنا بعضًا، وبعد مراسم الزفاف، قال أبي لي إنَّ «تي سول» سوف تصطر إلى المغادرة بعض الوقت لتعتني بجدتها طريحة الفراش في «هامجو» لذا لن نتمكن من بُدء حياتنا الزوجية تحت سقف واحد.

اصطحبت الجدة «تي سول» وشقيقتها وشقيقها إلى كوريا الشهية بعد مقتل والدهم في حادث باليابان، واختفت والدتهم بعد موته؛ لذا لم يبق سوى جدتهم لتربيهم، لم يكن هناك أحد لمساعدة جدتهم عنئ فوافقنا على العيش منفصلين بعض الوقت، تفهّمت صعوبة عوقف «ثي سول»، فكنا نرى بعضنا متى ما أتبحت لنا الفرصة، باستقلال القطار لمدة خمس وأربعين دقيقة لزيارتها ما أمكن.

حلّت السنة الجديدة (عام 1975) وحلّ الربيع، وذات يوم رأيتُ امرأة تقف خارج المنزل وأنا عائد من العمل، كانت ترتدي بنطال عمل مهترنًا ومعها طفلان، بدت زَرِيّة الهيئة، فظننتُ من بعيد أنها ربما نكون متشردة، ولاحظت أنها حامل عندما اقتربتُ منها، ثم التفتتُ إليّ، كنت مماساكو،، سألتها: «ما الذي تفعلينه هنا؟ تبدين بحالة مربعة، مانا حدث؟».

مَرْنَ رَبُّ وَالْحَرِضَتَ فِي الْبِكَاء، فَأَصْطَحِبَتُهَا إِلَى الدَاخَل، ومِن مِنْزِنَ رَبُّ وَالْحَرِضَتَ فِي الْبِكَاء، فَأَصْطَحِبَتُهَا إِلَى الدَاخَل، ومِن مِنْزِنَ رَبُّ وَصَحِتُ لَي كَبِفَ أَنْ حَمَاتُهَا كَانِتَ تُهِينَهَا، ومَجِدِدًا،

ب كانت حماتها تقول لها: «أنت عائدة، لماذا ليس لديك أي شيء؟ إلينا العال والأشياء، لماذا لا يرسل أقاربك الماذا الله الماذا الا يرسل أقاربك

وسرعان ما انضم زوجها الجديد إلى أمه، وفي نهاية العطاف بسردوها من العنزل ومعها طفلاه، لاحظوا.. طفلاه هو.

لم بكن لديها مال أو أي خيار، فبدأت سرقة الطعام، ثم بدأت المشي ومي حامل، مع طفلين في التاسعة والحادية عشرة في أعقابها كل الساعة عائدة إلى قريتنا، وقد استغرقوا ثلاثة أسابيع. لا عجب أنها كان عي حالة يُرثى لها، أحسستُ باليأس والحزن حيالها، وبالعجز أيضًا عن جعل حياتها أفضل، صليتُ لله وابتهلتُ أن يساعدها.

الحدث وماساكو و صبياً بعد شهر وأسمتُه وغانغ هو و كانت ضعيفة وراهية بحيث عجرت عن إرضاعه فكنا نعطيه ماء الأرز لكنه لم يُجْدِ معنا، وسرعان ما تحوّل بُرازه للّون الأسود، فذهبنا به إلى العيادة، ووحدنا الطبيب رحلًا لطيفًا لا يُشبه في شيء ذلك الذي لكمتُه لكن لم يكن نئة شيء يمكنه فعله، قال: «أنا آسف جدًا، لكن ما عليكما سوى الانتظار لعله يتحسن من تلقاء نفسه».

حل الخريف، وبدأ الطقس يبرد، وصارت صرخات الطفل واهنة مطول ذلك الوقت، ثم مات ذات ليلة، بعمر يُناهز ثلاثة أشهر فحسب، ولم تترُك شقيقتي في محْجَريها دمعة إلّا استذرفتها، كانت تبكي حتى ثنهك تمامًا، ثم تنام، وعندما تفيق، تعاود العويل مجددًا.

قَمَطْتُ جِثْمَانَ الرضيع وخرجت به في ظلام الليل، فأعقب خروجي رعدٌ ومطر غزير، كأنما الطبيعة تتجاوب معي، سرتُ متجاوزًا قبر أمي، وتجاوزت مزرعة الفواكه، وتسلقت الجبل، حاملًا جثة الرضيع المثيرة للشفقة بين ذراعي، انهمر المطر غزيرًا على جانب الجبل، جارفًا معه التربة والرمال،

ظللت أتعثر وأنزلق على الأرض المُوحِلة، وأخيرًا توقفت ووضعت الجثمان الصغير على الأرض، وبدأت الحفر بيديَّ العاريتين، حاولت ألا أفكر بأيِّ شيء وأنا أحفر في الظلام، وكان جثمان الرضيع إلى جانبي بلوح لي كلما أضاء البرق، كم كان منظرًا مأساويًّا مُروَّعًا.

نهضتُ وصِحتُ في الفراغ: «لماذا علينا تحمُّر هذه المعاناة؟ ما الذي اقترفناه لنستحق هذا؟»، وانثالت دموعٌ ساخنة على وجهي المُنثل.

دفنتُ الرضيع وعدتُ أدراجي هابطًا من الجبل، وأنا أجأر بالشكوى كالمعتوه.

بعد موت ابن أختي، ظللتُ أسأل نفسي السؤال عينه مرارًا وتَكرارًا: «لماذا كان يجب أن تموت أمي ويموت رضيع بريء؟ ما المغزى من حياة ليس فيها شيء سوى الألم؟» فمنذ قدومي إلى كوريا الشمالية، لم أختبر سوى القسوة والجوع واليأس، لم أعُد أُطيق رؤية الناس.

لذلك قررت أن أتوقف عن العمل في المزرعة التعاونية، وأن أصبح حارق فحم في أعماق الجبال، فبوصفي حارق فحم، سوف أتمكن من العمل وحدي تمامًا والعيش مثل ناسك، وبطبيعة الحال فكرت ببني وأبي وشقيقاتي، لكنني كنت في حالة نفسية مُزْرية، وخشيت أن وجودي بينهم ربما يكون فكرة سيئة.

لم يكن لدي الحق في اختيار عمل جديد بهذه البساطة، بالطبع كنت الحافظة المن المحافظة الماد المرء الانتقال إلى عمل آخر، فيجب عليه المحافة إلى تصريح، فإذا أراد المرء الانتقال إلى عمل آخر، فيجب عليه أن يُصدر له من الحزب تصريح تغيير عمل، وتصريح نقل حصة الغذاء، أن يُصديح عسكري لتغيير العمل؛ لذا إذا توقف المرء عن العمل، يتضور وتصريح عسكري لتغيير العمل؛ لذا إذا توقف المرء عن العمل، يتضور وتصريح عسكري القائم، لكن إن فعل المرء هذا، فما أمامه بخرجون عن النظام المجتمعي القائم، لكن إن فعل المرء هذا، فما أمامه بخرجون عن النظام المجتمعي القائم، لكن إن فعل المرء هذا، فما أمامه بخرجون عن النظام المجتمعي القائم، لكن إن فعل المرء هذا، فما أمامه بخرجون غيارين إما أن يُصبح متسولًا متشردًا، أو قاطع طريق.

يُعدُّ حرق الفحم، بمعايير معظم الناس، أحد أسوأ الأعمال على الإطلاق، عملٌ بمارسه أوضع الوضيعين، إذا اختار المرء أن يترك العمل سائقًا لجرار ليصبح حارق فحم، فسيعدُّه الناس مجنونًا، لكن هذا كان بمبُ في صالحي، فحالما سلَّمتُ طلبي لأن أصبح حارق فحم، قُبِل على الفور، سابقة! «حارق فحم! لا أحد يريد مزاولة هذا العمل!».

رضح أبي وشقيقتي لقراري، بدا أنهما يدركان عجزهما عن ثنيي عن قراري مهما قالا لي، واستشعرا أنني بالكاد أتمالك نفسي؛ لذك لم يحتَجُ عندما طلبتُ منهما الاعتناء بابني الذي كان في السادسة عندئذ، كان يأتي من المدرسة كلّ يوم ويخبرني بكل الأشياء التي تعلّمها، ما قاله هذا وما فعله ذاك، وما إلى ذلك، مليءٌ بحس الأطفال بالتعجب. كانت عذوبته تُدمي قلبي، كما شعرتُ بالأسف لترّك زوجتي التي كانت لا

تزال تعنني بجدتها، لكن ما شدًد عزمي أنني لم أعُد بحاجة إلى التواصل مع أي أحد، سيكون هذا أفضل لي ولهم، أو هذا ما ظننتُه وقتزال.

وفي صباح يوم مغادرتي، وقف أبي وشقيقتي معًا مرتبكين ليودًّعاني والكآبة بادية عليهما، وعندما هممت بالمغادرة، قال ابني ببراءة: دسأعتني بجدي وعمتي، أرجوك اكسب كثيرًا من المال،

ببر أحسستُ بقلبي ينفطر وأنا أعانقه، ثم بدأتُ أسير مستعدًا عنهم، ولم أنظر إلى الخلف، لعلمي بأنني إذا نظرتُ، فسأتشظّى.

سِرتُ من الصباح الباكر حتى الغروب، وضلَلْتُ طريقي بضع مران، وفي النهاية وصلت إلى مركز العمل،

يتكون مركز العمل من ثلاثة أفران، وخيام للعمال يقيمون فيها، وثور للنقل، لم يكن هناك سوى سبعة أو ثمانية عمال، الأمر الذي كان يناسبني تمامًا، وجوههم جميعهم محفورة بتجاعيد غائرة، وكانت تجاعيدهم وندويهم تحكي قصص مشاقً حيواتهم.

بدأتُ العمل في اليوم التالي، وكما وُجُهتُ، قطعتُ شجرة زانٍ وشذُبِن فروعها، وقطعتها إلى قطع بطول عشرين بوصة، ثم أحذتها إلى الفرن، منثُت الفرن بالفروع المقطوعة، وأوقدت النار في المنتصف، وبعدما تذكدتُ من اشتعال النار، غطيت مدخل الفرن بالتراب، وبعدما سرعال ما بدأ الدخان يتصاعد من المدخنة. قيل لي إذا كان الدخان أصفر، فهذ، بعني أنَّ النار قوية، ويجب أن تكون مشتعلة ثلاثة أيام داخل الفرن، وعندما يتوقف الدخان عن التصاعد من المدخدة، عليُّ الانتظار ثلاثة أيام أخرى قبل استخراج الفحم، إذن تستغرق العملية بأكملها عمومً قرابة أسبوع.

من المفترض أن يضطلع شخصان بهذا العمل، لكن في الواقع يقوم المفترض واحد، وكان هذا يناسبني تمامًا، عندما أصبحتُ دفعتي الأولى بالفحم مُهيّاة، أزلتُ التراب من المدخل وزحفت إلى داخل الفرن، الفحم مُهيّاة، الولى بالنسبة إليّ؛ لذا أردت التحقق، دون وجود أحد كانت المرة الأولى بالنسبة إليّ؛ لذا أردت التحقق، دون وجود أحد بالجوار، مما إذا كانت ناجحة، وضعتُ مِنشفة مبتلة على فمي، لكنها سقطت داخل الفرن، فدخل الكثير من مسحوق الفحم إلى أنفي وفمي، مكان الفرن ساخنًا، وبدأت أنضح بالعرق، صُدِمت من سرعة استنزاف ما النبي، لكنني ملأتُ سلّتي بالفحم وزحفتُ خارجًا.

بدا «كيم»، قائد المجموعة، قلقًا عندما خرجت، فحذرني قائلًا: «كن حذرًا! ثمة غاز سامً بالداخل».

لم أكن أعرف هذا، لكن لم يكن من المعتاد أن يُعبَّر أحدهم عن رأيه جهازًا على هذا النحو، جميع من في مركز العمل أصحاب خلفيات مضطربة، ولا أحد يرغب في إجراء حوار، حتى بشأن أبسط الأشياء، كان الصمت هو القاعدة.

كانت وجباتي تتكون من أرز الذرة الذي أجلبه كلّ يوم من المخيم الذي أعيش فيه، إضافة إلى بعض الأعشاب الجبلية التي أجمعها وأغليها، وكان الكحول على ما يبدو ضروريًا لهذا العمل، ويعلم الله وحده إن كان مذا صحيحًا أم لا، لأنني لم أجد إطلاقًا أيّ دليل طبيّ يدعم هذه النظرية، لكن قيل لي إنني إذا لم أشرب الكحول، فسوف أعاني مرضًا رثويًا، لم أكن أشرب الكثير من قبل، لكنني بالطبع تعرفت على مذاقه بسرعة. إذا لم تشتمل حصص طعامنا على الكحول، تنفتح جميع أبواب الجحيم، وكان بعض العمال يهتفون: «لا كحول، لا عمل!»؛ لذا كان مخزون الكحول يظل ثابتًا على نحو لافت.

ظهر ناظرُ الغابة ذات يوم، بعدما انقضت قرابة ثلاثة اشهر من برء العمل، قُطِعت بعض الأشجار دون تصريح، وكان خائفًا قليلًا؛ لذا طلر مني مرافقته في الدورية التي يقوم بها تلك الليلة، فانطلقنا بعد العرور مباشرة، وبالطبع، صادفنا أناسًا يقطعون شجرة.

مبسرة المنتحركوا! ابقوا في أماكنكما، صاح الناظر وهو يركض نحوهم يعصباحه البدوي ذي الضوء الواهن، كان هذاك قرادة ثمانية شبان مجتمعين حول الشحرة، توقعت أن يهربوا، لكنهم لم يفعاوا، بل حدر العكس في الواقع، التفتوا إلى الناظر وشرعوا في ضربه، فقفزل للمساعدة، وفي النهاية، صرعت ثمانيتهم،

وبعد ذلك صرتُ حديث القرية المجاورة، وصاروا يلقنونني بدوالمصارع، ليس تمامًا والبمر، مثل أبي، لكندي لم أمانع.

ظهر شرطي بعد بضعة أيام، وطلب بصمات أصابعي، لم أصدّق أقرُ مانني تعاديت قليلًا، لكنني كنت أساعد الناظر، ولم أعد عليهم أعيد الساني حتى لا أورّط مفسي مي مزيد من المتاعب، كان بإمكاني شخمين عا قد حدث. قدّم اللصوص رشوة للناظر ليسمح لهم بقطع بصع أشجار هنا وهناك، وأوقع الناظر بي في فخ، أصدحتُ حارق فحم لأنجنب الأفاقين واللصوص الذين يتظاهرون بأنهم شرفا، في كوريا الشمالية، لكن ما من مفر،

تلقيت برقية من روجتي عندما بدأتُ أعتاد العمل.. برةية موحزة، وورد صبي، 15 من إبريل، عُد سريفاء.

جاشت عواطعي، وصار ذهني ضعابياً، مات رصيع «ماسكو». وفقت صوابي قليلًا وابتعدت لأعيش كناسك، وكانت حياتي الحديدة تناسعي تمامًا، لكن عندئذ طهر طفل جديد في الصورة، فك حراً مني مبتهج بالخبر، لكن حراً أحر.. كان أقل الثهاجًا.

منذ رئيسي في العمل أيّما سرور عندما قلت له الخبر، حتى إن من بداه يعتقد أنَّ الطفل طفله، وأعطاني كيسًا كبيرًا من الأرز الغروي، بداه يعتقد أن الطفل طفله، وغاصوليا أزوكي، وكمية من الأرز العاديّ، جميعها من ومبوب سمسم، وفاصوليا أزوكي، وكمية من الأرز العاديّ، جميعها من مدون طعام الطوادئ.

مرد-الله الله الله مناتي المناتي الزوجتك!».

رُهشت، إذ لم أره يبتسم مجرد التسامة من قبل قط، ولم يكل يتحدث عبرًا وكان مُتحفَّظًا عمومًا، لنّنه في ذلك اليوم كأل في غاية اللطف، ومُت السير إلى المعزل، متفاحنًا ومشوشًا، لكنني سعيد بفكرة حمل هذه الهدايا الثمينة إلى زوجتي.

وصف إلى مدرل روجتي في اليوم الثامن عشر من الشهر، كانت روعتي نائمة وبيني المولود حديثًا بنام إلى حوارها، وعندما استيقظت كانت سعيدة درؤيتي لدرجة أدنها أجهشت بالدكاء.

هالت: «لم أعتقد أنك ستأثي».

كُنتُ مِنتَعِدُ أَكْثُرُ مِن سِنَّةَ أَشْهِرٍ، وَطَنَّتِ أَنْنِي هِجِرِتُهِ لِلأَنِدِ.

ول الطعل عي يوم ميعاد ، كيم إيل سونغ ، الأمر الذي مم يكن عالا حمد بالنسعة إلي، ليس لأنه كان سيّئ الحط بمولده في يوم ميلاد ذلك رحر شفه عحسب، لكن أيضًا لأنه تاريخ احتراق منزلنا الأول عام 1964 من محية أخرى، خان الموعد السنوي لذوريع حسس الطعام لذا ربعا لا يكون الأمر شرًا كله.

أحيرتني روحتي بعضة منظر الطعن، ثلقت هي وشعوهي فاره عن وأن العروي على شرمة عليا مبيلات عصما والدو عد تأسوه المحال ورقوه من أحر إعداد كعب أل وهوا والعداد والمحالين قَطَعتُ القصة وتوقفت مُحرَجةً هنيهة، وقالت: «أسفة سمَّيتُ الطفل ميونغ هوا، أردت مناقشة الاسم معك، لكنني ظننت أنك لن تعودي

. قلتُ متفاجئًا: «لكن في البرقية،، قلتِ إنه صبي».

والله معتذرة: «كلُّ ما في الأمر أنني ظننت.. إذا قلتُ إلَّ ما في الأمر أنني ظننت.. إذا قلتُ إلَّ إلَا اللهُ اللهُ

لا تكوني سخيفة! صبي.. بنت.. كلاهما رائع.

كنتُ في غابة السرور، ودَقَقتُ بعض الأرز الغروي المطهو بالبخار، وأضفت قليلًا من فاصوليا أزوكي الحلوة، وأعددت تحلية مميزة، ودَعُونا بعض الجيران للاحتفال بالميلاد،

رؤية طفلتي وهي تنام بسكينة جعلتني عازمًا على الكدُّ في العمل أكثر مما سبق، لكن الواقع ألقى عليَّ بثقله في وقت متأخر من تلا الليلة، لديَّ زوجة.. والآن طفلان، ومهما كدَدَت في عملي، فسأظل فقيرًا دومًا، لن يُسمح لي أبدًا بتحسين حياتي، مهما بذلتُ من جهد، وسيواجِه أطفالي حياةً تطفح بالمعاناة بصرف النظر عما أفعله.

استيقظتُ في الصباح التالي وقد هويتُ مِن ذُرى حماستي الساذجة، ومجددًا وجدتُ نفسي في خِضم إحساس التفاهة، ولاحظتُ زوجتي التغيير الذي اعترائي، لكنها لم تقل شيئًا.

قررتُ زيارة أبي وشقيقتي وابنِي.

ابتهج «هو تشول» برؤيتي، وطفق يتبعني أينما ذهبت، ولم يرغب في أن يتركني أغيب عن أنظاره دقيقة واحدة، هكذا هم الأطفال، يُذيبون القلب بابتسامة. رأى أبي الطفلة «ميونغ هوا»، ولم تسَعْه الفرحة بها، وكانت «ماساكو» موجودة، ولا تزال تبدو مفجوعة، تعمل في مصنع عصير فواكه في «دونغ تشونغ ري»، لكن لم يبدُ أنَّ العمل حسَّن حالتها

المنابة بايزا، كانت عودتي رائعة في بادئ الأمر، لكن سرعان ما عاودني الماس اليأس، لم يسفني سوى التفكير بأنه إذا حلّت فاجعة أخرى المائني، فإن أنمكن من الاحتمال،

برائني الخروج من المنزل والتّمشي في نواحي القرية، فصادفت المعارف القدامي، الذين لطالما كانوا يحتقرونني، لكن الغريب معروا برغبة في تجاذب أطراف الحديث، وأخبروني عن امرأة الما المديث، وأخبروني عن امرأة المديدة المهرت في القرية، كانت -على ما يبدو- «عائدة» ترية، نُفيت المبدؤ من معامهونغ»، عاشت حياة مترّفة للغاية في «هامهونغ»، ونهاونت بعض خطوط الشرطة السرية الحمراء، ومن بين جميع ونهادن بعض خطوط الشرطة السرية الحمراء، ومن بين جميع والماكن نُفيت إلى قريتنا، كان الطبيعي أن يُزَجّ بها في معسكر اعتقال؛ ولذاك ظن الناس أنها لا بد أن تكون قد قدّمت رشوة لأحدهم.

استمعت دون كثير اهتمام واستأنفت السير، وبعد بضع دقائق، بلغت نهر القرية الصغير، فها هي ذي، تلك المرأة الغامضة، كانت في غاية النظافة والأناقة، مشيت نحوها وعرَّفت بنفسي، ففي النهاية، كلانا عائدٌ، ألقَتْ نحوي نظرة خاطفة، ثم تجاهلتني مُتعمَّدة، كان من الواضح أنني غير موجود بالنسبة إليها، وسارت بجانبي ساهية، شبح آخر في أرض الأموات،

وعندئذ قررتُ العودة إلى الفرن، إلى عالم الصمت والعمل الشاق، العودة إلى قطع الأشجار والفروع، وحمَّلها على كاهلي وإقحامها في الفرن، ثم الشراب من أجل تبديد آلام ظهري وقلبي، كل ما في الأمر أنني أردت أن أفعل شيئًا صادقًا ونقيًّا، شيئًا لا أُوبَّخ عليه، لكن بطريقةٍ ما، حتى عندما عدت إلى حياة التنسُّك، لم أستطِع صرف تفكيري عن تلك والعائدة» التي تجاهلتني، كان من الغباء إطالة النفكير في ذلك الموقف، فمِن بين جميع الإهانات التي رَزَحْتُ تحت وطأتها طوال حياتي، لم تكن

إهانتها هي الأسوأ، لكنني عجزت عن صرف تفكيري عنها، فهي قر أمعنت في تجاهلي إمعانًا، وتصرفتْ كأنني غير موجود إطلاقًا، حتى وأنا أقف أمامها مباشرة، بدت تلك اللحظة كأنها تلخيص لوجودي بأكمله؛ كنتُ لا شيء.. دون اللاشيء، ومهما كان ما أفعله، لا يعدو كونه إهدارًا للوقت، وإهدارًا للجهد،

ذات صباح وأنا أقطع شجرة، خطر لي فجأة، سُحقًا لهذا! ضع حرًا للأمر فحسب! لن يكون ألم الموت شيئًا مقارنة بهذا الجحيم على الأرض. أخذتُ حبلًا حيثُ لا يوجد نقص في الحبال في عمل حرق الفحم وعلَّقته على فرع شجرة، وعقدت أنشوطة، وكان تحت الشجرة حجر بالارتفاع المناسب للقفز منه، فتأكدت منه وصعدت عليه، ثم نظرتُ إلى النهر الذي ينساب أمامي مندفعًا، غير مبالٍ بالمستقبل، ولسببٍ ما، انهمرت الدموع من عينيًا.

جذبتُ الأنشوطة فوق رأسي، وأخذت نفسًا عميقًا.. قفزت.

تمايل الفرع فوقي بعنف، وتأرجح جسدي، ورحت أتأرجح باضطراب، لكن الأمر كان كما لو أنني انسلخت عن جسدي وأخذت أنظر إلى تشنُّجاتي من الأعلى، كنت لا أزال أحسّ، ولا أزال أرى، ولا أزال أتنفس، لكن بالكاد،

الحقيقة هي أنني أفسدتُ انتحاري، حتى انتحاري لم أنجزه كما ينبغي. عَلِقَتِ الأنشوطة حول ذقني، ولم تأتف حول عنقي؛ لذا لم تُطبِق على شرياني السباتي، كنت قادرًا على التنفس تنفسًا خفيفًا، لكنه مؤلم ومجهد، وكان جسدي، أو شيءٌ ما في دماغي، لا أدري، يجاهد يائسًا من أجل النجاة، انسابت دموع الألم والإحباط على خدي، وسال اللعاب من فمى.

نم سمعت صيحة من خلفي، كان دشين»، أحد زملاني من حارقي

الفحم سمعته يركض، وفجأة أقحم رأسه في مُنْفَرَجي، ورفعني على كتفيه أخدج الأنشوطة من رأسي، ثم تهالك، وسقط كلانا على الأرض.

واحدى كنت لا أزال أختنق وأتلوعى، وأحسست بموجة من الإحباط والكرب لعجزي عن قتل نفسي، ورحتُ أخمش الأرض لاعنًا نفسي، كنت أبكي، وكان «شين» يبكي، وصاح بي من بين دموعه: «لماذا تفعل شيئًا فظيعًا عمذا؟»،

وُلِدتُ مجددًا.

لا بدأنَّ «شين» أخبر رئيسي، لأنه قال لي تلك الليلة: «ما الذي كنت لفكر به بحق السماء؟ إذا متَّ، فما الذي سيحدث لعائلتك؟ إن كان أطفالك لا يعنون لك شيئًا إطلاقًا، لا يجدر بكَ التخلِّي عن الأمل هكذا!».

أجهشتُ بالبكاء، ولم أستطع التوقف.. ظللت أنشج فحسب.

قَلْتُ: «أَظْنَنِي قُدِّر لي مواصلة البكاء».

فضحك.. لكن بلطف.

ثم عاقرُنا الشراب حتى وقت متأخر من تلك الليلة.

انقضت قرابة سنة، ثم تلقيتُ ذات يوم برقيّة من زوجتي، تخبرني بأنها صار أخيرًا بإمكانها مغادرة منزل جدتها، فقررتُ أنه حان وقت العودة، وطلبت من رئيسي الإذن، فكان في غاية التعاطف، أحسستُ كأنني عائد من رحلة تطهيرية من نوعٍ ما.

ودَّعَني جميع الرجال يوم مغادرتي، كانوا جميعهم صموتين لكنهم طيبون جدًّا، اجتاحتْنِي عاصفة من العواطف المتباينة، كان أولئك الرجال أكثر مَن قابلتهم نزاهةً منذ مدة طويلة، كنا نعيش في صمت منبادل متّفق عليه، في عالم بدا بطريقةٍ ما منقطعًا عن واقع الحياة اليومية، لكن لديًّ عائلة عليَّ الاعتناء بها، أحسستُ بيَذْرة أمل صغيرة تضرب بجذورها في دواخلي، كنتُ مستعدًّا للرحيل،

عدت إلى منزل أبي في «دونغ تشونغ ري»، وجاءت زوجتي وطفائي الرضيعة للعيش معنا، صرنا ثمانية في المنزل: شقيقتي «ماساكو» وابني زوجها، وابني، وزوجتي، وابنتي، وأبي، وأنا.. ثمانية! وكان أبي هو الوحيد الذي يعمل، حيث لم تُقرَّر وظيفتي الجديدة بعد، كان مِن المستحيل أن نتدبر أمورنا.

كذا في أوائل الثمانينيات، وتردَّى الوضع الغذائي من سيِّئ إلى أسوأ، وكان الشِّعار الذي يُردَّد في كل مكان هو «الشيوعية تَعني الأرز!»، عمال المزارع والطلاب يعملون معًا من أجل تمهيد حقول الأرز المُدرَّجة على جوانب الجبال، لكن عندما حل موسم الأمطار، جُرفت معظم الحقول نظرًا للتخطيط السيّئ، وحتى الحقول التي نجت لم تكن في حالة جيدة بما يكفي لزراعة أيّ شيء كما ينبغي، آه، وكنا لا يزال علينا أن نغرس الشُّتول قريبًا جدًّا من بعضها؛ لذا في النهاية تتزاحم الشتلات ولا تنتج محصولًا جيدًا، ورغم أننا كنا نعلم بهذا، إلا أنه كان علينا جميعًا اتباع نظام جوتشي المثير للسخرية، وإذا لم تُحقِّق مزرعةٌ هدف الحصاد الموضوع لها، يتلاعب مدير المزرعة بالحسابات حتى يبدو أنَّ الهدف حقق فعلًا، لكن رغمًا عن التقارير والحسابات المزعومة، فإن الإنتاج لم يكذب، إذ كانت حصص الغذاء التي تُوزَّع كلٌ خريف يتقلَّص حجمها على الدوام.

سألتُ سيدة عجوزًا تعيش قرب النهر مع ابنِ لها معاق عقليًا، عما إذا كان بإمكان أُسرتي أن تعيش في إحدى الغرف بمنزلها، فوافقَتْ. وفي مطلع السنة الجديدة، غادرنا أنا وزوجتي وطفلاي الاثنان منزل أبي،

ر أرال عاطلًا عن العمل، ولم أستطع العثور على عمل مهما حاولتُ على عمل مهما حاولتُ على عمل النهر. المناه على أعشاب الجبل والأسماك من النهر.

ماه الدن بشدة بنا، منزل لأسرتي، فاستعرت بعض الأدوات وعربة أردن بشدة بنا، منزل لأسرتي، فاستعرت بعض الأدوات وعربة المزرعة، كان الثالج يتساقط غزيرًا، لكنني لم أعد قادرًا على أرد من المالفت إلى الجبل، وفي الغابة كانت الثلوج تبلغ خصري الامنان، ومجرد السير فيها كان عناءً لا يطاق، وعندما وجدت في بعض الأماكن، ومجرد السير فيها كان عناءً لا يطاق، وعندما وجدت في بعض الأماكن، ومجرد السير فيها تان عناءً لا يطاق، وعندما وجدت في بعض الأماكن، ومعرد الشيرة ومندما وجدت الأمر نفسه مرارًا وتكرارًا، كان عملاً وجدرتها مابطًا الجبل، وفعلت الأمر نفسه مرارًا وتكرارًا، كان عملاً وجدرتها مابطًا الجبل، وفعلت الأمر نفسه مرارًا وتكرارًا، كان عملاً وجدرتها مابطًا

لم يكن لدي ما آكله سوى بعض أرز الذرة العجمً الذي حصلت عليه من أبي، وكنت متى ما شعرت بالعطش أقجم حَفنة من الثلج في عليه من أبي، وكنت أتعرقًا غزيرًا كلما صعدت الجبل لأقطع شجرة، ثم أوتجف طوال طريقي للأسفل، وبحلول الوقت الذي صار فيه لدي ما يكفي من الأشجار، بات بنطال عملي المهترئ مجمّدًا بالعرق والثلج، وعندما أمشي يُصدر خشخشة وينثر بِلّورات ثلج صغيرة على الأرض.

تشرت لحاء الأشجار بمنجل وكومت جميع الجذوع على مقربة من المكان الذي أعتزم بناء المنزل فيه، وقطعتُ الأشجار إلى أجزاء بالطول المناسب، ثم جمعت بعض الصخور التي قرب النهر، وجرَرُتها بالعربة من أجل الأساسات، وبعد وضع صخور الأساسات، نصبت الأعمدة، واستخدمت الطين والصلصال لصنع لصوقٍ من نوعٍ ما. إذا كنتُ أحد أصحاب الشأن في الحزب، لتمكنتُ من الحصول على بعض الأسمنت، وهذا بالطبع لم يكن خِيارًا متاحًا بالنسبة إليَّ.

مزجتُ اللصوق بيديَّ العاريتين ووضعته على الجذوع، كانت راحتا بديَّ تنزفان؛ لذا أُضيفَ دمي أيضًا إلى المزيج، وأشعلت نارًا لأدَفَّئ يديَّ حتى أتمكن من مواصلة العمل، لكن جلدي كان يتقشر عن راحة يديً، وتلسعني الحرارة، كان الأمر بِرُمّته مرهقًا، لكنني تابعت العمل فحسر. ومّا تلو يوم، وأسبوعًا في إثر أسبوع.

شارف بناء المنزل على الانتهاء بعد خمسة أشهر، بنيتُ سقفًا مقوسًا وغطيته بحصيرة قش صنعَتْها زوجتي، كان أقرب إلى كوخ أكثر من كونه منزلًا لاثقًا، لكنه على الأقل سيوفر لنا مأوى من المطر. وبعدما تأملت البناء قليلًا، النفتُ إلى زوجتي قائلًا: «أتضح أنَّ شعار «السرعة فوق كلَّ شيء» لم يكن سيئًا في هذه الحالة».

«السرعة فوق كلّ شيء!» أجابت ضاحكة، كان أحد الشعارات التي تلوكُها الألسن في كُل مكان آنذاك.

عندما انتقلنا إلى المنزل، كان «هو تشول» في السابعة من عمره، و«ميونغ هوا» في الثانية، لم يكن لدينا سوى صندوق تفاح ومقدة أعطانا إياها أبي، وبما أنني لم أعد عامل مزرعة، لم أكن مخوَّلا بالحصول على حصة طعام؛ لذا في كلّ يوم كنت أذهب إلى مزرعة القرية وأسرق فجل «دايكون»، وكان الطبق الذي نُعِدُّه منه بسيطًا، نُقطع الفجل بما فيه الأوراق، ونمزجه ببضع حبيبات من الأرز الذي نتمكن من جمعه، ونضيف كمية من الماء لعمل سخينة أرز، بيد أنها لم تكن سخينة أرز واحدة عندما نغرف الشيء المربع، لكن رغم أننا كنا نعيش فقرًا مدقعًا، كانت أول مرة يلتئم فيها شملي بأسرتي الخاصة، وبطريقةٍ ما، اعتقدتُ أنَّ بإمكاننا النجاة، إذن سخينة «الأرز» كانت طعامنا كل يوم. لم أشعر بالذنب حيال سرقة الأرز، ما الخيار الذي كان متاحًا أمامي؟ زوجتي بحاجة إلى الأكل لتُرضِع طفلتنا، وابني يجب أن يأكل، وكذلك أنا، كانت ببساطة مسألة إبقاء على حياتنا.

بدأتُ أتخذ موقفًا لا مباليًا إزاء كل شيء، قلت لزوجتي: «حتى إذا تمكنتُ من إيجاد عمل، فلن نتمكن من إطعام أنفسنا كما ينبغي»، قررتُ أننا بنبغي أن نعيش مستقلّين، وألّا نعتمد على الحكومة، ويحلول الربيع الثالي، كنا نعيش على الهندباء البرية والسرخس وحبق الراعي، كنا نغيش على الهندباء البرية والسرخس وحبق الراعي، كنا نغليها مع عجينة مصنوعة من جوز البلوط، وجوز البلوط هذا سام، نغليها مع عجينة مصنوعة من جوز البلوط، وجوز البلوط هذا سام، لكن ماذا عساداً أن نفعل، وكان مذاق هذا الطبق الملفّق مُرَّا، تتخدّر منه السنتنا بعد أكله، لكنّ له مذاقًا على الأقل، وهو أفضل من عدمه.

وفي الصيف كنتُ أسرق الكثير من الخوخ، واستمتعنا بتناوله سعداء، وكذلك كنت أسرق التفاح والبطاطس، لم أكن وحدي؛ فكثير من الناس كانوا يسرقون، أظن أنَّ الشرطة استسلمت.

كان بعض الطعام الذي نأكله فاسدًا، كما كنا نتناول بعض الأعشاب السامة، وغالبًا ما كنا نعاني آلام بطن مُمِضَّة، لكن لم يكن ثُمَّة شيء يمكننا فعله حيالها.

استمرّت هذه الحياة قرابة عام، إلى أن قالت زوجتي ذات يوم إنها قلِقة على جدتها، وبعد ذلك صارت تعودها بانتظام، وغالبًا ما تعود مكيس من الأرز، وتقول لي إنَّ جدتها أعطته لها، لكنني كنت أعلم أنَّ جدتها ليست مُوسِرة، كما لاحظت أنَّ زوجتي تبدو واهنة كلما عادت إلى منزلنا.

وفي النهاية، لم يسعني سوى سؤالها عن كيفية حصولها على الأرز.
لم تقل شيئًا في بادئ الأمر، لكنبي ألححت عليها حتى اعترفت بالحقيقة، فعلى ما يبدو، عندما تقول إنها ذاهبة إلى منزل جدتها، تذهب في الواقع إلى مركز نقل دم في «هامهونغ»، كانت تبيع دمها لشراء الأرز.

لم أملك سوى التحديق إلى السماء،

دعوني أخبركم بما كنا ندرسه في المدرسة بكوريا الشمالية: ولا يستطيع الناس في كوريا الجنوبية العيش إلا بالسرقة، وبيع دمائهم،. يا للسخرية!

في يونيو من 1982، كانت زوجتي في الشهر الأخير من حفلها الثاني، ولم تأكل سوى القليل طيلة شهور، لا شيء سوى الأعشاب المعتادة والنباتات البرية، كنت أراها تتلوّى من تقلصات المعدة مران عديدة، لكنها بطريقة ما بلغت هذه المرحلة، وكانت على وشك الولادة.

كنا مُعدَمين؛ لذا لم يكن بمستطاعي اصطحابها إلى عيادة، وكنتُ يائسًا لِأجد لها بعض الطعام المُغذِّي العشاب بحر للحساء ولحم خنزير وأرز للاحتفال بالميلاد لكن هذه الأشياء كانت بعيدة المذال، وتمكنتُ بطريقةٍ ما من الحصول على بعض البيض وكيس أرز وبعض أوراق فجل «دايكون». أردتُ الاعتناء بزوجتي أفضل عناية، لكن هذا كان أفضل ما يمكنني فعله.

جاءها المخاض صبيحة الرابع من يونيو، وقلتُ لها إننا ينبغي لنا أن نذهب إلى المستشفى، لكنها أصرّت على الولادة في المنزل.

لاحظتُ أنَّ جبهتها رطِبَة بالعرق، فكنتُ بحاجة إلى منشفة ناعمة، لكن لم يكن لديَّ سوى غيار ملابس داخلية واحد، ولدى زوجتي اثنان فحسب، ولم أجد سوى خِرْقة بالية.

بدأتْ تتأوَّه بصوت أعلى وأنا أغلي الماء، فركتُ لها ظهرها، لكن دون فائدة تُذكر، وتأكَّلني القلق بمرور الساعات.

سألتها: «هل أستدعي قابلة؟».

أظن أنَّ الطفل سيأتي قريبًا؛ لذا ابقَ معي فحسب.

ظلّت تكرر كلامها هذا ولم تستجِب لأي من اقتراحاتي، وأنالم أرغب تركها، أرسلتُ الطفلين ليذهبا إلى منزل أبي، فقد سار إليه «هو في بنفسه عدة مرات، وظننتُ أنه من الأفضل أن يكونا هناك.

كانت الغرفة لاهبة الحر، مع وجود الماء الذي يغلي، وكنتُ اتصبب عرقًا، لا أستطيع تخيُّل كيف كان الوضع بالنسبة إلى زوجتي، كانت تشدُّ وتتلوَّى، لكن الطفل لم يخرج، ودون أن أشعر.. غربت الشمس.

وسدد تشبثت بي وبدأت تشدُّ، وكانت كلما شدّت؛ تفقد كثيرًا من الدماء، وكلانا كان مُلطَّخًا بها، كانت ترتعد من الألم المستمر، وتخور قواها بمرور كل لحظة، صببت بيضة نيئة في فمها؛ لأمنحها بعض الطاقة، لكنها لم تُجْدِ كثيرًا، وبحلول الساعة العاشرة من تلك الليلة، كانت لا تزال تنزف وشبه غائبة عن الوعي.

هِنْفَتُ: «هِيا يا ملاكي! عليك الاستيقاظ، نحن بحاجة إليك، نحن بحاجة إليك، نحن بحاجة إلى هذا الطفل، لا تتخلِّي عنا الآن!».

تشبئت بي، وكانت تفقد وعيها تارة وتستعيده تارة أخرى، وأنشبت أظفارها في راحة يدي، مزيد من الدماء، انقضت ساعة أخرى، وأبيض وجهها وشَحَب، اختفى العرق من جبهتها، وبدَت كجثة، وصارت أنفاسها قصيرة وواهنة، ومن ثم فتحت عينيها فجأة ونظرت إلي، لن أنسى تلك النظرة ما حييت.

ارتسمتْ على وجهها تعابير غريبة، هي مزيج من الصدمة والبهجة. نظرتُ للأسفل، فرأيت رأس الطفل يخرج.

شهقَتْ «كيم» من الألم المُبَرِّح،

صِحتُ: «إنك تبلين بلاءً حسنًا! الطفل يخرج! دفعة أخرى فحسب! يمكنك فعلها!».

لكن وجه الطفل كان يتحوَّل للأزرق، لم تكن لديِّ فكرة عما أفعله، لكنني وضعتُ أصابعي حول عنق الطفل وحاولت تسهيل خروج الجسر الصغير.

صرخَتْ زوجتي صراخًا عاليًا، وبَدَت كأنها غير قادرة على التحمل لحظة أخرى، فاكتويتُ بالشعور بالذنب والخزي، لم أقدر على توفير حياة لائقة لها، لكنني ما كنت لِأتركها تموت هي وطفلها.

وأنا أجثو على ركبتي هناك، لا أدري ما أفعله، ومحاولًا إبقاء زوجتي وطفلي على قيد الحياة، ظللتُ أسمع أصوات أولئك الأوغاد من الجمعية عندما كنا في اليابان، جنة على الأرض.. سوف تكونون سعداء هناك.. متحررين من الفقر أخيرًا.. مستقلين، وقلت لنفسي: لماذا نموت قهرًا في هذا المكان الذي هو قطعة من الجحيم؟ انس ذلك! لن ندع أولئك الأوغاد ينتصرون،

همستُ في أذن زوجتي: «إذا مُتِّ الآن، فسيضيح كلّ شيء هباءً، ابقي معي، ولنهزمهم جميعًا!».

بذلتْ زوجتي مجهودًا أخيرًا، وأطلقتْ صرحْةً تُجمّد الدماء في العروق، كأنها قادمة من أعماق الكون، ومن ثُمّ فوجئتُ بانزلاق الطفل للخارج بحركة رشيقة واحدة.

استلقت «كيم» على ظهرها، مُستنزَفةُ تمامًا.

قطعتُ الحبل السريّ، وتمطتُ الطفل بخِرقة قديمة وجدته، وانتظرته ليبدأ الصراخ، لكنه لم يصرخ.

صِحتُ: «اصرخ أرجوك! أرجوث!» فصرخ! أظن أنَّ صوتي العالي أفزعه. وحالمًا سمعت زوجتي صراخ الطفل، غابت عن الوعي، فوضعت الطفل بجانبها وهُرِعت خارجًا من المنزل، كان أقرب جار لنا يعيش على ؟ مُدمت المرأة التي تعيش في المنزل عندما رأتني مغطى بالدماء، لكن مُدمت ما إن أوضحت لها الوضع، هُرِعت للمساعدة، وعندما دخلت منزلدا، راعها المنظر وأجهشت بالبكاء.

قالت: «لم أرّ منظرًا حزينًا كهذا طوال حياتي!».

الدماء في كل مكان، والأرضية مغمورة بها، ولم نكن نسمع سوى صراخ الطفل.

طلبتُ من المرأة مراقبة زوجتي وطفلي ربئما أعدو إلى العيادة، خبطتُ الباب وأيقظت الطبيب، كان الرجل الذي أوسعتُ ضربًا قبل منوات عديدة، لكنني ابتلعت كبريائي، وجثوت على أطرافي الأربعة وخفضت رأسي على الأرض.

توسلت قائلًا: «الوضع جد خطِر، زوجتي وطفلنا في خطر يهدد

حياتهما، أرجو أن تأثي معي»، حياتهما، أرجو أن تأثي معي»، Telegram @mbooks 90 لم يقُل أيْ شيء، واستدار على عقبيه وعاد إلى داحل العيادة، فغاص قلبي، ريما كنتُ أعرف أنه سوف يصدُّني مجددًا.

لكن عندئذِ سمعته يقول: «لنذهب».

خرج من العيادة وركضنا في الظلام إلى منزلي.

التَّعَتُ إِلَى مُرِياعًا عندما وصلنا، وقال: «عليك أن تدخلها المستشفى. 41,581

حمائها على ظهري إلى المستشفى، في حين بقيت الجارة مع الطفس إذا حاول أيّ أحد أن يدير لي ضهره، أعتقد أنني كنت لأقتله، لكن المشرفين رأوا خطورة الوضع، أو النظرة التي على عينيً، فسمحوا لي بالدخول، وأضْجَعْتُ زوجتي على سرير، بدأ ضوء الفجر يُبدُد الظائم، وكان جناح المستشفى يواجه الشرق، وسرعان ما تدفقت أشعة الشمس عبر النوافذ، كنتُ قد شاهدت ضوء الفجر في الصباح السابق، لكن بدا لي أنَّ مليون سنة قد انقضت منذئذ.

أسميتُ الطفل «هو سون»، منحَتْه زوجتي هبة الحياة! لذا استشعرت أنَّ مهمتي هي الاعتناء بصحته، لكن زوجتي كانت تعاني سوءُ التغذية، ولم تكُن قادرة على إرضاع «هو سون»، وهي لا تزال تتعافى في المستشفى؛ لذا كان عليَّ أن أسأل في نواحي القرية عما إذا كان بإمكان إحداهن إرضاعه، تمامًا كما كنت أفعل عندما كان ابني الأول رضيعًا.

كنتُ أسأل يوميًا في نواحي القرية، لكن الناس كانوا لا مبالين، وبطريقة ما، لم أستطِع أن ألومهم، كان الوضع الغذائي بالغ السوء، أسوأ بكثير مما كان عليه عندما وُلد «هو تشول»، لم يبقَ في الناس مثقال ذرة من عطف، وكانوا هم أنفسهم يجاهدون في سبيل البقاء على قيد الحياة.

ورغم ذلك، واصلتُ التَّوسل نيابة عنه، لكنني لم أجِد أُذُنا مُصغية، حتى إنَّ بعضهم شتمني، لكن أسوأ لحظة كانت عندما قال لي أحدهم: «أتمازحني؟ أتعتقد أنني أكترث إذا عاش ابنك أو مات؟».

خرجتُ «كيم» من المستشفى بعد شهر، لكنها كانت لا تزال في حالة سيئة جدًّا، لم يكن بمقدورها إرضاع «هو سون» كما ينبغي؛ لذا كان يبكي طوال الوقت، وكان الكوخ المتهالك الذي بنيتُه في «هامهونغ، باردًا ويتعذَّر العيش فيه؛ لذا سألت أبي عما إذا كان بإمكان أُسْرَني أن تقيم معه في «دونغ تشونغ ري»، ثم ابتلعتُ كبريائي وقدَّمت طلبًا للحزب المركزي، فمنذ أن دمَّر الحريق منزلنا الأول عام 1964، لم أقطن منزلًا مملوكًا للدولة، رغم أنه يُفتَرض أن تُوعَر الحكومة منزلًا أو شقة

العمال، كان يوجد كثير من الناس يبحثون عن منازل، والمنازل المعنان المع

مدرسة عن هذا. حاولت، أوضحت في طلبي الذي قدّمته أنني متزوج ورغمًا عن هذار على العيش مع زوجتي وأسرتي؛ لأنني أعمل بمكان المني غير قادر على العيش مع زوجتي وأسرتي؛ لأنني أعمل بمكان من منزلنا، وأنني بحاجة ماسة إلى مكان نعيش فيه، وكتبت الكثير بعيد على هذه الشاكلة، لم أعتقد أنَّ الأمر سيُحدِث فرقًا، لكن من الهذر الذي على هذه الشاكلة، لم أعتقد أنَّ الأمر سيُحدِث فرقًا، لكن بعد سنة أشهر، جاء رجل من قسم الإسكان ليُقيِّم وضعي، وظننت في بعد سنة أشهر، أنَّ لدي فرصة، لكن كالعادة، سرعان ما ذهبتُ أمالي أدراج الدي المناح.

التفت الرجل إليَّ بعدما نظر في الأرجاء، وقال بصلَف: «لقد قدمتَ الوثائق الصحيحة للحصول على مسكن، لكن لماذا لم تُسلِّمها إلى مكتب المقاطعات القروية؟ لماذا أرسلتَها إلى الحزب المركزي؟ لقد أهنتنا وقتي، ألا تعرف قدرك؟ تأدَّب!».

تأدّب؟ لم أصدق أذنيّ، هل كان يحسبني طفلًا؟ لكن كان عليّ توخي الحذر، لم يكن بوسعي المخاطرة بإهانة الحزب، فاعتذرتُ بخنوع، وأحسست بتلك الموجة المألوفة من اليأس.

كنتُ عاجزًا عن توفير مأوًى لائق لأسرتي، ولن أتمكن من الاحتفاظ بعملي، ولن أتمكن أبدًا من عيش حياة كريمة. لكن بعد ذلك بوقت قصير، سمعتُ بالحاجة إلى سائق جرّار في مصنع الآلات الغابيّة في هامهونغ»، فقلت لهم إنني لديّ رخصة سائق، وبطريقةٍ ما، حصلت على العمل، تم ذلك بوجه غير رسمي، بما أنني -من الناحية الرسمية غير موجود، لكنني لم أكترث.

مامهورة مديدة صماعية يسودها تأوّث مريع المصبع الري دهمد المحمد ا

وبعدما بقينا مع أبي مدة في «دونغ تشونغ ري»، ذهبت زوحتي والأطفال الصغار ليعيشوا مع والديها في «هامجو»، وبقي «هو تشول، مع أبي، كرهت افتراقنا جميعًا، لكن لم تكن لدينا خِيارات أخرى، وبدا لي أنني مهما فعلت، دائمًا ما أخذُل أشرتي.

قررت الاستيلاء -دون إذن- على غرفة بالمصنع في «هامهونغ». وكنتُ عندما يحلّ وقت العشاء، أتحقق من عدم وجود أيّ أحد بالجوار، وأخذ بعض الوقود من الجرّار، وأستخدمه لطهي الأرز على موقد زيتي. مبدأ جوتشي قيد العمل مجددًا.. الاستقلال، الاعتماد على الذات، الاكتفاء الذاتي، أبقوني على قيد الحياة، لكنها حياة بائسة، وأحيانًا كنت أنشِج كطفل من فرط الإحساس بالوحدة في الليل.

Telegram:@mbooks90

انقطعت الكهرباء في يوم خميس، وكان هذا حدثًا متكرَّرًا، فأصبح الخميس بوم عطلة غير رسمية، وفي يوم الخميس هذا تحديدًا، كنت مستلقيًا على فراشي عندما بدأ أحدهم يطرق الباب طرقًا عنيفًا،

- هل أنت موجود؟

قفزتُ وفتحت الباب، فوجدته أحد زملائي الذين يعلمون بمخبئي، واتضح أنَّ الشرطة كانت على اتصال بالمصنع، لأمرٍ له علاقة بدهو تشول».

ركضت إلى مركز الشرطة في «هامهونغ»، فوجدته يقتعد كرسيًا وعانقني، وحالما رآني، هُرِع إليَّ وعانقني،

ماب طريقه إلى المدرسة، لكن لسب ما، رغب بشدة في رؤيتي، كان في طريقه إلى المدرسة، لكن لسب ما، رغب بشدة في رؤيتي، فنفز على منن قطار دون شراء تذكرة، وعندما ترجّل في «هامهونغ»، أم يعرف أبن يجدني، فانتهى به المطاف هائمًا على وجهه دون هدف، أم يعرف أبن يجدني، فانتهى عندما كنت أبحث عن أمي في «طوكيو»، زمّرني بنفسي في طفولتي عندما كنت أبحث عن أمي في «طوكيو»، زمّرني بنفسي في طفولتي عندما كنت أبحث عن أمي في «طوكيو»، إلى الله وجرّدوه من حذائه وملابسه وتركوه طريحًا على الأرض شبه عار.

لم يستطِع التوقف عن البكاء.

قلت: «لا تبكِ! أنت رجل! عليك أن تكون قويًّا!»، لكنني بداخلي كنت أنَّالُم له،

أعطيته معطفي واصطحبته إلى منزل أبي في «دونغ تشونغ ري».

تعزفتُ على رجل يدير مصنع مصابيح كهربائية في «هامهونغ»، عرض عليّ أن أعمل معه سائقًا، خارج السجلات بالطبع، وقال إنني إذا فيلتُ عرضه، يمكنه أن يتدبّر لي مكانّا أعيش فيه، فانتقلت إلى المصنع في ذلك البوم نفسه، وأقمت مع رجُلَين عاربين يعملان في المصنع، لم يكن المنزل الخاص بي، لكن بدا أنّ الأحوال تتحسن، ووعدني المدير بأنه سوف يتدبّر لي منزلًا بحلول الشتاء التالي.

قال إنني «عامل استثنائي»، لا أعتقد أنني كنت استثنائيًا إطلاقًا، بل مجرد عامل عادي، لكن هذا كان كافيًا. الأمر هو أنَّ الناس في كوريا الشمالية يمضون أوقاتًا طويلة في اجتماعات التفاكر، وحساب عدد ساعات عملهم، لدرجة أنهم لا يجدون الوقت للقيام بالعمل الفعلي، والنتيجة؟ المواد الفام لا تصل إلى المصانع، والكهرباء متذبذبة،

والمزارع تجتاحها الأعشاب، لكن ما دام الناس يحصلون على حصص طعامهم، فلا يكترثون، وبما أنَّ عملي كان خارج السجلات، لم يتعين عليَّ حضور أيِّ اجتماعات تفاكر، ولم أكن مرغمًا على إهدار ساعات لا تُحصى بسبب البيروقراطية العقيمة؛ لذا كان بإمكاني أداء عملي على أتم وجه، أو على نحو طبيعي، عاملًا عاديًّا متوسط الكفاءة.. حسبما أرى، لكنني كنت استثنائيًا في نظر المدير.

انقضى عام ونصف منذ انفصال أسرتي، لكنني كنت مسرورًا لاعتقادي بأنني قريبًا سأحصل على منزل في «هامهونغ»، حيث يمكن لي ولزوجتي ولأطفالنا أن نعيش معًا مجددًا، وبذلتُ كلّ ما بوسعي في العمل.

وبعد عدة أشهر، حان موعد توزيع حصص الكُرُنْب الصينيّ، إذ يتلقّى أيّ مكانِ عملٍ في الشتاء مخزونًا من الكُرُنب الصيني من أجل «معركة مخزون الشتاء»، ونظرًا لمدى صعوبة النجاة في الشتاء بكوريا الشمالية، كانت كلمة «معركة» هي التعبير المناسب.

إذا كان المرء مُهمًّا عند الحزب، فسيحصل على أكثر مما يحصل عليه الآخرون، لكن إذا كان عامل مصنع، فكمية الكُرُنب التي يحصل عليها تتوقف على حجم أُسْرته، وكان عملي هو أن أضع على الكُرُنب أسماء الذين سيذهب إليهم، أنهيتُ العمل بأسرع ما يمكن وذهبتُ إلى المكتب,

قلتُ للمدير: «قلتَ لي إنك ستتدبَّر لي منزلًا بحلول الشتاء، وها قد حلِّ الشتاء».

قال: «قلتُ لك إنني سأفكر بالأمر فحسب، لم أقطع أيّ وعود». سأفكر بالأمر؟ هذا ليس ما جعلني أعتقده في السابق. بدا في غاية الحرج وعدم الارتياح، وراح يُدقق في أوراقه.

النفت أنه من الأفضل آلا أبدأ شجارًا، واستدرت على عقبي لأسير المنفذ الكن عندئذ لاحظت بدي الملطختين بالطين، اللثين اتسختا بنعينة الكرنب الصيني، فالتفت إليه شاعرًا بالحنق فجاة، وسألته: وهل بنعينة الكرنب الصيني، فالتفت إليه شاعرًا بالحنق فجاة، وسألته: وهل بنعينة بالتلاعب بالناس؟».

المسكت به من ياقته ورفعته فوق مكتبه، فحاول بعض العمال المسكت به من ياقته ورفعته فوق مكتبه، فحاول بعض العمال المسكن به من ياقته ورفعته في المسلطرة على غضبي، وسقط كلانا برأسه في المائني، لكنني لم أستطع السيطرة على غضبي، وسقط كلانا برأسه في المائني،

وفي اليوم التالي جاء المدير إلي وقال بفظاظة: «استخدم الغرفة الني بجوار قسم التطوير»،

حين أفضل قليلًا من كوخ، وليس بها مطبخ، ودائمًا ما تُطِنُ بهدير كانت أفضل قليلًا من كوخ، وليس بها مطبخ، ودائمًا ما تُطِنُ بهدير الآلاد، ورغم هذا كنتُ سعيدًا بأن يكون لدي مسكن في «هامهونغ» الآلاد، ورغم أشرتي إليه؛ لذا بدأت تركيب مدفأة كورية تحت الأرضية، بمكنني جَلْب أشرتي إليه؛ لذا بدأت تركيب مدفأة كورية تحت الأرضية، وصنعت موقد مطبخ كيفما اتفق.

وبعد بضعة أيام، صار المكان شبه صالح للسكن، فطلبتُ من زوجتي وأطفالي الثلاثة الانتقال. كان المكان صغيرًا يملؤه الضجيج، لكننا سنكون معًا على الأقل، وبحلول ذلك الوقت، تجاوز «هو تشول» سن المدرسة وكان يمضي أيامه بحثًا عن عمل، وكانت «ميونخ هوا» في المدرسة الثانوية الوسطى، و«هو سون» في الإعدادية.

كان المصنع يعيد تدوير القناني الزجاجية ويحولها إلى مصابيح ضوئية، لكن كانت بعض القناني ملوَّنة ولا يمكن إعادة تدويرها! لذا كنتُ آخذها معي إلى المنزل وأستخدمها ديكورًا للمكان، كنت أعدُّها كنزنا.

قرّر مصنعنا ومصنع آخر الاشتراك لتشييد مبنى سكنيّ من خمسة طوابق، وكنتُ أعلم بوجود مدير ما للمشروع، لكنه ليس مهندسًا محترفًا، كنا قد سمعنا القصص.. تُشيّدُ الشّقق، ويَحلّ الشتاء، وتتداعى المباني بحلول الربيع بسبب الأسمنت الرديء والدعامات الفولانية الضعيفة ودرجات الحرارة التي تنخفض إلى ما دون الصفر بكثير، وعندما سمعتُ بمشروع البناء هذا ومديره المحتال، كان من الطبيعي أن تساورني الشكوك، لكنني مع ذلك كنت أحسد الذين سيعيشون في الشقق، لم أكن أعرف من سيُختار، لكنني كنت أعلم أنني لن أكون منهم. بيْد أنَّ معجزة وقعت، تمكن أحد معارفي، بطريقة ما، من حجز شقة لائقة لنا، فسُعِدنا أيّما سعادة بحسن حظنا.

ثم حالفنا الحظ مرة أخرى، بَحَثَ عَنِّي أحد المديرين في المصنع الآخر، وقال لي: «أعتقد أننا يمكننا مساعدة بعضنا، ثَمة عمل أرير إنجازه، ولا يمكنني أن أدفع لك مقابله، لكن إذا كنتَ على استعداد لقبوله، يمكنني مساعدتك في تجهيز شقتك».

أَوْفى المدير بوعده، وركَّب موقدًا كوريًّا تحت الأرضية، وحاء بباب لائق، وأحضر بعض قطع الأثاث.

كانت شقتنا في الطابق الرابع، ولدينا حمام ومطبخ لائق، وهذا تَرَفُ لا يُصدَّق، كانت أول مرة أعيش في منزل عاديّ منذ احتراق منزل أُسْرتنا، وكانت أول مرة يحظى أطفالي بمنزلهم الخاصّ بهم.

ويحلول الثمانينيات، تغيرت الأحوال فعلًا للأفضل بالنسبة إلى العائدين، صار العائدون يتلقّون المال بانتظم من أقاربهم في اليابان، حتى إنَّ قلَّة مختارة منهم تمكنوا من زيارة أقاربهم، قِلة مختارة.. تذكروا. كانوا يُسمَّون «وفود الوطن الأم»، ولم أتمكن قط من معرفة أيّ وطنِ أمَّ يُشار إليه، أو كيفية اختيار هؤلاء الناس، ولم يُسمَح لعائلة

إلى المالة إلى المالة المالة

شهدت السوق السوداء أيضًا انتعاشًا، وبدا أنه كلما ازداد وضع بلدٍ ما شهدت السوق السوداء. إذا كان المرء محظوظًا بتلقي المال من اليابان، فيمكنه الحصول على الأرز أو اللحم، سيكلف عشرة أضعاف من اليابان، فيمكنه الحصول على الأرز أو اللحم، سيكلف عشرة أضعاف السعر الرسمي، لكن هذا لا يهم في حال امتلاك العملات الأجنبية. بالأمس كان يقبع المرء في الحضيض منبوذًا في المجتمع، واليوم يستضيف أعضاء الحزب على العشاء، بالأمس لم يكن سوى «مُعادٍ» آخر، واليوم يُرحِّب به ضمن صفوة القوم،

كننا لم نكن في وضع يمكننا من الاستمتاع بمثل هذا الحظ السعيد، لكننا لم نكن في وضع يمكننا من الاستمتاع بمثل هذا العائدون يسخرون فطع أقاربنا في اليابان علاقتهم بنا، وكان زملاؤنا العائدون يسخرون منا ويحتقروننا، وينأون بأنفسهم عنا، لم أحتمل نفاقهم، كنت أمارس أي عمل يمكنني إيجاده لكسب عيشي، في حين أنهم يعيشون عالة على أتاربهم ويهنؤون بمكانتهم الجديدة غير المُستحقة.

كان أطفالي كبارًا بما يكفي لِيَعوا التباين بين ما نملكه وما يملكه الأخرون، سألني أحدهم ذات يوم: «أبي، لماذا ليس لدينا أشياء جميلة؟ جميع العائدين الآخرين لديهم ثلاجات وتلفازات، ويتلقّون جميع الأشياء

الجميلة من أقاربهم في اليابان، أظنك قلت إنَّ جدّنا فعل أشياء عظيمة أني اليابان"، وما فطر قلبي أكثر من أي شيء، كان عدم السمام أني اليابان"، وما فطر قلبي أكثر من أي شيء، كان عدم السمام الممارسة «التايكوندو» مثل زملائهم؛ لانهم لا يستطيعون شرء الأزياء المناسبة لهم؛ لذا كانوا يقعدون بعيدًا، في أقصى الصالة، ويشاهنون المناسبة لهم؛ لذا كانوا يقعدون بعيدًا، في أطفالي حتى هم الذين أخيروني الأطفال الأخرين وهم يتدربون، لم يكن أطفالي حتى هم الذين أخيروني بهذا، سمعته من آباء زملائهم. كان «هو سول» و«ميونغ هواء أرزى من أن يطلبوا مني شراء أزياء لهم؛ لذا حاولوا أن يوفروا علي الم الإنلال بعدم ذكر الموضوع.

بعدم دهر عملاً جديدًا في خريف 1984، هذه المرة في مركز توزيع وجدت عملاً جديدًا في مركز توزيع غذاء. تُجمع فيه منتجات من مصانع عديدة، ثم تُؤخذ إلى نقاط التوصيل في كل مقاطعة، وكانت الأسعار التي تحددها الحكومة، هي نفسها في جميع نواحي البلاد، وتتوقف الكمية التي تُوصَّل على علاد السكان المحليين،

المعنى أحد زملائي في المركز بالعمل في توزيع عجبنة فول الصويا وصلصة الصويا، وكان أيّ عمى متصل بالطعام تذكرة لحية أفضل، فهو لا يمكّنك من الحصول على الطعام لأشرتك فحسب، بل يتيح لله أيضًا بناء علاقات مع أصحاب الشأن في الحزب، وإذا استغل المرء وضعه الاستغلال الصحيح وأرسل ما يكفي من الأشياء الثمينة إليهم يمكنه الحصول على التلفازات أو الثلاجات أو أيّ منافع أخرى بالمقابل، أظن أن هذا ما يُسمونه فسادًا في الغرب، لكن هذه هي طبيعة الأمور في كوريا الشمالية. فجأة صار بإمكاني الحصول على عجينة فول الصويا وصاحة الصويا. وكان يستحيل أن أفوّت مثل هذه الفرصة.

عندما كنت أُوصِل عجينة فول الصويا وصلصة الصويا إلى القرى المجاورة، لم يسعني سوى ملاحظة مدى هزال وإنهاك المزارعين

المحلبين، كانوا يبدون جميعهم ضامرين وجانعين، من المفترض المحلبين، حصص طعامهم رطلًا ونصف الرطل في اليوم، لكنهم لا أن تكون حصص طعامهم رطلًا ونصف الرطل في اليوم، لكنهم لا أن تكون إلا على نصف هذه الكمية تقريبًا، لم يساعدُهم استدعاؤهم بحصلون إلا على نصف هذه الكمية القريب العسكري أو أي مشروعات الدوام بعيدًا عن مزارعهم من أجل التدريب العسكري أو أي مشروعات الدوام بعيدًا عن مزارعهم غير قادرين على الاعتناء بأرضهم، يَطال الخراب أيلية أخرى، ولأنهم غير قادرين على الاعتناء بأرضهم، يَطال الخراب للمنيء. كنتُ أرى مَزارع لا تُحصى قد اجتاحتها الأعشاب؛ ببساطة لأن المذارعين ليس لديهم وقت للاعتناء بها.

وفي هذا الوقت، حدث شقاق بين «هو تشول» وزوجتي، الأبناء وفي هذا الوقت، حدث شقاق بين «هو تشول» وزوجات آبائهم لا ينسجمون، ويبدو الأمر كأنه أحد قوانين المراهقون وزوجات آبائهم لا ينسجمون، ويبدو الأمر كأنه أحد قوانين الملبيعة، بلغ «هو تشول» مرحلة المراهقة وبات متقلبًا، كما أصبحت زوجتي أكثر جفاءً وبعدًا عن أطفالها، وبدت كأنها تنطوي على نفسها، وبدتي أكثر جفاء وبيعيًا عن أطفالها، وبدت كأنها تنطوي على نفسها، عاد «هو تشول» إلى قريتي «دونغ تشونغ ري»؛ ليعيش مع أبي لمدة، وللبث من رئيسي في العمل أن يجد له عملًا في منطقة «هامجو»، سواء وظلبتُ من رئيسي في العمل أن يجد له عملًا في منطقة «هامجو»، سواء على عمل تخزين طعام أم أي عمل يبعده عن كدح عمال المزارع الذي لا كان عمل تخزين طعام أم أي عمل يبعده عن كدح عمال المزارع الذي لا كان عمل تخزين طعام أم أي عمل يبعده عن كدح عمال المزارع الذي لا خان عمل تخزين طعام أم أي عمل يبعده عن كدح عمال المزارع الذي لا خان عمل تخزين طعام أم أي عمل يبعده عن كدح عمال المزارع الذي لا خان عمل تخزين طعام أم أي عمل يبعده عن كدح عمال المزارع الذي لا خان عمل تخزين طعام أم أي عمل يبعده عن كدح عمال المزارع الذي لا خان عمل تخزين من وليجاد عمل لـ «هو تشول».

في عيد ميلاد «هو تشول» السابع عشر، في 25 من مارس 1989، كذبتُ على زوجتي قائلًا لها: إنني ذاهب إلى العمل، لكن عندما غادرتُ المنزل، أخذتُ معي بعض الخبز وذهبت لزيارة ابني، لم أكن قد رأيته منذ شهرين، وبدا أكثر نضجًا من ذي قبل. ذهبنا إلى النهر وتناولنا الغداء ممًا، تقاسمنا أرز الذرة والخبز الذي جلبتُه، لم تكن وليمة عيد ميلاد بالمعنى المعروف، لكن طعمها كان جيدًا.

استمتعنا بتجاذب أطراف الحديث، لكن عندما بدأنا نتحدث عن الماضي وكل ما مررنا به، لم يسعني سوى البكاء، فحاول مواساتي،

لكن انتهى به المطاف وهو يبكي أيضًا. لطالما كان طفلًا يتعاطف مع الآخرين، أحد القليلين في العالم الذين أحسستُ أنهم يفهمونني حقًا، حاولت أن أقدم له بعض النصح.

«اكبر وتزوج وتعلم أن تقف على قدميك وحدك، لأنني ليس لدي الدنى فكرة عما سيحدث لي، وإذا مرضت أو احتجت إلى مساعدتي، فأخبرني فحسب، اتفقنا؟ سأفعل دومًا كل ما بوسعي فعله لك».

شددنا على أيدي بعضنا وافترقنا.

ولم تمضِ سوى أيام قليلة حتى استدعائي رجل شرطة، وزعم أنُ ابني سرق شاة، وأراد مني أن أدفع ثمنها، فذهبت إلى منزل ابني لأعرف ما حدث.

وعندما وجدته، رأيت الكدمات تغطي وجهه. قال: «م أفعل شيئًا خطأً، لقد أُلصِقتُ بي التهمة».

وأوضح لي أنّه يوجد قرابة أربعين عامل في مكان عمله، وهو أصغرهم، وسرق بعض العمل الفاسدين بعض البطاطس والذرة الحلوة من سقيفة تخزين القرية، والأسوأ من هذا، قتلوا بعض الحيوانات الأليفة وأكلوها، ثم ألقوا باللائمة على ابني.

«قالوا لي: «أنت عائد وصغير السن؛ لذا سيعاملونك برأفة، فعليك تحمل مسؤولية كل شيء، اتفقنا؟» ولم أشعر بأن لديّ خِيارًا»، تهدج صوته.

ثم قال دهو تشول، لي إنهم أوسعوه ضربًا.

نظرتُ إلى ابني، وكنت أعرف أنه لم يقترف أي خطأ، رؤية كدماته مزقت نِياط قلبي. ناب الملك أن تكون قويًا وشجاعًا! عليك أن تتعلم كيف المنتعلم المنتعلم كيف المنتعلم

الشرك شاعرًا بالقلق، وما إن وصلت إلى المنزل، بدأتِ الشرطة وعموا أنني إذا لم أدفع التعويض، فسيُرسَل ابني المنتقل المنتقال، فشعرت بتقلُّص في معدتي، لا يمكنني قطعًا أن بي المنابعة المنتقال، فشعرت المنتقلُّم ا

أن فكرة محاولة إلحاقه بالجيش بعدّه الملاذ المخير، على معافرة للمستعد عن فوضى ورطته الحالية؛ لذا ذهبت إلى مركز التجنيد المعاني وقلت إنّ ابني متلهّف للالتحاق بالجيش، حتى إنني قدمت لهم المحلي وقلة فول الصّويا وصلصة الصّويا لتسهيل الصفقة.

به رغم أنهم رفضوا في بادئ الأمر، لم أستسلم بسهولة، وكنت أعود وغم أنهم رفضوا في بادئ الأمر، لم أستسلم بسهولة، وكنت أعود البهم بوميًا بعد العمل، كنت أعلم أنَّ فرص نجاحي ضئيلة، لكن ماذا الم يتمكن ابني من الالتحاق بالجيش، فسيعتقل.. ويذنفي، كنت يائسًا.

وبي النهاية طردوني من مركز التجنيد شرّ طردة، إذن ذهبتُ آمالي، وفي النهاية طردوني من مركز التجنيد شرّ طردة، إذن ذهبتُ آمالي، مرة أخرى، أدراج الرياح.

زهبتُ في اليوم التالي لرؤية «هو تشول»، وكنتُ قد قررت اصطحابه معي إلى «هامهونغ»، وأخبرته عن محاولتي تسجيله في مركز التجنيد، اكن بلا جدوى، ستكون أفضل فرصة له هي الهرب بعيدًا لمدة والاختباء حتى ينسوا أمره،

كان بعض الشُّبَّان الذين يرتدون أزياءً عسكرية يقفون أمام المحطة، ونحن ننتظر صعودنا على متن القطار، كانوا مجنَّدين جُددًا، يبتسمون ويمسكون أيدي آبائهم، ويبدون في غاية الاعتداد بأنفسهم، وبعضهم

كان يلتقط الصور التذكارية، فتخيَّلت الوصف المكتوب على الصورة: يوم التحاق ابننا بالجيش، ذكرى سعيدة.

بدأ ابني ببكي، لكنها لم تكن دموع فرح، ورؤيته يبكي أدمعت عينيً أيضًا.. وأرجوك لا تبكِ أنت أيضًا يا أبي! لقد فعلت الكثير جدًا من أجلي منذ مولدي، أعرف هذا، وأخبرني أهل القرية أيضًا، لقد نجحت في اجتياز العديد من الأوقات العصيبة، وأعرف أنك بذلت كل ما بوسعك،

وعندها انهرتُ تمامًا، احتضنته ورحتُ أنشج نشيجًا عاليًا رغم أنُّ المحطة كانت تعُجُّ بالناس.

بدأ المجنّدون الجدد يسيرون بفض على الرصيف، وخطرت لي فكرة فجأة؛ قلتُ لابني أن يركب القطار نفسه، ظننت أنه ربما يتمكن من الانضمام إليهم خُلسة وينتهي به المطاف بالتدريب معهم، كما ارتطمنُ باحتمال أنني لن أراه مجددًا أبدًا، أردتُ أن ألتقط معه صورة، لكن هذا كان مستحيلًا بالطبع.

أعطيتُه عشرة وونات، كانت كلّ ما لديّ.

قلتُ: «اعتنِ بنفسك، أعتقد أنَّ الشرطة ستنسى أمرك بعد مدة؛ لذا ابذل ما بوسعك حتى ذلك الحين»،

لا تقلق يا أبي، سوف أتواصل معك متى ما أمكنني، وقطعًا
 سأعود لأبحث عنك.

صعد على منن القطار، وأُغلقت الأبواب، وأُطلق صفير كئيب، ثم بدأ القطار يتحرك.

نظرت إلى ابني، لكنني لم أستطِع رؤيته بوضوح؛ إذ شوَّشت الدموع الساخنة رؤيتي.

ظللتُ أُلوُّح إلى أن غاب القطار عن الأنظار.

المُقت من أنني ربما أفقد صوابي بعد مغادرة ابني؛ لذا سألت أبي وشقيقتي عمّا إذا كان بإمكاني القدوم والعيش معهم في «دونغ تشونغ وشقيقتي من النسل من حق المواطنين التنقل بحرية، لكن منذ خروجن النظام، صرنا قادرين على التنقل دون تدخل الشرطة، لم يكونوا من النظام، صرنا قادرين على التنقل دون تدخل الشرطة، لم يكونوا بيعون خلف أمثالنا إلا فيما ندر، وعادةً لا يُكلفون أنفسهم هذا العناء. انتقلنا لنعيش مع أبي وشقيقتي «ماساكو»، وكنا نلقب به «العائدين النقلنا لنعيش مع أبي وشقيقتي «ماساكو»، وكنا نلقب به «العائدين المُعدّمين أفتقد «هو سون» و «ميونغ هوا» شقيقهما الأكبر بشدة، المُعدّمين أنهما كانا قلِقين عليه، رغم أنهما حاولا عدم إظهار قلقهما، كن أهرف أنهما كان «هو تشول» يعنني بهما كأب ثان، منذ أن كانا رضيعين، لطاها كان «هو تشول» يعنني بهما كأب ثان، منذ أن كانا رضيعين، ومن الواضح أنهما شعرا بوطأة غيابه، الأمر الذي فاقم ألم افتقادي له. ومن الواضح أنهما كان أبي وحده بالمنزل، طرق شاب الباب، فتعرّف أبي عليه على الفور، كان أحد مشاغبي الحي الذين يتسكعون في

الشوادع، قال الأبي: «يغ هذا الأحد العائدين الأثرياء! إذا بعته، يمكنك الاحتفاظ بجزء من الربح».

بجرة وماذا كان هذا الشيء العجيب الذي لوَّح به أمام وجه أبي؟ قضيب نقعة، لا أمزح، كان على ما يبدو شيئًا ذا قيمة عظيمة في الطبّ الصيني، كان يصعب الحصول على أيِّ نوع من العلاج في كوريا الشمالية؛ لذا يُرِدُ مبلغًا كبيرًا، أقحم الصعلوكُ القضيبَ في يد أبي وركض مبتعنًا قبل أن يجيبه.

أحسَّ أي بنُذُر مَتَاعب، كنا معروفين بفقرنا، ولا بد أنَّ الأوباش يعرفون هذا أيضًا، إذن ما الذي كانوا يأملون الحصول عليه منا؟ لماذ لم بيِعه الصعلوك بنفسه؟ لماذا يفقد حصة من الربح؟ لكن في النهاية. فكُر أبي وإن كان بإمكاني جَنْيُ بعض المال منه...ه.

وانضح أنَّ هذا كان خطأً قاتلًا،

والمست عن مُشْتَر، وقبل أن يدرك ما يحدث، خطف صعلولُ شرع في البحث عن مُشْتَر، وقبل أن يدرك ما يحدث، خطف صعلولُ آخر منه القضيب، ورغم أنَّ أبي كان في الرابعة والسبعين من عمره، كان لا يزال لديه عقل شاب، فما الذي فعله؟ حاول مطاردة المعتبي عليه، لكن ساقيه لم تعودا كسابق عهدهما.

صاح: «لص! لص! أوقفوا اللص!».

لم يعبأ به أيّ أحد، مثل هذه الأشياء تحدث طوال الوقت في كوريا الشمالية، فقدَ أبي أثر الرجل وعاد أدراجه إلى المنزل.

وفي تلك الليلة، عاد الصعلوك الأول إلى منزلنا.

قال: «وجدتُ شخصًا يريد شراء قضيب الفقمة، أريد استعادته، قلتُ له: «أتظنني وُلدتُ بالأمس؟ أتظنني لا أعرف الاحتيال؟،

 إذا تجرأتَ على اتهامي زورًا، فسأوسعك ضربًا حتى تُظلم الدنيا أمامك، أيها الحثالة.

قلتُ: وأنعرفُ أين يمكنك أن تُقحم قضيب الفقمة الخاصُ بك؟،، وصفعت الباب في وجهه.

غادر.، لكنه ظل يعود يومًا بعد يوم، وإذا لم أكن موجودًا، يضرب أبي وشقيقتي، ثم استدعت الشرطة أبي، وعندما عاد بعد منتصف الليل، كان وجهه مغطى بالكدمات، وداخل فمه مجروح، وشفتاه محتقنتان بالدماء.

أوسعه شرطي شاب ضربًا، ظل يسأله عن قضيب الفقمة، وأين هو أيها اللقيط؟ هذه هي كوريا الشمالية، عليك ألا تعبث مع القانون، هذا ما يحدث لك إذا عبثت مع القانون».

وهكذا استُؤنِف الضرب. في الماضي كان أبي معروفًا بقدرته على المناع عن نفسه، لكننا أصبحنا في زمان ومكان مختلفين، ما من شيء المناع عن نفسه، لكننا أصبحنا في زمان ومكان مختلفين، ما من شيء كان بمكنه قوله أو فعله، كنتُ عاجزًا أيضًا، وفي غاية الغضب من كان بمكنه قوله أو فعله، كنتُ عاجزًا أيضًا، وفي غاية الغضب من كان بمكنه الصعلوك له بهذه الطريقة، لكنني كنت أعرف أن الشرطة المناك المناك طريقة لتفادي الفساد.

لله بالمراب المحملال المراب البرء أبدًا من الضرب الوحشي الذي تعرض له، ومع المحملال المحملال المحملال المحملال المحملال المحملات وبحلول عام 1994، لم يعد قادرًا على الوقوف وحده ملاول المحملات وبحلول عام 1994، لم يعد قادرًا على الوقوف وحده وكان يمضي معظم أيامه في الفراش، وسرعان ما لم يعد قادرًا على المنال أكل أخف سخينة.

رعاني ذات يوم إلى جانب فراشه، وقال لي: «إنني أحتضر، لكن عليك أن تبقى على قيد الحياة، عليك أن تعود إلى اليابان، بطريقة أو بأخرى، أن تبقى على قيد الحياة، عليك أن تعود إلى اليابان، بطريقة أو بأخرى، يجب أن تعود، وعندما تعود، أخبر الجميع بأنني مُتُ، أصدقائي القدامى يجب أن تعود، بكى أطفالي وراحوا ينادونه: «جدي! جدي!».

كنتُ بِالسَّا لأجد له بعض الدواء، لكن لم نكن نملك أي نقود، فتدهورت عليه مربعًا، وسرعان ما بأت يجد صعوبة في التنفس، وبعدها بوقت عمر الكلام.

ذات مساء، استدعاني بإيماءة، وعندما دنوت منه، حاول أن يتكلم، لكنني لم أنهمه، وفي النهاية استوعبت أنه يريد المغزّقة الصغيرة التي كانت أمي تستخدمها لاستخراج جذور الخضراوات والأعشاب الجبلية، لم تكن لدي فكرة عما يريده بها، لكن لا يستطيع المرء رفض طلب رجل محتضر،

وحالما أعطيتها له، حاول إقحامها في حلقه.

فأبعدتُها عنه وصِحتُ: «ما الذي تفعله بحق الجحيم؟». أشار إلى حلقه، الذي كان مسدودًا بالبلغم، ويُسبُّب له صعوبةً في التنفس.

عي سوت تنفسه الثقيل المجهد، ومن ثم أغمض عينيه.

راح يشخر عشرين دقيقة أو نحوها، وسمحْتُ لنفسي بالاعتقاد أنه ربما ينجو.

لكن عندئذٍ توقف شخيره، وحلّ الصمت على الغرفة.. الرجل الذي كان يُعرف بـ «النمر» مات.

دفنتُه على الجانب البعيد من الجبل في «دونغ تشونغ ري»، مواجهًا الجنوب نحو البحر؛ فهكذا يمكنه رؤية كوريا الجنوبية، موطنه الأم كانت جنازته إجراءً روتينيًّا تَعُوزُه المشاعر في مكتب الإدارة بالمصنع الذي كان يعمل به، لم أكن أعلم مكان «إييكو»؛ لذا لم أتمكن حتى من إخطارها بوفاة أبينا، أرسلت برقية لـ «هيفومي»، لكنها لم تصل ني الموعد، كان لأبي أصدقاء كثيرون خلال حياته، وساعد العديد من الناس، الكنّ أحدًا منهم لم يكن موجودًا لتشييعه إلى مثواه الأخير.

ما زلت لا أعرف ما فعله أبي بحياته البائسة، ولن أعرف أبدًا، كان يعرف أنَّ الجمعية خدعته، لكنه لم يتذمر بهذا الشأن كثيرًا، هل كان يشعر بوطنية زائفة في خضم كل ما حدث؟ لن أعرف أبدًا. أحببته، بالطبع، لكن توجد أشياء متعلقة به لن أفهمها ما حييت.

وأمها وقدي ما جعد الوفاة - قالت «ماساكو» لي ولزوجتي إنها وجدت وأمها وقدي من المنزل مع ابني زوجها، لم أكن أعرف نوع العمل الذي عميّة، وانتقلت من المنزل مع ابني زوجها، لم أكن أعرف نوع العمل الذي عميّة، وانتقلت من الطحام، الوظائف، لكنها ربما غادرت ببساطة لعدم بمثن أن تجده، من الطعام، فشعرتُ بالخواء والوحدة بعد رحيلهم. وجود ما يكفي من الطعام، فشعرتُ بالخواء والوحدة بعد رحيلهم.

رجود بضعة أسابيع، اقتحم ابنا زوجها منزلنا في منتصف البيل وبعد بضعة أسابيع، اقتحم ابنا زوجها منزلنا في منتصف البيل وبعد بضعة المنابعة بمنابعة ومنابعة ومنابعة فعل شيء.

المنزر الشوارع المغطاة بالتلوج إلى المنزر الذي يقيمون فاداني عبر الشوارع المغطاة بالتلوج إلى المنزر الذي يقيمون في غرفة حالكة الظلام، محيطين في، ووجدتُ خمسة شبان يقعدون في غرفة حالكة الظلام، محيطين المغيقةي،

كان أحدهم يحاول اعتراضي عند المدخل، وقال لي بصوت خافت كان أحدهم يحاول اعتراضي عند المدخل، وقال لي بصوت خافت حال أنت شقيقها؟ أفرضتُها عشرة الاف وون، إذا عجزتُ عن حاليه المبلغ فسأقتل الساقطة».

سون تحصل على نقودك، سأنظر في الأمر، والآن اغرب عن وجهي قبل الله عن وجهي قبل أن أدوً عنقك!

نردُد، وكنتُ أعرف أنه يُقيَّم قوتي، محاولًا تقرير ما إذا كان عليه ورفاقه أن يسعَوا خلفي أيضًا، لكنه ضمُ قبضتيه فحسب، واستدعى رجاله، وتلاشوا،

كانت شقيقتي تنشج، وأحهش ابنًا زوجِها بالبكاء واحتضناها، حدقت منققًا في أرجاء الغرفة، كان يصغب رؤية الكثير في الظلام؛ إذ لا توجد كهرباء، لكن أمرًا واحدًا كان جليًا، وهو عدم وجود قطعة أثاث واحدة فيها، كان من الواضح أنهم يقرفصون هناك، والعمل الذي تحدثت عنه؟ من الواضح أنه كان كذبة، لا عمل يعني لا حصة طعام، وكلّ ما كان بمكنها فعله من أجل البقاء على قيد الحياة هو اقتراض المال.

بمسه لكنّ عشرة آلاف وون الم تكن تعادل سوى ثمانين دولارًا أو نحوها، لكنه رقم فلكي بالنسبة إليّ، حتى ذا كانت لديّ وظيفة لائقة، فسأستغرق عدة سنوات لأدّخر هذا المبلغ، ما الذي فعلّتُه بكل هذه الأموال؟

حاولتُ اقتراض بعض العال لمساعدتها، لكن بلا جدوى، سألتُ أيْ شخص يمكنني التفكير به: عائدين، مديري المصنع، وحتى الذين كانوا يحتقرونني سابقًا، لكن الجميع كانوا يجاهدون في سبيل النجاة بأنفسهم.

قررت في النهاية زيارة «رو جيغو آن» الذي ارتدْتُ معه المدرسة الكورية نفسها في «هامهونغ»، لم أَثْرَى «عائد» في «هامهونغ»، لم أعتقد حقًا أنه قد يتذكّرني، لكنه كان ملاذي الأخير؛ لذا بحثت عنه،

وعندما وصلت إلى منزله، رحت أحدق فقط إلى مقبض الباب الذي كان صقيلًا لدرجة أنني رأيت انعكاسي على سطحه اللامع، ووجدتني أمسح يديَّ ببنطال عملي وأرتب هندامي، كأن هذا قد يُحدِث فرقًا! وعندما نظرت إلى حذائي، رأيت إصبعيَّ الكبيرين يخرجان منه، وكان قميمي المهترئ تنقصه بعض الأزرار، أحسست فجأة بالخزي من نفسي، لكن لم يكن أمامي خِيار، أخذت نفسًا عميقًا وطرقت الباب.

«مَن الطارق؟» ثم قُتِح الباب، وظهر وجه رجل، لديه وجه مستدير وخدّان متوردان، كان تجسيدًا للصحة الجيدة.

أقحمت نفسي بطريقةٍ ما في مدخل الباب حتى لا يصفع الباب في وجهي.

واسمي ماساجي إيشيكاوا، لا أفترض أنك تتذكرني، لكننا ارتدنا المدرسة نفسها، أعتقد أننا ربما تحدثنا مرة أو مرتين، وفي الواقع جئت المدرسة نفسها، معروفًاه،

رم. بدا متشكّكًا، وقال: «آسف، لا أتذكرك، لقد انقضى وقت طويل جدًّا، على أيِّ حال، بُستحسن أن تدخل».

على الإيارة بأكملها سريالية، لم أرّ قطُّ شيئًا يشبه منزله، تحركت كانت الزيارة بأكملها سريالية، لم أرّ قطُّ شيئًا يشبه منزله، تحركت عيناي من التلفاز إلى الهاتف وإلى الثريًا المتلألئة وإلى الأثاث الذي بيني بملكة، ثم إلى السجادة الباذخة، التي أحسست بها ناعمة تحت بليق بملكة، ثم إلى السجادة تلو غرفة تلو غرفة، بدا المكان كأنه يمتد إصبعي قدمي الكبيرين، وغرفة تلو غرفة تلو غرفة، بدا المكان كأنه يمتد إلى ما لا نهاية.. كنت أستوعب ما أراه بالكاد.

قعدتُ قبالته على الأريكة، وأحضرتُ زوجته كوبًا من الشاي ووضعته على منضدة منخفضة أمامي، أحنيتُ رأسي، كانت هناك حلوى تبدو على منضدة منخفضة أمامي، أحنيتُ رأسي، كانت هناك حلوى تبدو باهظة على صينية فِضية صغيرة، لماذا أتذكر هذا بحق السماء؟ لا أدري، لكنني أتذكر أنني قلت له الحقيقة بشأن شقيقتي ومدى دقة الظروف التي أصبحنا فيها، وسألته إن كان بإمكانه إقراضي بعض المال، ووعدته بأن أرده له،

سعل مرة واحدة ثم صمت، فانتظرت محاولًا التفكير في كيفية ملء الصمت المؤلم،

وقال أخيرًا: «ارفع رأسك! لا تقعد منحنيًا هكذًا!».

التفتَ إلى زوجته وطلب منها شيئًا بصوت خافت جدًّا، ليست لديِّ فكرة عما قاله، لكن زوجته بَدَت في غاية الامتعاض ولم تحاول إخفاء انزعاجها. ثم وقعت معجزة.. ظهرت عشرة آلاف وون، تمامًا على المنضدة التي أمامي، لم أصدِّق عينيَّ، بات بإمكاني تسديد دَيْن شقيقتي بأكمله! حبستُ دموعي وشكرت الرجل من أعماق قلبي بأفضل عبارات الشكر، لم أجد الكلمات، وشعرت بغصَّة في حلقي، كأنني أتنفس بالكاد، كنتُ مغمورًا بالشُكر والارتياح وأنا أغادر منزله الفخم.

لكن، كما هو الحال دائمًا، كنتُ متفائلًا أكثر من اللازم، بالطبع سددت دَيْن شقيقتي، لكن بعد بضعة أيام اختفت ببساطة، واتضح أنها اقترضت مالًا من أناس آخرين أيضًا، ليست لدي فكرة عن ما أنفقتُ عليه كلّ تلك الأموال، وسوف أظل أتساءل حتى يوم مماتي.

كنتُ أسمع شائعات من حين لآخر، رآهم أحدهم نائمين قرب المحطة، ثم رآهم آخر نائمين أمام منزل شخص ما، ويقتاتون على الفتات الذي يمكنهم إيجاده في الشارع، وكنت أذهب لأبحث عنهم متى ما سمعت خبرًا عن مكان يُحتمَل وجودهم فيه، لكنني لم أعثر عليهم قط، ولم أرهم محددًا.

الفصل الخامس

بدأ يوم 8 من يوليو 1994 كأي يوم آخر، كانت السماء فوق مامهونغ، مدلهمة بالضباب، وقد يُخيل للمرء أنَّ عاصفةً على وشك الهبوب، لكن الغيوم المائجة لم تكن في الواقع سوى سخام المصانع. الهبوب، لكن الغيوم كالمعتاد، وحوالي وقت الغداء، سمعنا صوت امرأة نمبتُ إلى العمل كالمعتاد، وحوالي وقت الغداء، سمعنا صوت امرأة مازًا من سماعات المصنع، يعلن أنه ينبغي لنا الاستعداد لنشرة أخبار ما الذي يمكن أن تكون هذه الأخبار.

كات آخذ استراحة، واقفًا في ركن وأدخن سيجارة، عندما بدأت كنت آخذ استراحة، واقفًا في ركن وأدخن سيجارة، عندما بدأت عوسيقى كثيبة تُدوِّي فجأة من السماعة التي فوق رأسي.

موسي و منهة أخبار مهمة جدًا، ثمة أخبار مهمة جدًا، اليوم رحل الزعيم العظيم الرغيق كيم إيل سونغ!».

ران صمت مفاجئ على المصنع، وتوقّف أيّ شخص عما يفعله ووقف أي شخص عما يفعله ووقف أي شخص عما يفعله ووقف أي مكانه مصعوقًا، لكن ليس لمدة طويلة، إذ سرعان ما انبعث جلبة كبيرة في نواحي المكان، شرع أناسٌ في البكاء والنواح، في حين واح آخرون يضربون طاولات العمل والجدران.

الراقتُ سيجارتي من بين أصابعي، وتدلّى فكّي، وصدمت غاية الصدمة عندما وجدتُ نفسي أبكي أيضًا، ليست لدي فكرة عن السبب. لكنُ الدموع الساحدة الهمرت على حدّيُ.. هل كانت الصدمة؟ أم الحوف؟

أم الارتباح؟ أحسست بمزيج غريب من المشاعر التي لم أستطِع سَبُر غَوْرها إلى يومنا هذا.

كنتُ قد أمضيت أكثر من ثلاثين عامًا في هذه «الجنة على الأرض، التي خلقها «كيم إيل سونغ»، وعومِلت معاملة أفضل قليلًا من معاملة الحيوان، وأبقيت على حياتي بالكاد في أسفل قاع المجتمع، حتى إنني في مرحلةٍ ما حاولت إنهاء حياتي لأهرب من وجودي البائس هنا.. فلماذا كنت أبكي؟

هل كانت دعاية الدولة ناجحة جزئيًّا؟ فمنذ انتقالي إلى كوريا الشمالية، لم أحسَّ بأنني حيِّ حقًّا، ثَمّة جزء مني فُصِل وأُخْرِس، وبعر مدة، أحسست أنَّ ذلك الجزء اعتراه الذبول كما يضمر أحد أطراف الجسم من قِلَّة الاستخدام، تأملتُ الإرهاب الذي سيطر على حياتي: المراقبة الدائمة، عدم الاستقلال، الخوف من التعبير عن رأيي، العجز والقنوط، استحالة تحسين حياتي، اقتحم حُكم «كيم إيل سونغ» القائم على الوعيد جميعَ مناحي حياتي، كأنه حَرْبة على بُعد بوصات من حلقى،

ظللت أقول: «فليحيا كيم إيل سونغ!» لأكثر من ثلاثين سنة -دون أن أعني ما أقوله بالطبع- لكن هأنذا أبكي. هل حقّق غسيل الدماغ الهدف المرجوّ منه؟ أم أنني كنتُ أتفاعل مع الهستيريا الجماعية فحسب؟ كان الذين من حولي مفجوعين تمامًا، وظلوا ينوحون: «كيف سنعيش بعد الآن؟».

تعلَّق أطفالي بي وبكوا عندما عدتُ إلى المنزل، وانتحبتُ زوجتي أيضًا، لا أدري ما إذا كان أيِّ من البكاء سببه الحزن، أو ما إذا كان كلُه نابعًا من الخوف.. ما الذي سيحدث لنا الآن؟

وفي اليوم الذي تلا موته، اندفع الناس أفواجًا إلى تمثاله البرونزي ووضعوا أمامه الزهور، واستضافت دور السينما والمنشآت الثقافية

نجعات الحياء ذكراه، وقد كان الحضور إجباريًّا. الشرطة السرية في كل مكان؛ لتتأكد من حضور الجميع، لكن هذا لم يكن ضروريًّا؛ كان الجميع مثلهفين للحضور، ولمشاركة مشاعرهم مع الآخرين، وللإحساس بأنهم جزء من شيء أكبر معنى وأعظم من حيواتهم التي يُرثى لها.

مان «كيم إيل سونغ» عشيَّة ما كان يُفتَّرض أن يكون أول اجتماع قمة بين الشمال والجنوب، كانت قيادة الحزب تهذي من التفاؤل بشأن القمة، زاعمين أنَّ توحيد الشمال والجنوب قريبًا سيصبح واقعًا، وأنَّ مصاعبنا الحالية ستنتهي،

لكن مشكلة الدعاية أنها تُناقض نفسها باستمرار، قيل لنا إنَّ انهيار الزراعة وهلاك الاقتصاد يتحمل مسؤوليته بالكامل الأمريكيون الإمبرياليون الذين يُقَسِّمون شبه الجزيرة الكورية إلى دولتين، وإذا أمكن توحيد الشمال والجنوب، فسينجلي خطر الجوع.

لكن هذا ليس معقولًا، هب أنَّ مشكلاتنا سببها الأمريكيون الإمبرياليون وحدهم، فلماذا لا يجوع الكوريون الجنوبيون أيضًا؟ وفوق هذا، قبل بضعة أيام، ألم يقولوا لنا إنهم يتضورون جوعًا أيضًا؟ وفي الحالة هذه، كيف للتوحيد أن ينقذنا؟

ومع مرور الوقت، بدأ جميع عمال المصنع يطرحون السؤال نفسه: كيف يُفترض أن نعيش الآن وقد مات الزعيم العظيم؟ لا أعتقد أنَّ الدّافع وراء السؤال هو الحزن، بل الحوف الذي كان باديًا على وجوههم، كانوا مرعوبين، كما ينبغي لهم أن يكونوا، فقد كان خطر الجوع يحيق بنا جميعًا، ولننسَ المراسم الفخمة للاحتفال بتنصيب «كيم جونغ إيل» بعدًه الزعيم الجديد.

وحالمًا تسلّم «كيم جونغ إيل» زمام السلطة، بدأ الناس يتبرَّمون منه، ولاموه على الوضع الغذائي المتدهور، كانوا ممتعضين منه سِرًّا،

ويقولون إنه لم يصبح زعيمًا للبلاد إلا بسبب أبيه.. وهذا صحيح، عندما كان «كيم إيل سونغ» على قيد الحياة، كانت آلة الدعاية تعمل بطاقتها القصوى، «كيم إيل سونغ» الزعيم العظيم –عليه السلام حرر الناس من نير الطغيان، بمفرده تقريبًا، فلماذا لا يثقون به ويحترمونه؟ أُعْلِنَ عام 1992: «هذا هو عام الزراعة، وعلى الأمة أن تحقق حلم الشعب الذي استمر قرنًا من الزمان بأكل الأرز الأبيض وحساء اللحم، وارتداء العلابس الحريرية، والعيش في منازل مسقوفة بالبلاط».

كانت المشكلة هي أنني سمعت كلّ هذا من قبل.. الخطاب نفسه، قبل مدة طويلة في 1961، بعد انتقالي إلى كوريا الشمالية بمدة قصيرة، الخطاب الأبله نفسه! والإفراط في مديح النفس عينه، لكن «كيم إيل سونغ» لم يوفّ بأيّ من وعوده قط.. ولا واحد منها، وُعَدنا بـ «الحنة على الأرض» وبدلًا منها أوِّدُعنا في نقيضها.

عندما أفكر بكلّ الناس الذين طهّرهم، وكلّ الناس الذين جوّعهم، وكلّ المعاناة التي تسبّب فيها، آمل أن يرتبط اسمه بالعار والخزي وسوء السمعة.

لم أعرف شيئًا سوى الجوع منذ أن وطِئتْ قدماي أرض كوريا الشمالية قبل أكثر من ثلاثين سنة، ولِعقود كان الجميع على بعد خطوة من الموت جوعًا، لكن الأوضاع اتخذت منحى أسوأ بدءًا من عام 1991، فمنذ ذاك العام وحتى موت «كيم إيل سونغ» عام 1994، تسبب الطقس شديد البرودة بإلحاق أضرار فادحة بالإمداد الغذائي الهشّ.

بموجب نظام التوزيع الغذائي، كان العمال المنتظمون مخوّلين بالحصول على رطل ونصف الرطل من الحبوب يوميًّا، ولسببٍ منحرفٍ ما، قُرَّر للمزارعين أقلَّ من هذه الكمية، وقد كانت الكمية الفعلية، حتى المسال المسطمين، هي رطل واحد 70 هي المئة منه محرد المسالة إلى الهول أن اعصاء الحزب كانوا بناقون حصصا أكبر بكثير، المؤتف أن يُوزع الحصاص مرتين شهريًا، لكن بدءًا من 1991، أن يُوزع الحصاص مرتين شهريًا، لكن بدءًا من 1991، أي يُوزع الحوام، ولمي المهامة، كان علينا أن تُبقي على حيواتنا أن تُراحر على الدوام، ولمي المهامة، كان علينا أن تُبقي على حيواتنا الماء تأخر على الدوام من المناه المناه أن يرداد الماء المناه العنف خارجًا الوصع المناء واندلع العنف خارجًا الوصع المناء واندلع العنف خارجًا

بأ العبطرة، أعدر مريدًا من الشعارات، ومزيدًا من الدعاية، ولم يأ العن أبيدر مريدًا من الشعارات، ومزيدًا من الدعاية، ولم يبدئ المورق الذي يستخدمونه في المده وما الذي كانت تقوله لنا كل هذه المعقلة، وعما إذا كان بإمكاني أمله، وما الذي كانت تقوله لنا كل هذه المعقلة، كانت نقسم لنا نصائح الشأن بدائل حصص الغذاء المعرومة، المعود من حدور الأرر عسم وقد ونتاوله والله غلي بالمبروتين المعود لمربطة على شير من الدشا إذا أكلتم ونقيتم على قيد الحياة، يمكنا تعلق أن ستصراء، معلومات لا عائدة منها، حميعها مكتوبة بمنا تعلق أن ستصراء، معلومات لا عائدة منها، حميعها مكتوبة المعتادة ويحلول ذلك الوقت. كنا ننبش المعتادة ويحلول ذلك الوقت. كنا ننبش المربي وبحاء أشمار الصنوبر، كانت أشياء مربعة، بمكن استخدام المناس عبي يشعه كعك الأور. كان شيئا بعيضًا، كان الناس كارية ومحددًا بعيد الحرب يكونه ماع المأس عي يهانة الدغية الاستعمارية، ومحددًا بعيد الحرب يكرية وعرد حرى عي لأوقات التي لا بعلك الياس عيه خده الموقات المؤرة وجدنا أنفسنا فيها.

يكم طريقه إعدادها أورا أعلق لحدة الدسماء الأملول عدد ممكله التصمي من حسم السموم (سدر من العلس كلما يدسرعون في هذه المرجمة وماتور مورا اليماء أن راف العدم العشر والله الحليم

الشيطاني بالبخار، ثم دعه يبرد، واصنع منه كعكات وتناوله. يبدو الوصف أسهل من الفعل؛ إذ يُصدِر زيت الصنوبر رائحة نتنة تجعل أكل يكاد أن يكون مستحبلًا، لكن إذا رغب المرء في العيش، فعليه ازدراده.

وعندئذ يبدأ المرح الحقيقي، نصاب بآلام بطن مُمِضَة تجعلنا نجثي على الأرض، وبإمساكِ لا يُصدَّق، وعندما يُصبح الألم لا يطاق الما من طريقة لطيفة لقول هذا على المرء أن يُقحم إصبعه غي غتحه شرجه ويستخرج برازه الصلب.. آسف، لم تكونوا بحاجة إلى معرفة هذا، لكن يجب أن تعرفوا، إنها الطريقة الوحيدة لتوضيح مدى يأسنا.

توقف كل شيء بعد موت «كيم إيل سونغ»: الزراعة والصناعة وكل شيء، ما من مواد خام من أي نوع تُوصَّل إلى المصانع، ولا يعمل النيار الكهربائي سوى ساعتين.. إذا كنا محظوظين، توقف الإنتاج تدريجيًا. وكان العمال يتهالكون على الأرضية أمام عينيًّ، وقد نال منهم الضعف والتعب.

أحيانًا كنا نتلقى إشعارًا رسميًّا من الحزب، يمنحنا الإذن بزراعة أي مساحة أرض خالية يمكن أن نجدها؛ لذا كنا نحمل مَعَاوِلنا ونجد شريطًا من الأرض بجانب شارع أو مقابل مبنى سكني، ونحرث التربة ونزرع الفاصوليا أو الكُرُنب الصيني، وكان آخرون يُمهُّدون الأرض على جزانب الجبال ويحاولون زراعة الذرة الحلوة والبطاطس، لكن كل هنا كن إهدارًا للجهد؛ فقد كان من المستحيل إيجاد البذور، وحتى إذا تمكنًا عن إيجاد بعضٍ منها وزراعتها، تُسرَق قبل وقت الحصاد، كانت المحاصيل أيجاد بعضٍ منها وزراعتها، تُسرَق قبل وقت الحصاد، كانت المحاصيل أيجاد بعضٍ منها وزراعتها، تُسرَق قبل وقت الحصاد، كانت المحاصيل

تخلّى الأطفال عن الذهاب إلى المدرسة، وكنتُ أراهم يجولون بغير هدى في الشوارع مع الكبار، وهم يبحثون يائسين عن الطعام. ازداد «هو سون» و«ميونغ هوا» نحولًا، وصار وجهاهما غائرين بحيث تبدو

أعينهما غير متناسبة تمامًا مع بقية قسماتهما، كنت أرغب في البكاء كلما نظرت إلى جسديهما الصغيرين، لكنني كنت أفتقر حتى إلى القوة التي تُمكّنني من البكاء،

ازداد الوضع قسوة بمرور الأيام، كان الجَوْعى يَهيمون على وجوههم على وجوههم على على وجوههم على حين يتمدد آخرون على الشوارع، وسرعان ما ظهرت علم المُثِنْ معددة في العراء، دون أن يأخذها أحد، ومتروكة لتتعفن: نساء، أطفال، عجائز،

انتُتِحت السوق السوداء في العلن، ونُصِبت الأكشاك أمام مراكز الشرطة مباشرة، ولم تستطِع السلطات أن تفعل شيئًا حيالها، لا رجال الشرطة، ولا حتى الشرطة السرية مرهوبة الجانب، لانفتحت جميع أبواب الجحيم إذا حاولوا التدخل.

ولم تكن السوق السوداء ذات فائدة للذين لا يملكون العملات الصعبة، فإذا حاول أحدهم شراء شيء بالعملة المحلية، يرتفع السعر مئة ضعف مالم يكن لديه ساعة أو أيّ أدوات منزلية ليقايضها.

لم يكن بوسع أحد مثلي -بلا عملة صعبة ولا بضاعة ليبادلها- إلّا أن يشتري سخينة الأرز من متجر تَفِرُ منه الصراصير، إما هذا، أو السير في الشوارع بغير هدى بأمل أن يلتقط بعض الفتات الذي سقط سهوًا من وغد آخر غير محظوظ.

كان الخيار الآخر الوحيد هو السرقة، أسرع الحلول وأسهلها، وقد انتشارًا واسعًا.

ومن التغييرات الكبيرة الأخرى في هذا الوقت، أنه صار من السهل التحرك في نواحي البلاد، ففي الماضي لم يكن المرء يستطيع الصعود على مثن قطار دون وثائق سفر رسمية، لكن أصبح بالإمكان الذهاب

إلى أيّ مكان في حال امتلاك تذكرة، الأمر الذي غالبًا ما يتضمَّن تقديم رشوة لشخصٍ ما،

لم يكن بمقدوري استغلال هذه الظروف المتغيرة، بما أنني كنت مُفْلسًا، وقد توقف إنتاج المصنع الذي كنت أعمل فيه: لذا لم تكُن لديً سلم لأقايضها.

بدأتُ مع أسرتي جمع نبتة اسمها «أومودي»، كنا نبحث عنها حتى بهبط الظلام، وعندئذ نجد أيدينا تنزف، وحالما نجمع كيسًا لا بأس به، نعود إلى المنزل ونُقشَّرها ونهرس لبها ونسلقها، كان مذاقها مريعًا، لكننا كنا نأكل أيّ شيء لننجو.

كنت أشعر بالخزي من نفسي أحيانًا، وقلقتُ على «هو تشول» الذي لم تكُن لدي فكرة عن مكانه، لكنني كنت أفكر به طوال الوقت. اعتذرت لأطفالي وزوجتي على حياتنا التعيسة، لطالما كان أطفالي لطفاء، ومفعمين بالأمل دومًا، كانوا يعلمون أنني أحبُّ التدخين متى ما وجدتُ سيجارة؛ لذا كانوا يلتقطون أعقاب السجائر ويعطونها لي، كنا على شفير الموت جوعًا، لكن روابط الحب الأسري ظلّت سليمة، الأمر الذي لم ينطبق على بعض الناس، سمعتُ قصصًا كثيرة عن عائلات تتناحر بسبب الطعام، حتى إنني سمعت شائعة عن رجل قتل زوجته وأكلها، بسبب الطعام، حتى إنني سمعت شائعة عن رجل قتل زوجته وأكلها، وأنا متأكد أنها صحيحة، ومتأكد بالقدر نفسه أنّه لم يكن وحده.

وبحلول صيف عام 1995، كنا في غاية الرّعب من أننا ربما نموت من الجوع، ثم وقعت الكارثة في أغسطس.. اجتاح فيضان مُدمَّر مقاطعة «بيونغان»، وهي منطقة مهمة لإنتاج الحبوب، وكان هذا يعني نهاية حصصنا من الحبوب، وعندما حلّ الخريف، بدأنا نجمع جوز البلوط بدافع اليأس، فبانعدام الحبوب، كان جوز البلوط هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يُبلُّغنا الشتاء التالي؛ لذا جمعنا منه أكبر كمية ممكنة،

كنا نسلقه ونأكله مرة في اليوم، وبالنسبة إلينا -بعون الله- كان لذيذ المذاق، وبالفعل، بلُّغَنا الشتاء،

المدال ا

سرب بلغ الوضع من السوء أننا بدأنا أكل أيّ أعشاب قديمة نعثر عليها، كنا نسلق تلك الأشياء المربعة دهورًا لنتخلص من قسوتها، لكن بلا جدوى، نسلق تلك الأشياء المربعة دهورًا لنتخلص من قسوتها، لكن بلا جدوى، تعتفظ بطعمها الزَّنخ رغم كل شيء، وتُسبِّب لنا أعراضًا مروَّعة، تتورَّم أجسادنا ووجوهنا، ويتحول بَوْلنا للأحمر وحتى للأزرق، وجميعنا كنا أجسادنا ووجوهنا، ويتحول بَوْلنا للأحمر وحتى للأزرق، وجميعنا كنا نعاني الإسهال المزمن، ولا نتمكن حتى من المشي بهذه الحالة.

بعدي الم يكن أي أحد يفكر أو يتحدث بشأن أي شيء سوى الطعام، وعندما لم يكن أي أحد يفكر أو يتحدث بشأن أي شيء سوى الطعام، وعندما نتمكن من الحركة، نمضي كل وقتنا في بحث دؤوب عن أي شيء قابل للأكل ولو قليلًا، لم نكن سوى مجموعة أشباح نهِمة، تتأرجح بين الحياة والموت،

لا أعرف عدد الذين تضوروا جوعًا حتى الموت، وكنا نسمع القصص طوال الوقت.

ماذا عن تلك المرأة التي مات زوجها؟ ماتت أيضًا، ماتت وحيدة». ولم أز فلانًا العجوز مؤخرًا، هل رأيتُه؟ أظنه لم ينجُ».

وحدث امرأة مستلقية في الشارع، فتحققت منها، لكنها كانت باردة».

وسمعتُ قصصًا عن أكل لحوم البشر، وكان يُشاع أنه إذا كُشف أمر الذين يمارسون هذا الفعل، يُعدمون في مكان عام، لم أشهد إعدامًا

علنيًّا بنفسي، لكنه لن يفاجئني إن رأيته. كل يوم كان أشبه بالعيش في كابوس، ربما يبدو كلامي فظيعًا، لكنني صرت منيعًا ضد الرعب الذي يسببه مرأى جميع الناس الممددين في الشوارع، وأحيانًا لا أميُز إن كانوا يحتضرون أم كانوا ميتين بالفعل، والأنكى أنني لم تكن لديً الطاقة لأكترث.

بدأ الناس يسألون أسئلة غريبة في الأماكن العامة، مثلًا: متى سيكون بمقدورهم أكل الأرز الأبيض وحساء اللحم؟ ما كان أيّ أحد ليطرح سؤالًا كهذا في الماضي، حتى سرًّا.

تذمر بعض الناس بشأن «كيم إيل سونغ» وما فعله بنا، لكن لا أحد تحدث عن تغيير النظام، إذ كانوا يخشُون الشرطة والشرطة السرية أيّما خشية. هل حاول أيّ أحد الإطاحة بالقيادة؟ لا، كانوا يَصُدَعون بما يؤمرون به حتى النهاية. ورغم كل شيء، فقد غُسِلت أدمغتهم منذ أن كانوا أطفال مدارس، كنا نُدرَّس أنّ الولايات المتحدة ترتكب المجازر كانوا أطفال مدارس، كنا نُدرً س أنّ الولايات المتحدة ترتكب المجازر الدموية بحق إخواننا وأخواتنا في الجنوب، وأنّ من واجبنا تحرير شعب كوريا الجنوبية، وأنّ بلادهم يحتلُها العدو؛ الولايات المتحدة.

لستُ متأكدًا من كيفية بقائي وأُسرتي على قيد الحياة، كانت لدينا جميعًا العيون الغائرة نفسها والخدود المجوَّفة نفسها، وأجسادنا جاد وعظم، تَنْتَأ عظامنا لدرجة مؤلمة عندما نجلس أو نضَّجع، ونتألم حتى عندما ننام، ونستيقظ باستمرار.

عندما كنت أنظر إلى أُسْرتي، يخطر لي، يا إلهي اهل يجب أن نموت هكذا؟

صرتُ راغبًا عن جمع الأعشاب، كنا نموت على أيّ حال.. ما المغزى؟ أصبحتُ لا مباليًا إزاء الموت، لو أمكنني تحمُّل الألم والاستلقاء قلبلًا، لانجرفتُ بعيدًا وما عُدت قط. لكن كما هو الحال دائمًا، كلما أغمضت عينيَّ، أسمع صوت والديِّ، والديِّ، والذيِّ، والذيِّ، والذيِّ، والذي النَّفيرة، النِّي كنتُ مهووسًا بها.

قال أبي: بطريقة ما.. بطريقة ما.. غد إلى اليابان! ارو قصتنا! خذ رمادي إلى اليابان وضعه في مقبرة والدي، تردد صوت أمي من خلال نشيمها.

دات يوم هي سبتمبر، والقمر بلُوح وبحتفي بين الغيوم، والمنزل مي معامجوه غارق في الظلام لانقطاع الكهرباء، كنا جالسين بصمت على غابين غرب الحدار، نحدق إلى الظلام، خان ضوء القمر يسقط على زوجني وأطعالي، وبدت أجسادهم كأشحار في تلك الليلة الباردة. أشحار ميتة.

عدما ينضور المرء حوعا حتى بطغ شفير الموت، يفقد كل الدهون من شفتيه وأنفه، وحالما تحنفي الشفتان، تصمح الأسنان بادية طوال لوقت، مثل كلب يُرمحر مُنشَرا عن أديابه، ويتقلص الأنف إلى مدحرين تحسد، أثمني لو أنني لم أعرف هذه الأشياء، لكنني أعرفها.

وتحدثت أخيرًا،

مصرن هيكل عطمية، وإذا لم نفعل شيئا حيال الأمر، فسنصمح في عار عوشي قريبا، علي أن أعس الحدود، وأريد أن تأثير معي، لكر لا عنف ألكه تملكون القوة. ، واتثنى العلارة مكا المساطة، عام اللك مها من فض قط، كن حطر لي فحاة أنه بما أسى سوف أسال سي أب حال فعل لأفضل أن أموت محاولا العدرة إلى اليالان، عال الدحال معدد ها بمكنني ارسال المال الى عاطتي ، يمكمون أحد هد

صرقت مبويغ هوا هيدهه، وذالت عدي الدال الله الم

وقالت زوجتي: «سنكون بخير، وما دمنا على قيد الحياة، فسنجر معضنا مجددًا»،

نهضتُ في الحال وجمعت متاعي القليل، وكنت أعرف أنني إذا لم أغادر على الفور، فربما أغير رأيي، فذهبت إلى الباب الأمامي، وقلت لهم: «إذا تمكنت من العودة إلى اليابان، بطريقةٍ أو بأخرى، فسأحضركم أيضًا، مهما تطلّب الأمر».

حبستُ دموعي وانطلقت إلى محطة «هامجو»، كنت أعرف بوجود قطار ليليَّ منجه إلى «هيسان» الواقعة بالقرب من الحدود، أحسست فجأة بالتحرر على نحو غريب، فقد تخطيت العتبة الخفيّة، وأن تعود حياتي كما كانت مجددًا أبدًا. تركتُ خلفي للتو كلّ شيء أعرفه وكلّ شخص أحبه، وما من مجال للعودة، إما الهرب، وإما الموت في سبيله.

لم يكن من السهل ركوب قطار إلى «بيونغيانغ» أو الحدود، إذ يجب الحصول على وثاثق سفر خاصة، التي صار الحصول عليها أصعب من الماضي، فقد كان هناك أناس كثيرون جدًّا مثلي يحاولون الهرب إلى الصين.

وجدتُ أناسًا كثيرين يَروحون ويَجيئون عندما وصلتُ إلى المحطة، ويجري التحقق من بطاقات الهوية والتذاكر عند حاجز التذاكر.. ليس أمرًا جيدًا، ابتعدت عن المحطة قرابة مثتي ياردة وعبَرْت خط السكة الحديدية.

رأيتُ هناك سورًا عاليًا، كان من أجل منع الناس من عبور الرصيف، لكنني تمكنت من الانحشار وراء السور بقدر ما أمكنني من هدوء، ولا بد أنني علِقت بسلك شائك؛ لأن بنطال عملي تمزق، وكانت ركبتاي تنزفان، نظرت خلسة من وراء السور لأتفقد الوضع في الرصيف.

كثيرون ينتظرون القطار، وبعضهم ينامون على الأرض، وبعضهم بأكلون، يوجد رجال شرطة قليلون، وكثير من الجنود بالطبع، فقد كان الجيش أيضًا يستخدم المحطة.

لبنتُ مختبنًا ورحت أراقب لمدة بدت لي عدة ساعات، وفي النهاية، المنف الجنود، وتوقف قطار في المحطة، وحتى في الظلام، كنت أرى أنه قديم وصدئ، وكُلُّ الزجاج قد سُرق من إطارات نوافذه.

كنت أحاول تحديد اللحظة المناسبة للقفز على القطار، هل ينبغي أن أصعد الآن؟ لا.. المخاطرة كبيرة، من الأفضل أن أنتظر حتى آخر لحظة ممكنة، لكن كيف لي أن أعرفها؟

كنت أرتجف بعصدية، ومُرّ الوقت بسرعة لدرجة أنني، قبل أن أدرك ما يحدث، رأيت القطار يتحرك، وأدركتُ أنه إما أن أغتنم الفرصة وإما أضيعها للأبد، انحنيت وركضت إلى القطار بأقصى سرعة يسمح بها جسدي الواهن، كنت أعدو بكل ما لدي من قوة، فاقدًا صوابي من الخوف وموتنًا بأن أحد الجنود سيطلق النار على ظهري.

عددتُ دَراغيُّ وأعسكت بالسُّلُم الذي في نهاية المقطورة، لامستُ ياي القضيب المعدني، فطوَّقتُه بأصابعي ورفعت نفسي بحركة قوية عرجة أنني تشقلبت رأسًا على عقب داخل المقطورة.

وجدت نفسي مُمدُّدًا على المَمْشى الذي بين المقاعد، ووجهي للأعلى، منقطع الأنفاس، ومُستنزفًا من مجهودي بحيث عجزت عن الحركة. كن المكان غارقًا في ظلام دامس، وما من ضوء على السقف الذي فوقي، وفي النهاية، استويت جالسًا ونطرت فيما حولي، جميع المقاعد مشفوة، وبعض الناس يسيرون في الممشى، لكن سا أنَّ لا أحد لاحط وجودي، كثيرون كانوا يسافرون متسللين في تلك الأيام: لذا لا أطن أنَّ وجودي، كثيرون كانوا يسافرون متسللين في تلك الأيام: لذا لا أطن أنَّ

ركوبي كان خطبًا جللًا، وأينما نظرتُ كانت رؤوس الناس تتخفض وبترتقع من النعاس.

ثم خطر لي فجأة أنني نجحت، تمكنت فعلًا من الصعود على عنن القطار، فاجتاحني إحساس الارتباح، ثم شعرت فجأة بالجوع، لم أنذور سوى قَضْعة حساء في ذلك الصباح؛ أي قبل ساعات عديدة، جلست مُستِدًا ظهري إلى الباب الذي عند نهاية المقصورة وغفوت، ثم استشعرت بغتة ضوءًا قادمًا من المقطورة المجاورة، كان أحد المفتشين يتحتي من وثائق سفر الركاب بمصباح يدوي، عاستيقظت جميع حواسي ـ فعة واحدة.

ظللت جالسًا في الظلام ناظرًا أعامي في رعب، وتسارعتُ نبضت قلبي مجددًا، كنت أعرف أنها ستكون نهايتي -ونهاية أسرتي- إذ ألتي القبض عليًّ، صار إيطاي باردين وبيقين بالعرق، إذا لم أفكر بشيء سريعًا، غسينتهي العطاف بكل أفراد أسرتي في معسكر اعتقال دأب أما أنا.. فسوف أدان بالحيانة العظمي وأعده.

ألقيتُ نظرة سريعة على ما حولي، و الدريد ير يُضَخُّ في عروتي. لكن لم يكن هذاك مكان للاختباء، بدا كل شيء مُسربُلاً بالصمد. ولم أسمع سوى وجيف قلبي وصوت الربح.

لم يكن لدي وقت للتردد.

قلتُ للركابِ النائمين على المقعد الذي بجواري: ﴿ ستميمكم عرا

وبطريقةٍ ما، تمكنت عن المرور بصعوبة بينهم وسوع عددة الناعدة التي بلا زجج.

أَه يا ملاكي يا لصُّ الزجاج! كُم أرب معافقت وتفسِ الله

وضعت قدمَيَّ على إطار النافذة وتسلقت، ثم وقفت على إطار النافذة في وضعت قدمَيَّ على إطار النافذة فارج القطار، فلسعت الرياحُ الجروحُ التي حول ركبتَيَّ، وكاد جسدي الهزيل أن يطير، كنت أعرف أنَّ ساقيًّ لا تزالان مرئيتين من داخل الهزيل أن يطير، كنت أعرف أنَّ ساقيًّ لا تزالان مرئيتين من داخل الفطار، وعليًّ إيجاد طريقة للتسلق إلى فوق السقف.

وعندما نظرت إلى السقف، أبصرت شيئًا مثل قضبان فتحة تهوية، كان من الصعب تبين ماهيتها تحديدًا، لكن بَرَق في ذهني أنه شيء كان من الصعب تبين ماهيتها العقبة الوحيدة أنه أبعد من متناول ذراعي، يمكنني الإمساك به، وكانت العقبة الوحيدة أنه أبعد من متناول ذراعي، وسيكون علي أن أخاطر، كلّ ما عليّ فعله هو القفز والتشبث به ورفع نفسي للأعلى،

لله ما علي فعله؟! يبلغ طولي خمسة أقدام وثلاث بوصات! كنا نقترب سريعًا من جسر، وتبيَّنتُ بعض الأشجار الداكنة أمامنا. أغمضت عيني وأخذت نفسًا عميقًا بطيئًا، وعندما بلغ القطار الجسر، حدث ارتجاج مفاجئ.

الآن!

قفزت بكل ما أملك من قوة، وفجأة وجدتُني سابحًا في الهواء، وتجمُّد المشهد من حولي، انعقفت أصابعي حول القضبان، وأمسكت بها وأرجحت الجزء الأسفل من جسدي للأعلى ورفعت نفسي على مرفقي، نجعت.. صرت على السقف، كنت أرتعش من مجهود القفزة ورعبها، والفضى وقت طويل قبل أن أتوقف عن الارتعاش،

لا أعرف مقدار الوقت الذي انقضى وأنا على السقف، فقد كنت في غاية التوتر، لدرجة أنني لم ألاحظ متى بدأت السماء تمطر، وعندما استعدت حواسي أخيرًا، وجدت قميصي مبتلًا تمامًا، وأدركت أنّ السقف سرعان ما سيصبح زلقًا، وعندئذٍ سأواجه خطر السقوط،

انتطعت على بطني ورحث أسعى كالحية بعدر لأبلع مؤجرة القطار، وأحسب بموجة أحرى من الارتياح عندما لامستُ قدماي السلم، فدراده واحتبأت على المقرنة التي تربط بين المقطورات، إذا تمكنت من إحاطة السلم بدراعي وأطبقت بيدي مقاء فسأكون بمأمن إلى حدُّ كاف

السُلُمِ لمادا لم أستحدم السلم اللغين عندما اصطررت للهرب إلى حارج القطار في البداية الكنت أحلس عُولنًا طهري للدار،، وخلُ ما عليَّ،،،

ائس الأمر، لقد تنموت، وهذا كل ما يهم.

وصبر المحار إلى محطة مضمة ومعفرة في وقد مدورانه مدوري النبر، وتعرفت على اسمها من الدعمة الفاهدة، مادن المحجدة التي قبل وهيمنان و عرابت الرائمال الرحمة هذي وهيمنان و محجود يا محجود و كميرة، ربعا أسأل عن وتربق سفري في المحجدة، وعدره، ومحجود مهايشي بدأ كال الوقت قد حاله، والمدودة، والشيم فقف المحجدة، وعدره، المحجدة والشيم فقف المحجودة والشيم فقف المحجودة والشيم فقف المحجودة والشيم فقف المحجودة والمحجودة والشيم فقف المحجودة والمحجودة والشيم فقف المحجودة والمحجودة و

بغضل بهر دیانو، عد حسد، ولاو در طمانة ولائنو به حسا بغیرونه، و کشر عمیه بحدولهای عدوالا ولادی این در حد قال قرای شلاشین عمل کی حسیبیون بحدوله یا بهدام یا داد در شماره و لقفرف عدد مه داده و شواف باعدوله فی حسد او ایا اعداله در فراه الهجری

أمرف بد وأرض الثورة المقدسة»، وفي المدينة نَصْب تذكاري ضخم وفي النورة وتمثال لد «كيم إيل سونغ».

من المحال! فبحلول عام 1996، اكتسبت أرض الثورة المقدسة سمعة سيئة، بوصفها مكانًا يختبئ فيه الناس عندما يحاولون المدسة المسين؛ ولذلك كانت الدوريّات تطوف بها على مدار الساعة من فبالق قوات حرس الحدود.

كنتُ قد سمعت بعض القصص الفظيعة عما حدث للذين أُلقيَ القبض عليهم وهم يحاولون الهرب، أيُّ شخص سمع بها، قصص مروَّعة، مَن بري ما إذا كانت صحيحة، أم أشاعَتْها الدولة لتبقينا في أماكننا. إحدى أسرأ القصص التي سمعتها، كانت «قضية حلقة الأنف»، هربتْ أسرة مكنة من أربعة أفراد، لكن الشرطة الكورية الشمالية ألقت القبض عليهم في الصين، أدخلت الشرطة سلكًا معدنيًا في أنوفهم من أجل ربطهم جميعًا معًا، صُدِم ضبّاط الجمارك الصينيون من تلك القسوة، وأوضحوا أنَّ مثل هذه الأشياء غير مسموح بها في الصين، فتضايق رجال الشرطة من حكم الضباط الصينيين عليهم، ولِيتباهوا ببربريتهم ربال الشرطة من حكم الضباط الصينيين عليهم، ولِيتباهوا ببربريتهم والمنا الجمارك الصينية، أرض كوريا الشمالية.

بعدما قفزتُ من القطار، مشيت مدة طويلة لدرجة أنَّ ساقيَّ تصلَّبتا وصارتا كالخشب، لكنني وصلت إلى «هيسان» أخيرًا. لم أكن قد تناولت طعامًا منذ يومين؛ لذا يمَّمت وجهي شطر السوق، فوجدته ضخمًا، وفيه عدد كبير من المنتجات بحيث شعرتُ بالدوار: أرز، دقيق، بيوض سمك الفس كل ما يخطر على البال، كان من الواضح أنَّ بعض الناس يبحثون عن شيء ليشتروه، في حين بدا آخرون كالمشردين، لا يملكون سوى النظر والحقدُ ينهشهم.

لم أكن أملك مالًا، بالطبع، فحاولتُ العثور على شيء على الأرض، وفي النهاية، لمحتُ بعض أكواز الذرة الملقاة، التي كانت خالية من الحبوب، لكنني أنشبت أسناني فيها وأكلت ما يمكنني أكله.

وعندما التفتُّ، رأيت طفلًا صغيرًا خلفي، وحده تمامًا، أظنه كان يتيمًا، ومثلي كان يبحث في الأرض عن شيء قابل للأكل، وعندما وجد شيئًا، التقطه وأكله، كأنه حمامة. تساءلتُ عما حلّ بوالديه، لكن لم أستطع التفكير كثيرًا بالأمر؛ لأنه أعاد إلى ذهني صور أطفالي، ولم تكن لديّ الطاقة للنحيب.

أردت استعادة قوتي، بالقدر الذي كانت عليه؛ لذا ذهبت إلى متنزّه في مركز المدينة، ووجدت أجَمّة وزحفت تحتها، وسرعان ما غرقت في النوم على الأرض الصلبة، وفي الصباح، نهضتُ وتسكعتُ أمام محطة القطار قليلًا، وحالفني الحظ حين وجدتُ لبّ تفاحة، فَرُحت أمضغها وقصدت النهر، وعندما بلغت ضفته، كان النهار قد انتصف تقريبًا،

فُوجِئت أول ما رأيت النهر، إذ كان النهر ضيَّقًا جدًّا، ولا يمكن أن يتجاوز عرضه مئتي ياردة تقريبًا، لو كنا في فصل الشتاء لكان السطح متجمدًا، ولأمكنني عبوره في بضع ثوانٍ، وهو وقت أكثر من كافٍ ليُطلَق عليً النار في ظهري، دعونا لا ننسى، لكنني حاولت ألَّا أفكر بهذا.

لمحتُ بعض الرجال يقفون في الأنحاء ويتحدثون ويدخنون السجائر على الضفة الأخرى؛ في الصين، وعلى الجانب الكوري الشمالي، تَمَّة كابينات مراقبة كلّ خمسين ياردة تقريبًا، وحراس يتأبّطون بنادقهم في دوريّات حراسة على مدار الساعة، وبعضهم معهم كلاب من فصيلة الراعي الألماني شرسة المظهر، ورأيت امرأة تغسل الملابس في النهر وبضعة أطفال يركضون لاهِين على جانبي النهر، والحراس لا يأبهون بهم.

با صبي عبور النهر أمامي، ولم يفعل الحراس شيئًا، فانتظرتهم بنوموا بإجراء ما، لكنهم لم يُحرّكوا ساكنًا، كان الصبيّ يحمل شيئًا فرق رأسه حتى لا يبتلّ، لكن المياه لم تبلغ سوى خصره، وبلغ الضفة لأدن رأسه ختى لا يبتلّ، لكن الشيء لرجل كان ينتظره، فأخذه الرجل لأحدى خلال لحظات، وأعطى الشيء لرجل كان ينتظره، فأخذه الرجل المنافى على الفور، لكن الصبيّ اقتعد ضفة النهر وراح يُدخُن سيجارة، وله أنجز عمله.

_{بدا} أنَّ عبور النهر مسألة سهلة.

نررتُ التحرك، فإذا وقفتُ عند النهر مدة أطول، فلا بدّ أنْ تُثار هٰكوك الحراس، وحالما بدأتُ أسير مبتعدًا، زعق أحد الحراس فأجفلتُ، ظنا مني أنه يقصدني؛ لذا توقفتُ واستدرتُ ببطء شديد.

رأيت المرأة التي كانت تغسل الملابس تعود مسرعة، وهي التي زعق بها الحارس، بدا أنَّ لا مشكلة في عبور الأطفال النهر، لكن البالغين لا بها الحارس، بدأ أنَّ لا مشكلة في عبور الأطفال النهر، لكن البالغين لا بهكنهم أن يخوضوا في النهر لأكثر من ياردة أو نحوها. بمكنهم أن يخوضوا في النهر لأكثر من ياردة أو نحوها. Telegram:@mbooks90

عن إلى ضفة النهر في تلك الليلة واختبأت تحت أجَمَةٍ لأراقب ما بعد بعد هبوط الظلام، كان الحراس يَجوسون في المكان بالمصابيح البدوية، والأسوأ من هذا، كان القمر بازغًا، وأمكنني رؤية انعكاسه على النهر، وكان من السطوع بحيث جعل محاولة عبور النهر انتحارًا؛ لذا عن أدراجي إلى منطقة محطة القطار.

كان هناك مقعد طويل في المحطة يقعد عليه الناس في أثناء انتظار الفطار، وكنت عندما أرى الناس يتناولون وجباتهم الخفيفة، أقف أو أجلس على مقربة منهم وأنتظرهم حتى يُلقوا بقايا طعامهم، وبعدما أكلتُ أيًا ما وجدته، زحفتُ تحت أجَمَة أخرى وخبّأت نفسي. كنت أعرف أنني لن أتمكن أبدًا من عبور النهر في أثناء النهار دون أن يراني أحد،

ولم يكُن الليل مظلمًا تمامًا بسبب ضوء القمر، والحراس الذين يتجوَّلون بمصابيحهم اليدوية.

لم أعرف خطوتي التالية، الشيء الوحيد الذي أمكنني التفكير به كان محاولة العبور في أثناء تغيير مناوبة الحراسة، لكن كيف لي أن أعرف روتين الحراس دون أن يُفتضح أمري؟ قلَّبتُ هذا السؤال في ذهني طويلًا جدًّا وأنا أضّجع مستيقظًا على الأرض الباردة.

استغرقتُ يومين إضافيين من المراقبة لمعرفة الوقت الأمثل لعبور النهر، وعندئذٍ كان جسدي قد اشتد ضعفه، وبالطبع كانت أعصابي على وشك الانهيار، كنت ألتفتُ ورائي باستمرار متى ما مشيت إلى أيّ مكان، وأظن أنَّ كلّ شخص أمُرُّ به هو شرطي.

وفي النهاية، قرَّعتُ نفسي بشدة: اسمع! ليس لديك وقت لهذا، أسرتك تتضور جوعًا! وتخور قواك بمرور كلّ يوم، عليك عبور ذلك النهر! وإلا سوف تموت أسرتك كلها، وأنت أيضًا.

وفي الليلة الثالثة، عدتُ إلى ضفة النهر بُعَيد الغروب، واختبأت تحت الأجَمَات، مُتحيِّنًا فرصتي، وكان الحراس يَجوسون في أرجاء المكان.

قلت لنفسي، لا يمكن أن يُطلق عليّ النار! لا يمكن أن أموت هنا!

لكنني لم أستطع التركيز كما ينبغي، فتمدّدت على الأرض وأغمضت عيني، وعندما حاولت النهوض، وجدتُني فاقدًا القوة على رفع نفسي، واعتقدت أنه قُضي الأمر، وأنني أحتضر، نجحت في بلوغ هذا الحد، وكنت قريبًا جدًّا، لكنني انتظرت مدة أطول من اللازم، وفجأة انبثقت في ذهني وجوه أمي وأبي وجميع أطفالي، قالت أمي: عليك أن تنهض وتذهب! يجب أن تجد القوة، وعندئذ بدأ رذاذ المطر يَهْمي، أحسست بالقطرات على وجهي، ففتحت عينيّ، لكن دموعي وضعت غشاوة على بالقطرات على وجهي، ففتحت عينيّ، لكن دموعي وضعت غشاوة على

بصري، ورفعت وجهي إلى السماء، فوجدتُها مكفهِرَّة وحالكة السواد، ثم اشتَّة عطول المطر، وعلى نحو غريب، عادت قواي وصَفَا ذهني، ثم اشتَّة عطول المطر، وعلى نحو غريب، عادت قواي وصَفَا ذهني، فقلت لنفسي: يجب أن أذهب، يجب أن أذهب الآن، وإلَّا سوف أموت هنا، ثم لم يعد المطر مجرد زخات خفيفة، وصار يهطل هطولًا غزيرًا، وبعد ثم لم يعد المطر مجرد نفات فيفت ونظرت إلى النهر، تغيَّرت معالمه تغيُّرًا عشرين دقيقة، نهضتُ ونظرت إلى النهر، تغيَّرت معالمه تغيُّرًا عارمًا خلال تلك اللحظة الوجيزة.

خَصْتُ في الوحل نحو النهر،

وقلت لنفسي وأنا أحاول استجماع أطراف شجاعتي: ما الفرق؟ يُطلق عليَّ النار.. أنتحر.. أبقى هنا وأهلك من الجوع.. سأموت في كل الأحوال،

بدأتُ أسير بمحاذاة ضفة النهر، ولم أعد أكترث بشأن الحراس خلفي، وإن كان يوجد شيء أكترث له حقًّا، فهو أملي أن أموت فعلًا.

تهشّم شيء تحت قدمي، غصن أو جِذْر نبات ربما، فنظرتُ خلفي غريزيًا موقنًا بأنني على وشك أن أُرْدَى قتيلًا، ولدهشتي الشديدة، لم يكن هناك حارس واحد، هل كانوا يغيّرون المناوبة؟

أجلا إما الآن أو ستضيع الفرصة للأبد. ألقيت بنفسي في النهر وبنات أسبح، لكن عندها ارتظم رأسي بشيء؛ صخرة ربما، ليس لدي أدنى فكرة، اندفعت المياه إلى فمي، وكنت واعِيًا وعْيًا ضبابيًّا بأنني أنجرف مع التيار، ثم فقدت وعيي.

ليس لدي مكرة عن مقدار ما انقضى من وقت، لكن عندما استعدتُ وعيه، وجدت نفسي ممددًا على ضفة النهر.

خطر لي، سحقًا! لم أعبر إلى الضفة الأخرى،

كنت أرتجف باضطراب، وقد خارت قواي تمامًا، تمكنتُ بصعوبة من رفع رأسي، وعندما رفعته، رأيت ضوءًا على مبعدة، بدا أنه قادم من منزل،

تساءلت: مِن الغريب إضاءة المصابيح! مَن عساه أن يفعل شيئًا كهذا؟ كانت إضاءة المصابيح ليلًا في كوريا الشمالية بمكانة الخيانة العظمى.

عجزت عن النهوض، لكن اكتشفت أنني يمكنني الحركة بما يشبه الزحف، فزحفت باتجاه المنزل المضاء.

ثم سمعت نباحًا بعيدًا.

لا بد أنني غفوت دون أن أشعر، لكن عندما استيقظت، وجدتني محمولًا على ظهر رجل لا أعرفه، وكنت عاجزًا عن الكلام، حاولت، لكن شفتي لم تتحركا، وبدا أنَّ حِبالي الصوتية مشلولة، لم أقدر على إخراج أي صوت، ثم حاولت تحريك أصابعي، لا شيء، لكن مهلًا.. يمكنني تحريك بؤبؤيْ عينيَّ، أين كنتُ؟ حاولتُ أن أنظر فيما حولي.

أَجَمَات.. كلب.. ما الذي يفعله بالقَفْز على هذا النحو والركض حول قدميْ هذا الرجل الغريب؟ ويهزّ ذيله، وينبح أيضًا.

بدأ الرجل يتكلم معه، ما الذي كان يقوله؟ لم يكن بمقدوري التمييز. حاولتُ مرة أخرى أن أقول شيئًا، لكنني كنت لا أزال عاجزًا عن إخراج أيّ صوت، ثم حاولت مجددًا.. لا شيء.

ظلِّ الرجل يتحدث مع كلبه بصوت لطيف.

وفجأة خطر لي أنَّ الناس لا يُربُّون الكلاب بوصفها حيوانات أليفة، إنما يأكلونها، وهذا الكلب أليف. هذه ليست كوريا الشمالية، إنها الصين، لقد نجحت! لم أصدق، لم تكن سوى معجزة.

ورغمًا عن حماستي، غليّنِي الوهن،

ۇلدڭ مجددًا.

وجدتُ الرجل يراقبني معتنبًا بي عندما استيقظت، وأردت أن أوضح ور. له مَن أنا، وأن أشكره على مساعدته، لكنني كنت لا أزال عاجزًا عن الكلام، وحاولت الجلوس، لكنه أوقفني.

قار: «لا بأس، إنك بحاجة إلى الراحة، حاول أن تنام».

وفي وقتٍ لاحق، أطعمني سخينة أرز، رفع الوعاء ووضع الملعقة في

شفش

لَبِكُبِتُ مِن فَرِطَ حِنَانَهِ إِنْ كَانِتَ لَدِي القَوةِ.

أشعرتني السخينة بالدوار، لم أكن قد نناولت طعامًا منذ مدة طويلة. لدرجة أن جسدي لم يحتمله، وأحسست كأنني تجرعت دلوًا من الكحول يفعة واحدة.

وأغشى عليَّ.

طبت أفقد وعيى وأستعيده طوال يومين. لا أتذكر شيئًا عنهما، لكن عي اليوم الثالث، استيقظتُ شاعرًا بأنني مليء بالطاقة، كان أمرًا عربيًا: أسى أبنى بم أقفز من الفراش أو أفعل شيئًا كهناء لكنبي فجأة وجدت عي يفسي القدرة على الوقوف، والقدرة على المشي، يصرتُ فيما حولي مستوعبًا محيطى تدريجيًّا، رأيت تلغازا وثلاحة وغسالة وأربكة ودراجة سرية ودراجة هوائية أيضًا، رفاهيات لا تحطر على قلب بشر.

جاء إلى الرحل الذي أنقذني، كان كوريًا كبير السن يُدعي «كيم»، وهو ألطف شخص عرفته يومًا.

أوضحتُ له ظروفي بكل تعقيداتها.

قلت له: ولستُ كوريًا، أنا ياباني، وأحاول العودة إلى اليابان، عليُ إنقاذ أُسْرَتي، أيمكنك مساعدتي؟»،

أخذ مجَّة من سيجارته، وقال: «لا يمكنك الوصول حتى إلى كوريا الجنوبية في هذه الأيام، لكن اليابان!».

حدَّثني عن أناس آخرين هربوا من كوريا الشمالية، ليسوا يابانيين، بالطبع، بل كوريين شماليين أصليين، وصُعِقت عندما أخبرني عما حدث لهم، حتى إذا نجحوا في الوصول إلى سفارة كوريا الجنوبية في «بكين، وهي ليست مهمة سهلة، إذا أخذنا في الحسبان المسافة والمخاطر يُقابَلوا ببرود، ويُقال لهم: «لا نريد أن نفسد علاقتنا مع الصين، أخشى أننا لا يمكننا مساعدتكم، أنتم وحدكم»، بعبارة أخرى، أسدونا معروفًا وحلوا عنًا.

عقدت الصين وكوريا الشمالية، بعد الحرب الكورية، اتفاق «صداقة ممهورة بالدماء»، وفيه اتفقو على «بروتوكول التعاون بشأن أمن الحدود»، وهي كلمات لطيفة منمقة مضمونها إجراء بسيط: إذا هرب شخص من كوريا الشمالية. لكن نَعد حظّه وألقي القبض عليه، يُعاد إلى كوريا الشمالية.

مع إخطار فرقة الإعدام.

أما كوريا الجنوبية، فلم يهمَّها سوى التجارة مع الصين، ومن الواضح أنها أهم بكثير من مساعدة إخوانهم،

لكنَّ ﴿كَيْمِ، كَانَ رَجِلًا فَأَضَلًا، وَوَتُقَتُّ بِهِ ثُقَّةَ تُامِهِ.

قال: «دعني أحدَّث أبنائي وبعض الأصدقاء الذين أثق بهم، سأندبر أمرًا، لا تقلق...

أَخِلْتُ نظري في المكان مرة أخرى ورغبت في البكاء، الهاتف على المنفدة، المذياع، بعض الفواكه في وعاء، الكلب يغفو قرب النافذة.. المنفدة، المذياع مقارنة بكوريا.

هاد ، كيم بعد مرور بعض الوقت مع رجلين في الأربعينيات، اتضح الهابناه، «تشوروسو» و «تشورو» و وكانا يبدوان بالنسبة إليَّ في غاية بأره بملابسهما الأنيقة المفصّلة حسب الطلب وساعتيهما اليابانيتين، وبثل أبيهما، كانا يعملان في تجارة الدقيق والأرز وسلع رئيسة أخرى، مع كوريا الشمانية، وهذا هو الجزء الشرعي من عملهم، إذ كانوا أيضًا بعرون في أشياء تحت الحظر، كالفضة وما إلى ذلك.

أن المشوروسوا الشتري العملات اليابانية القديمة التي كانت مستحدمة في الحقية الاستعمارية وأبيعها إلى جامع ياباني، لا يكتفي منها.. وهذا يناسبني! الم

وقلوا إنهم يتاجرون بعيدًا عند أعلى النهر، حيث يكون النهر ضيقًا، ومن حس حطهم، كان الشقيق الأصغر «تشورو» يعمل في الخدمة لفية، وما رال بعض أصدقائه يخدمون فيها: لدا كان يعلم كيفية عليم، الأمر الذي كان مفيدًا، اقترح الله أظل في مكان واحد، وهذا ما بعثُه تحديدًا، مكثتُ معه ومع شقيقه ووالده وأصدقائه الموثوفين.

ما منزل «تشوروسو» كأنه حنة، بكل ما هيه من أحهرة خهربائية، يجس من الأرز الأبيض ولحم الخنزير، وأصدقائه النحار الذين يرورونه مستمرار لبلعبوا الورق، كان الجميع يدحّبون «يقاعرون ويستمتعون وتتهم» وجميعهم كانوا ينادون بعصهم بـ «يا صاحب» أو «با صاح» أو بي رهيقي»، فعادت إلي ذكريات المدرسة الثانوبة الوسطى في البادن. كان من الواضح بالنسبة إلى أنهم يحترمون «تشوروسو»، ولأنتي ضيفه، دايما ما كانوا يعاملونني بنطف وتهديب بالعين، الأمر

الذي كان تغييرًا منعشًا بالنسبة إليَّ. كنتُ أشعر بالذنب حيال الاستمتاع بكل هذه الرفاهيات عندما أفكر بأسرتي في كوريا الشمالية، لكنني كنت أعلم أنني إذا أردت استغلال الفرصة لمساعدتهم، فعليَّ أن أستعيد قواي أولًا.

وبعد بضعة أيام، خطر لي فجأة أن أتصل بالصليب الأحمر في «طوكيو»، ومن حيث لا أدري، عادت إليّ ذكرى من أيام الثمانينيات عن رجل كان قد راسل الصليب الأحمر لمساعدته في التواصل مع أقارب مفقودين في اليابان، وبعد وقت قصير، تلقّى ردًّا، كان «استمارة طلب تعقّب»، كان الرجل سعيدًا جدًّا بتلقي الردّ، فحَمَله إلى كلّ من يهتم بأمره. ألقيتُ نظرة على العنوان ورقم الهاتف عندما أراني الرسالة، وقلت لنفسي: مهلاً! ربما يكون هذا مفيدًا؛ لذا حفظت المعلومات في الحال، ويمكنني تذكرها إلى اليوم.

سألت «تشوروسوه عن كيفية إجراء مكالمة دولية، ثم حملت السماعة وأدخلت الرقم، وحبست أنفاسي وأنا أستمع إلى الطنين والنقرات التي لا نهاية لها.

لكن نجحت، أجابني صوت امرأة.

لم أفهم منها كلمة، أنا ياباني بالطبع، لكن انقضى وقت طويل جدًا، وصدئت لغتي اليابانية.

«أنا ياباني، أنا في الصين، أذهب إلى كوريا الشمالية مع أسرتي، قبل وقت طويل، 1960، أنا أعود إلى اليابان، أتوسل إليك».. كان هذا كل ما تمكنت من قوله بلُغةٍ ركيكة.

وكررتُ ما قلته مرارًا.

لم نفهم المرأة ما كنتُ أقوله، لكنّ حِسّها السليم جعلها توصلني بقهم آخر

سألني رجل: «كيف يمكنني مساعدتك؟».

وفجأة صرت قادرًا على الحديث بمزيد من الوضوح، وبدأت أتذكر لغثى اليابانية.

السمي إيشيكاوا، وأنا مواطن ياباني، من أب كوري وأمَّ يابانية، غُدع أبي ليصطحبنا إلى كوريا الشمالية في عام 1960، ووُعِدنا بحياة بالم المتحدة على علم بكل شيء، وجمعيتكم الخيرية كانت سعيدة ي الإشراف على أكبر هجرة جماعية في تاريخ العالم، ألديكم أدنى فكرة عما فعلنموه بنا؟ أودعتمونا في الجحيم، هربتُ أخيرًا دون الآخرين، أنا الأول، بقيَّتنا إما ماتوا أو يحتضرون، سيكون لطفًا منكم أن تساعدوني في العودة إلى الديار»، تدفق الكلام مني دون انقطاع.

صَمْت.

قلت لنفسي: لقد تماديتُ كثيرًا.

ثم تحدث، وبدا مرتبكًا.

قال: «حسنًا، انتظر لحظة من فضلك، سأتصل بالصليب الأحمر في الصينء،

ردُّ لطيف، لكنه يبعث على السخرية.

◄ على فقدتُ صوابك؟ إن فعلتُ هذا، فأنا في عداد الموتي.

لفَتُّ نظره إلى أنَّ السلطات الصينية لن تكترث بما يقوله الصليب الأحمر، سيُعيدونني ببساطة، وسوف أعدم.

أخيرًا تفهُّم دِقَّة الوضع الذي كنت فيه.

وقال: وحسنًا، سأتصل بوزارة الخارجية على القوره. أعطيتُه رقم وتشوروسوه وشكرته، وأغلقت الخط.

علي أن أقِرُ بفضل الرجل، فقد تحرك سريعًا جدًا: إذ تلقيت مكالمة. بعد ربع ساعة، عن شخص في قسم شمال شرق آسيا التابع لمكتب الوزارة الخاص بآسيا، وطلب مني الاتصال بالصفارة اليابانية في وبكين، كانوا يتوقعون أن يسمعوا مني.

أدخلتُ الرقم الذي أعطاني إياه ورويتُ قصتي مجددًا.

وأنت ياباني الجنسية بالتأكيد؟

أعطيته تفاصيلي: مكان الميلاد، وتاريخ الميلاد. والتاريخ المحدد لنقلنا إلى كوريا الشمالية، لا بد من وجود سجلات.

قال إنه سيُبَلِّغ الأمر لرئيسه ويعاود الاتصال بي. Telegram @mbooks

Telegram.@mbooks90 بدا أن الجميع كانت تراودهم الشكوك في أنني ياباني فعلًا، وعندما أعود بذاكرتي الآن، لا يمكنني أن ألومهم، غرغم كل شيء، كنت أتحدث اللغة بالكاد، لكنني كنت مرعوبًا من أن أعنقل في أي لحظة، وكنت أشعر بأن الوقت ينفد من أسرتي في كوريا الشمالية، لم يكن لدي وقت للتعاطف، كنت بحاجة إلى مَن يساعدني في العودة إلى اليابان، حتى أبدأ العمل على مساعدة أطفالي.

كان التنصُّت على الهواتف، بحسب «تشورو»، هو الأمر العادي والمُتوقَّع بالقرب من الحدود، لم يكن مجرد مسألة مراقبة الهاربين، كان هناك جواسيس روس وكوريون جنوبيون في المنطقة أيضًا، يبحثون عن المُتشَقَّين أو يحققون في أنشطة مُرببة، فقررت أنه من الأفضل أن أشدٌ رحالي مجددًا.

طلان أننقل من منزل إلى منزل خلال الأيام القليلة التالية، وظللت طلان أننقل من منزل إلى القنصلية اليابانية في «شينيانغ».

نالوا: «كُن صبورًا، إننا نحاول أن نتواصل مع أقربائك في اليابان»، ين مبري كاد أن ينفد.

وأخيرًا نجموا.

نالوالي: «تهانينا، لديك التصريح».

بطول هذا الوقت، انقضى أسبوع على وجودي في الصين، كنت أيش في رعب من أنني سأعتقل في أيّ لحظة، فاتصلت بالقنصلية في شينانغ، وقلت لهم إنني لم أعد قادرًا على الانتظار.

. حسنًا، إذن عليك المجيء إلى شينيانغ، اطلب من الذين يؤونك أن يصطحبوك، وسندفع لهم مقابل أتعابهم، هناك برج إرسال تلفزيوني ضخم أمامه جسر، كُن هناك بعد غد عند الخامسة عديًا، فهمتُ ما قلتُه لك؟

عصرًا، فهمتُ ما قلتُه لك؟ Telegram:@mbooks90 أغلقتُ الخط والتفتُ إلى الأُخوين،

قلن: ولقد قمتم بأكثر من واجبكم، لكنني بحاجة إلى معروف أخير.. كبر، أبمكنكم إيصالي إلى شينيانغ؟ ستُغَطِّي القنصلية نفقاتكم».

لم بتردد «تشورو» لحظة، وسأل: «بالتأكيد، متى نغادر؟».

بذلتُ كلَّ ما بوسعي كي لا أجهش بالبكاء.

سألتُ: وماذا عن الآن؟ه،

ضحكنا جميعًا.

اتصل متشوروسوه بصديق لديه سيارة، وسأله إن كان بإمكانه إصالنا.

وافق.

كانت الخطة بأكملها مُعدَّة قبل غروب الشمس،

وكانت زوجة وتشوروه متلهفة للذهاب معنا. فكان مجموعنا خمسة

ذهبت لزيارة السيد «كيم» الكبير قبل مغادرتي، وعجزت عن شكره بما يكفي على كل ما فعله من أجلي، وانهمرت الدموع على وجهي وإنا أحاول التعبير عن شُكري، كنت أعرف أنني لن أراه مجددًا أبدًا، وأنني لن أتمكن أبدًا من ردٌ جميل عطفه وإنقاذه حياتي.

ثم ركبنا نحن الخمسة في السيارة وانطلقنا.

تبعد «شينيانغ» قرابة مئتين وخمسين ميلًا في خط مستقيم، وللوصول إليها بالسيارة، كان علينا عبور «تشانباي»، ويمكننا الوصول في يومين إذا سِرنا دون توقف، كانت الطرق الجبلية ضيقة ومتشابكة وتعجّ بنقاط التفتيش،

عندما لمح سائقنا أول نقطة تفتيش أمامنا، حذَّرني، فانخفضتُ في المقعد الخلفي وغطيتُ نفسي بحصيرة، وقلبي يُرعد في صدري، وقعد الأخوان «كيم» فوقى.

سمعت صوت الجندي، وبدا شابًا وودودًا.

- إلى أين يا رفاق؟
- في زيارة إلى بعض الأقارب في «شيئيانغ».

وكان هذا كلّ ما في الأمر، لم يسألنا الجندي حتى عن تصريح سفرنا. تركنا نمر فحسب.

> قال «تشوروسو» وهو يزيح الحصيرة: «نحن بمأمن». فاعتدلتُ جالسًا.

ومن عبورنا نقطة التفتيش بهذه السهولة، فلم يسعني سوى المشت من عبورنا

المنال: المؤلاء الجنود، كما ترى وحيدون تمامًا في نقاط التفتيش المؤلاء الجنود، كما ترى النائية، لساعات طويلة؛ لذا يحبُّون أيَّ تواصل المنعزلة هذه في الأماكن النائية، لساعات طويلة؛ لذا يحبُّون أيَّ تواصل

بع سنة وثلاثين عامًا من العيش في كوريا الشمالية، أحسستُ كما بعد سنة وثلاثين عامًا من العيش في كوريا الشمالية، أحستُ كما وأنني في كوكب آخر.

سرنا يومين دون توقف تعريبًا، كنا نقف عند دورات المياه ونغفو من وفت لآخر، ولا شيء. وصلنا إلى «شينيانغ» قرابة الساعة الثانية بعد من وفت لآخر، ولا شيء وصلنا إلى «شينيانغ» قرابة الساعة الثانية بعد النهر من يوم الموعد، لم أرّ سيارات كثيرة بهذا العدد من قبل قطّ، كانت النهر من يوم الموعد، لم أرّ سيارات كثيرة بهذا العدد من قبل قطّ، كانت يكلّ مكان، بأعداد هائلة، لكنني كنت أستوعب ما حولي بالكاد، كنتُ يكلّ مكان، بأعداد هائلة، لكنني أيضًا في غاية التوتر؛ إذ توجد قنصلية مأخوذ الأنفاس بالإثارة، لكنني أيضًا في غاية التوتر؛ إذ توجد قنصلية كورية شمالية في المدينة، وتوجد الشرطة السرية.

وجدنا برج التلفاز الضخم، كان الرجل الذي تحدث معي محقًا، لا بمكن إخطاؤه.

ركُّنَّا السيارة على مقربة، وترجَّلنا، ومشينا ناحية الجسر، وكان الأخوان «كيم» يسيران إلى جانبَيَّ،

وعندما بلغنا الجسر، اتصلتُ بالقنصلية من هاتف عامٌ، كانت يدِي ترتعش وأنا أضع السماعة على أذنِي.

«مرحبا؟ أنا إيشيكاوا، أنا عند الجسر، لا أعتقد أنَّ بإمكاني الانتظار حتى الموعد الذي اتفقنا عليه، ثمة خطورة كبيرة، ربما يجري التنصُت على هذه المكالمة، لا أريد أن يُلقى القبض عليَّ، أرجو أن تأتوا وتصطحبوني الآن».

وضعتُ السماعة دون أن أنتظر ردًّا،

قال «تشوروسو» لي: «لا تقلق! إذا حدث شيء، فسأخاطر بحياتي لحمايتك».. لن أنسى ما حييت جملتُه تلك.

أومأتُ، لكنني كنت عاجزًا عن التركيز حقًا، شعرت كما لو أنَّ كلُّ مَن حولي يُمثِّل تهديدًا، كنت موقنًا بأنني سيُلقى القبض علي في أيً لحظة، كان قلبي يخفق بشدة، وجفَّ حلقي، وصارت راحتا يديِّ دَبِقتين بالعرق،

فجأة نادى أحدهم اسمي من خلفي.

«هل أنت السيد إيشيكاوا؟»

التفتُّ لأجد رَجُلين يرتديان بدلتين غاليتين يقفان أمامي.

قال أحدهم: «اسمي كوساكاري، وأنا من القنصلية، لقد مررتَ بمحنة فظيعة.. أُحيِّيك، فلنذهب!».

أخذَ بذراعي وبدأنا نسير مبتعدين.

شكر الرجل الثاني «تشورو» و«تشوروسو» وسلَّمهما أوراقًا نقدية، بدت لي رِزْمة كبيرة، فشعرت بالارتياح لتعويضهما على كل ما فعلاه من أجلي.

بدا الأخوان مذهولَين.

قلت: «لا أدري ما أقوله، لساني يعجز عن الشكر، اعتنيا بنفسيكما!». هتفا: «اعتنِ بنفسك! صَحِبَتك السلامة!»، ثم لوَّحا لي، وكان فراقنا، ولم أَرَهما أَبِدًا.

سِرنا إلى القنصلية التي لم تكن تبعد سوى قرابة خمسمئة ياردة، ومحاطة بأربعة جدران عالية، وهو أمر يناسبني تمامًا، كان هناك رجال شرطة صينيون يقفون أمام البوابة، مدججين بالسلاح، دخلنا اله القنصلية عند الثانية والنصف بعد الظهر، لن أقدر على التعبير عن القنصلية عند الثانية والنصف بعد الظهر، لن أقدر على التعبير عن المعرى بوجودي هناك، كانت مشاعري قوية ومختلطة، وحتى في خِضَم المعردي بوجودي المضطرب، برقت في ذهني الصور المؤرقة البداء وعدم تصديقي المضطرب، برقت في ذهني الصور المؤرقة البداء وعدم وعدم توقف أبدًا. وأهالي، وأحسست بوخزة حادة من الشعور بالذنب، ولم تتوقف أبدًا. والمفالي، وأحسست بوخزة حادة من الشعور بالذنب، ولم تتوقف أبدًا. والمفالي، وأحسست بوخزة حادة من الشعور بالذنب، ولم تتوقف أبدًا. وأفالين المنتني ما زلت أرى كوابيس القبض علي واعتقالي، وغالبًا النبي بمأمن، لكنني ما زلت أرى كوابيس القبض علي واعتقالي، وغالبًا المؤرث أستيقظ مبلّلًا بعرق بارد، وقلبي يخفق بشدة، وكنت أجفل لأدنى ما كنت أستيقظ مبلّلًا بعرق بارد، وقلبي يخفق بشدة، وكنت أجفل لأدنى

ماسب محرد صرير الباب أو حفيف فروع الأشجار بالخارج، كنت مون، بمجرد صرير الباب أو حفيف فروع الأشجار بالخارج، كنت مفتنف بأن الشرطة السرية ستأتي وتأخذني.

ألجفت الدهشة القنصل عندما وقعت عيناه عليَّ أول مرة، وقال: «يا الجفت الدهشة القنصل عندما وقعت عيناه عليَّ أول مرة، وقال: «يا الهي! كيف أمكنهم أن يعاملوك هكذا؟ تبدو كهيكل عظمي»، وأجهشت الهي! كيف أمكنهم أخبرتُها بأن الناس حقًا يتضورون جوعًا حتى زوجته بالبكاء عندما أخبرتُها بأن الناس حقًا يتضورون جوعًا حتى الإشاعات، لكن الواقع كان أسوأ من تصورها.

لم أر شيئًا مثل الغرفة التي أفردت لي، كان بها سريران مريحان وحمام ملحق، بدت كأنها من عالم ما كنت لأحلم به أبدًا وأنا أجاهد لإيقاء على حياتي، وبمرور الأيام، صارت مشاعري في غاية لاضطراب، كنت لا أزال في حالة صدمة وعدم تصديق أنني نجوت فعلًا، معتقدًا أنَّ الغرفة ليست سوى خدعة متقنة، وفي حين غمرني الشعور بالارتياح لأنني نجحت في الوصول إلى هذا الحد، كان التفكير بأطفائي يقِضُ مضجعي، لم أكن أسمع في ذهني إلا مناداتهم لي، أبي أبي أبي كان من الصعب أن أستمتع بالطعام الذي يوضع بين يدي عندما أتخيلهم يتضورون جوعًا في كوريا الشمائية، تذكرت كيف كنت أغني مع أطفائي قبل أن يخلوا إلى فراشهم كل ليلة، ثلاثتهم كانوا مغنين برعين جدًا، كان يمكنهم التعبير عن أنفسهم عندما يُغنون، وعندما ينشدون أغنية

حزينة، يغنونها بدموعهم، لا يمكنني تذكر هذا -حتى الآن- دون أن تفيض عيناي بالدمع،

انقضى أسبوعان، كنتُ أُحُلِق ذات صباح والحظت أنَّ وجهي أخذ يستعيد لونه، وأنَّ خدَّيَّ لم يعودا مجوّفين كما في السابق، كنت مُلْزمًا بالبقاء في غرفتي من أجل الأمان، ولم يُخبَر الطهاة والخُدَم بوجودي؛ إذ ربما يكون بعضهم عملاء متخفين، كما كان هناك احتمال أن يُبلِّغ أحدٌ ما عني السلطات، ولكلّ ذلك، اتفقنا على شفرة احترازية؛ أفتحُ الباب بعد سماعي خمس طرقات، عدا عن ذلك، أدعه موصدًا، الموظفون اليابانيون وحدهم هم الذين كانوا يعرفون أيّ شيء عني.

كانت الوجبات التي تُعدُّ لي يُزعم أنها تخص زوجة القنصل، وكانت تتظاهر بتناولها لكنها تجلبها سرًا إليَّ، الله يعلم ما كانت تتناولُه. ما زلت أتذكر تلك الوجبات، كانت من عالم آخر، على الأقل بالنسبة إليَّ، كانت مليئة بالخضراوات واللحم، إذا قُدُمتُ لي أشياء كهذه في كوريا الشمالية، لالتهمتها بشراهة، لكنني كنت من القلق بحيث فقدتُ شهيتي.

كنت أرى رجالًا يعبرون الشارع عندما أنظر خارج النافذة في أثناء النهار، ويقع في نفسي أنهم من الشرطة السرية ويراقبون نافذتي، ثم سمعت وقع أقدام على السقف، أو ظننت أنني سمعتها، فأخبرت «كوساكاري» عنها، فقام بصيانة بعض الأجزاء على السقف، التي زعم أنها لم تكن ثابتة، وخُيِّل لي أنه فعل هذا لطمأنتي فحسب.

حاول القنصل تهدئة أعصابي قائلًا: «لا تقلق! سوف نعيدك إلى اليابان»، وكان يصطحبني أحيانًا إلى قاعة الترفيه بعد الساعة التاسعة مساءً بعدما يغادر جميع العاملين، يوجد في القاعة جهاز كارايوكي وتلفاز، وأحضر لوح تشوغي قائلًا بمرح: «هيا! لنلعب جولة!».

لم أكن أعلم ما يفعله القنصل وطاقمه في أثناء النهار؛ لأنني لم أكن لم أكن المام ما يفعله القنصل وطاقمه في أثناء النهار؛ لأنني لم أكن مغادرة غرفتي، لكنني كنت متأكدًا تقريبًا من أنهم يتفاوضون الرئاعلى مغادرة علم بطريقة ما، ثم جاء السكرتير الأول من السفارة ما المكومة الصينية بطريقة ما، ثم جاء السكرتير الأول من السفارة البابنية بسلمين، فأيقنت أنني كنت محقًا.

البابنية ب "بين كان السكرتير الأول من النوع المثقف، وطرحتُ عليه بضعة أسئلة كان السكرتير الأول من النوع يربنني بسوى: «لا تقلق، كن قويًا!»، النهم وضعي فهمًا أفضل، لكنه لم يجبنني بسوى: «لا تقلق، كن قويًا!»،

وم بسب والم الله على عرفتي وأعطاني وتبقة، وقال: «اقرأ هذه وبعد بضعة أيام، جاء إلى عرفتي وأعطاني وتبقة، وقال: «اقرأ هذه في وأعها من فضلك».

من وزارة الخارجية. «لا تقل لأي أحد، كانت الوثيقة رسالة شخصية من وزارة الخارجية. «لا تقل لأي أحد، بعض الوقت، أنَّ الحكومة اليابانية ساعدت في إنقاذك». فوقَعتُها على الفور، بطبيعة الحال، وعاد السكرتير الأول إلى «بكين».

كُنتُ قلقًا من أنَّ شيئًا يجري وراء ظهري؛ أعني أنني بالصبع كنت سعبًا بشأن جواز السفر، فقد كان تطوُّرًا واعدًا، لكن لماذا تستغرق المعاوضات وقتًا طويلًا؟ كنت موقتًا أنهم اصطدموا بصعوباتٍ من نوعٍ

وفي تلك الليلة، عندما كنت ألعب الشوغي مع القنصل، سألته عن الأمر، كار قد أعطاني كونياكًا فرنسيًّا غاليًا؛ لذا ربما تجرَّأت معه في العديث محافيًا آداب اللياقة، لكنني كنت قلقًا على أسرتي، وأزداد توتُّرًا بشأن المستقبل.

قلتُ: «متى يمكنني العودة إلى اليابان؟ أعتقد أنَّ الوقت قد حان الإخباري».

أوقفَ يده في منتصف حركة وتطلُّع إليّ.

لم تُصدر الحكومة الصينية تأشيرة خروج لك بعد، لكنها مجرد شكليات، ظلّ السكرتير الأول يبذل كل ما بوسعه لترتيب كل شيء، وأنا متأكد أنك ستعبر إلى برّ الأمان قريبًا؛ لذا لا تقلق! استرخ!

وَفقًا للحكومة اليابانية، فإن الذين انتقلوا إلى كوريا الشمالية ولم يُغيِّروا جنسيتهم فإنهم لا يزالون مواطنين يابانيين، لكن حكومة كوريا الشمالية لها رأي آخر، فوَفقًا لها، جميع اليابانيين الذين هاجروا إلى كوريا الشمالية أصبحوا الآن، بحكم الواقع، كوريين شماليين، ومن وجهة نظرهم، فقد اختطفتني الحكومة اليابانية عمليًا.

وكان السكرتير الأول ووزارة الخارجية يُصِرّون على أنني «ماساجي إيشيكاوا»، مواطن ياباني؛ لذا ليس لدى الحكومة الصينية سبب لترحيلي إلى كوريا الشمالية، كان هذا هو محور المفاوضات، والنقطة الرئيسة هي ضمان حفظ ماء وجه الحكومة الصينية.

بعد بضعة أيام، كنت أتحدث مع القنصل عندما وردت مكالمة من السكرتير الأول في «بكين»، وفي أثناء التقاطه السماعة، رفع صوت المذياع ثم أوضح لي قائلًا: «هكذا لن يتمكنوا من التنصُّت».

وبعد المكالمة، استدعى جميع المعنيين بقضيتي.

سوف تغض الحكومة الصينية الطّرف عن هذه الحالة، ولأكون دقيقًا، قرروا أنه لا يهم إذا غادر السيد «إيشيكاوا» الصين دون إذن منهم، هذا هو الخبر الجيد، والخبر السيئ هو، إذا قبضت

عليه الشرطة السرية أو جاسوس، فلن تتمكن الحكومة الصينية من مساعدته إطلاقًا.

فد السكرتير الأول أنَّ الأمر سيتطلب بضعة أيام إضافية لتهيئة المؤهوضع اللمسات النهائية على المفاوضات، وقال إنه سوف يتصل المؤهوضع المعون أربعة أيام، وعندئذ ينبغي لنا الانتقال إلى مدينة بالمجدد الذي سوف أستقل الطائرة منها.

مأوافق على ذلك، وقلتُ: «إذا تحركنا إلى داليان بعد اتصال السكرتير وقبض عليً، فسنفشل المسألة برُمَّتها، أعتقد أنه ينبغي لنا التحرك إلى وانتظار اتصاله بنا هناك»، كنت أظن أنَّ الحكومة الصينية تنصت على خط الهاتف في القنصلية، وإذا تحركنا، فستكون الشرطة بانتظارنا في أيَّ وقت نتفق عليه عبر الهاتف.

غِكْرِ القَنْصِلِ بِمَا قَلْتُهِ، وأَلْقَى نَظْرَةَ سَرِيعَةَ عَلَى سَاعِتَهِ، وقَالَ: «حَسَنًا، Telegram @mbooks90 يَفْعَلُهَا، فَلْنَغَادِرِ الْآنَ!» كَانَ قَدْ حَانَ مِنْتَصِفَ اللَّيْلِ.

انشغل طاقم الموظفين بالاستعدادات.

أعطتني زوجة القنصل إحدى بدلات القنصل لأرتديها، كانت ثيابًا جميلة، لم أرتديها، كانت ثيابًا بميلة، لم أرتد شيئًا مثلها من قبل نط، وصدقًا، لم أر شيئًا مثلها من قبل نط، ورغم أنني أدركت لاحقًا أنها لم تكن أنيقة على نحو خاص أو من خرصيحات الموضة، بدت -بالنسبة إلي - كارتداء ملابس أمير، وبعدما غيرت ملابسي، أعطتني حقيبة بها بعض الملابس الأخرى.

هبطنا السلالم ونحن نُشابك ذراعينا، كان بعض رجال الشرطة بحرسون المبنى؛ لذا تظاهرت بأنني زوجها، تمشينا في الحديقة ببطء، كروجين عاشقين يستمتعان بهواء الليل، وكانت تدندن بأغنية لا أعرفها،

تساءلت في بادئ الأمر عن سبب غنائها، ثم أدركت أنَّ السبب هو صمتي المتواصل.

لم تكُن في السماء نجمة واحدة، وكان الليل في غاية السكون، لم أستمتع باللحظة؛ لاستغراقي في التفكير بما نحن مقبلون عليه، لكنني كنت أرى المغزى فيما تفعله، وقد كانت بارعة، فهي لم تخدع رجال الشرطة فحسب، بل كانت أيضًا تحاول تهدئتي.

تأثرتُ حتى طفرت الدموع من عينيً.

وفي دورتنا الثانية حول الحديقة، قالت فجأة: «يا سيد إيشيكاوا، اذهب إلى المرأب من فضلك، أتمنى لك رحلة آمنة!».

لم أفهم ما كانت تتحدث عنه، لكنني سمعت صوت محركات سيارات، ثم لاحظت أنَّ إحدى زوايا الأرضية محفورة، نزلتُ في الحفرة فوجدت نفقًا كبيرًا بما يكفي لأزحف عبره، لم أكن بحاجة إلى كتيِّب إرشادات، جثوتُ على ركبتيَّ وزحفت للأمام بأسرع ما يمكنني.

كانت هناك ثلاث سيارات تنتظر عندما خرجت من النفق، وسمعت صوتًا مكتومًا ينادى من إحداها.. صوتًا القنصل.

ركضتُ إلى السيارة وقفزت إلى داخلها.

أغلق أحدهم الباب، وانطلقتِ السيارات الثلاث مسرعة في موكب.

كانت توجد عدة نقاط تفتيش على الطريق إلى «داليان»، وكنت عند اقترابنا من كل نقطة، أتمدد على المقعد الخلفي، مختبئًا تحت بطانية، كنا نأكل في السيارة، ولا نتوقف إلا لدخول دورة المياه، كانت وجهتنا هي أحد مراكز اتصال الشركات اليابانية التي تعمل في «داليان»، وستوفّر لي الغطاء المناسب، بما أنّ الحكومة اليابانية هي التي تديرها، وأخيرًا وصلنا إلى مكتب مركز الاتصال في مساء اليوم التالي.

لا أستطيع أن أعبر عن مدى ارتياحي بالهرب من «شينيانغ» دون أن المنطيع علي المناه علي المناه ال

إذا المطارة إلى خريطة، فسترى أنَّ «داليان» تقع غرب كوريا الشمالية، إذا اليابان فهي الشرق بالطبع، إذن، بدقيق العبارة، كانت بؤرة الحميم في أفسدتُ حياتي لا ترال تقف منحد مين المكان الذي وجدتُ فيه مسي وبين المكان الذي أردتُ أن أكون فيه.

لكن رعم هدا، والمبين، منه ويمكن للمره على الأقل أن ينظر إلى ممر حيث يمكنه رؤيه الأمو الشاسع والسعن للحر بحو الحرية. دعوما بر حمر في ركزت على المجر، لما أللي وحدتني حبيشا في مكت بركر دلتصل عمر عه في من را كالما الحكومة الصيلية ستسمح لي معادرة وأعدتني مك وحدد المحر بشرين بالأعل وجعلتني أنتسم، والهان وراء الأفق فحسب.

كل يسلى درد حشر مع مانعال المدعمة الدا مكتب حميعها عي يرفة وحدة. الأمال، وكان من المدعمة وحدة، الأمال، وكان من الحبال أحصى بالرفشة، فكنت التحدث على أحلامي المستقطبة وخططي المساعدة أسرتي في الهرب.

يه حصول على عمل عمل أن لا بهمني أن عمل هو، سأعمل أي شيء وساكة على أي عمل أي عمل أي عمل أي عمل أي المال شيء وساكة على العمل، لا من سوى الأحار معمل ألمال لاحصر أسرتي إلى البيسان، هذا هم الله المناه وحياي هما، هذا ما حاصرت محياتي ألى سبيله.

وكان الجميع يومثون ويهمهمون بدعمهم.

وصر الشكرتين لأمان في اليمام التأان المفوجان بشدة عندما وحديا في الليان، تاغفان، عمل حامد اعلى القصية، أمجانا الانصالات بالشفارة في دبكين»، ومتحققًا من هذا التفصيل، ومشددًا على أهمية تلك النقطة، كان شديد التدقيق في تفاصيل خطته، ورأيت أنه متفانٍ في مهمته، وأحسست بالأمان التامّ بين بديه.

كان شديد الحماسة عندما جاء لرؤيتي في الصباح التالي، وقال إننا ينبغي أن نلتقط صورة معًا.

قال: «رُبَّب كلِّ شيء أخيرًا، لكن عليَّ أن أحذُّرك، إذا وقع مكروة ما، فنحن لم نسمع بك قط، يؤسفني أنَّ هذا ما هو عليه الوضع، لكن لا تقلق، لن يقع أيَّ مكروه، وتأكدتُ من هذا تعامًا، لنستعدَّ لمغادرة هذا المكان، لكن أولًا دعنا نلتقط صورة نستعيد بها الذكريات لبقية حياتنا».

ما زالت الصورة لديّ حتى اليوم، أبدو فيها متوَتَّرًا للغاية، لكن عينيًّ تشعًان، وتلتمعان بأحلامي المستقبلية.

جاء القنصل إليَّ بُعَيد الغداء وصافحني.

سألني: «هل أنت مستعد؟» فأومأت، محاولًا ألَّا أبدي مدى توتري. وسلَّمني شيئًا قائلًا: «استخدم هذه عندما تصل إلى اليابان، ربما تحتاج إليها».

كانت خمسمئة دولار.

لم أحمل بيدي مثل هذا المبلغ من قبل قط، وكنت مصعوفًا بسخائه، لكن لم يكن ثمة وقت للتعبير المطوَّل عن الشُّكر، فأقحمتها في جيب سترتي وغمغمت بشكر سريع.

حسنًا، جميعكم.. لقد حان الوقت، لنذهب!

ركبنا على عجل في السيارات التي تنتظرنا، فحملتنا على جناح السرعة إلى المطار الذي يبعد قرابة خمس عشرة دقيقة.

رأبت مبنى المطار أمامنا، ولم أرَ أيّ طائرات، لكنني سمعت طائرة

·bus

المسلم المهمت بفتح باب السيارة، أمسك السكرتير الأول بيدي، وقال: وعندما هممت بفتح باب السيارة، أمسك السكرتير الأول بيدي، وقال: وعندما همن الآن فصاعدًا، اتفقنا؟ اتبعني فحسب، لا تقل أي كلمة!.

أحاط بي طاقم القنصل حالما ترجّلت عن السيارة واقتادوني سريمًا الماط بي طاقم القنصل حالما ترجّلت عن السيارة واقتادوني سريمًا إلى ردهة لمطار، كان الجميع يتحركون بحذر وسرعة بالغين، دون المنه:

وكان الناس القادمون من الاتجاه المعاكس يتوقفون ليحدقوا إلينا، وكان الناكنا مجموعة غريبة المظهر.

لم نقف عند فحص الجوازات، وسِرْنا مباشرةً إلى بوابة المغادرة، لا بزار معي الجواز الذي لم أضطر إلى إظهاره، كان مختومًا من القنصل في «شينيانغ»، على أن يُستخدم بحلول 11 من نوفمبر، استخدامًا واحدًا، ويُظهِر أنني وصلت إلى «نارينا»، وثمة ختم يثبت هذا. لكن من أن سافرت؟ كان هذا لغزًا. صفحة بيضاء.

غمرتني موجة ارتباحٍ ما إن بلغت البوابة، وكان من الواضح أنَّ الأمر برُّمَته مدبَّرًا، وتتحكم به الحكومة الصينية، سأذهب في حال سبيلي قريبًا.

خرجنا إلى مدرج الطائرات، كان الطقس غائمًا وباردًا، ورأيت أمامي طائرة كبيرة ذات جناحين فضَّيّين.

صعدتُ السُّلَّم مع السكرتير الأول، وعندما بلغتُ الباب، ظهرتْ أمامي امرأتان؛ مضيفتا طيران، بابتسامتين واسعتين.

- مرحبًا بعودتك!

نظرتُ بداخل الطائرة، ما من أحد على متنها، كانت مستأجرة لنا نحن فقط.

التَّفَتُّ لأقول وداعًا، فرأيت القنصل وطاقمه يُلوَّحون لي حميعًا، حاولت أن أقول: وشكرًا لكم، لكن غص حلقي لأنني كنت أبكي كطفل.

اصطحبتني المضيفتان إلى مقعدي، ووضعتُ حزام الأمان، وبدأت المحركات تقدر، وتحركت الطائرة، وسرعان ما كنا على المدرج بأقصى سرعة، وغاصت معدتي مع إقلاع الطائرة.

كنا في مساء 15 من أكتوبر 1996، حطت الطائرة في مطار وطوكيوه بعد وقت قصير.. عدت إلى اليابان.

استغرقتُ سنة وثنائين عامًا لأعود إلى الديار، لكنني معلتُها أخيرًا.

خاتمة

هأنذا، وُلِدتُ مجددًا، مجددًا، لكن كيف كان شعوري؟ تكتنفني مفاعر معقدة، لم أكد أصد منظر وطني الأم وأنا أنظر خارج النافذة في أثناء هبوط الطائرة، بدت كل الأضواء التي تتلالا بالأسفل كأنها جواهر، كنت منتشبًا بعودتي أخيرًا، وبوضع جحيم كوريا الشمالية خلف طهري، ويحصولي على فرصة لبناء مستقبل من تصميمي الخاص، مأنمكن أخيرًا من فعل شيء لأسرتي، بعد سنوات طويلة من العجز والقنود. أمد تني تلك الأضواء المتلالئة بدفعة من الأمن، سأفعل كل ما مبنطبه إخراج أسرتي من كوريا الشمالية، كان صعبًا علي التفكير به بمرون به، لكنني حَمَلت نفسي على تخيل اللحظة التي نجتمع فيها جميعنا في اليابان،

لكن أحلامي ستذهب أدراج الرياح مرة أخرى، والآن؟ الآن ما عدت أملك سوى شيء واحد؛ مِلكيَّتي الحقيقية الوحيدة، يؤسفني القول إنها المرارة تجاه قسوة الحياة،

عدما عدت إلى اليابان، رتبت وزارة الخارجية لإقامتي في الأيام الفليلة الأولى بفنادق مختلفة في «طوكيو». بقي السكرتير الأول معي بومين، لكنه سرعان ما اضْطُرُ إلى العودة إلى عمله في «بكين»، وحل مطه رجلٌ يُدعى «ماتسوي»، و«ماتسوي» هذا –الذي عمل نائب مدير مكت شؤون آسيا وأوقيانوسيا، قسم شمال شرق آسيا– ساعدني في الانتقل إلى شقة تُؤجَّر أسبوعيًّ، ثم ذهب، وغدوتُ وحيدًا، وحيدًا تمامًا.

جاء «ماتسوي» لزيارتي ذات يوم، وسألني عن الوضع الغذائي في كوريا الشمالية، لكنه لم يسألني أيّ سؤال عن أيّ من الآخرين ممن يُسمّون بالعائدين، ولم يسألني عن أسْرتي، التي كانت أهم ما أريد الحديث عنه، لم أهرب من كوريا لأنفذ بجلدي فحسب، كان الهدف كله هو إخراج أسْرتي، وإذا لم يتمكنوا من الخروج، ففي رأيي أن كل جهودي كانت إهدارًا للوقت.

أرسل مماتسوي، إلى «بكين» ليحلّ محل السكرتير الأول، ثم غَيْن لي مسؤول جديد، اصطحبني إلى مكتب البلدية المحلي لمساعدتي في الحصول على بطاقة إقامتي وما إلى ذلك، وبعدها اصطحبني إلى مؤسسة. قال لي: «ستعيش هنا من الآن فصاعدًا».

كان مركز إعادة تأهيل خاضع لوزارة الصحة والعمل والرعاية، ملي، بمدمني الكحول والمرضى الدين أقعدهم مرضهم عن كسب معيشتهم، كان اسمه «هاماكاوا»، يقع في محلية «شيناعوا» بـ «طوكيو»، يا له من مكان! كنت محبطًا، وهذا أخف تعبير، لمادا كنت أعامل كأنني مريض؟ كنا أربعة محشورين في غرفة صغيرة جدًا لا تفصلنا سوى ستان، مكان!

أربعة محشورين في غرفة صغيرة جدًا لا تفصلنا سوى ستائر، وكان هناك مدمنو مخدرات ترتجف أجسادهم وهم يعانون أعراض الانسحاب، وأناس تغطيهم الوشوم يتعتمون مع أنفسهم آناء الليل وأطراف النهار، لشعرت بالأسف حيالهم إذا كنت صاغي الذهن والقلب لمثل هذه الأشياء، لكنني لم أكن، كنت يائسًا من أجل الحصول على عمل وكسب عيشي، وغاضبًا من كلّ ما يقف في طريقي،

ثم حدث شيء لا يُصدُق، بعد بضعة أيام، بدأتُ وسائل الإعلام تتصل بي، أشخاص من الصحف، بما فيها «ماينبنشي»، واليوميوري»، و«التايمز اليابانية»... لم تكل لدي فكرة عن كبعية سماعهم علي، فالوحيدون الدين يُفترض أنهم يعرفون أنني عدتُ إلى اليابان كانوا بضعة أفراد في وزارة الخارجية، وتصعة أحرين في مكتب الهجرة.

أيرتُ واتصلت بالسكرتير الأول، بَيْد أنه لم يعد السكرتير الأول، فبحلول أيرتُ والمجاء اللها المجاول المجاول نيور . ذلك الوقت، كان يعمل في مكتب آسيا والمحيط الهادي.

صُدِم عندما أخبرتُه بما حدث.

توسل إليَّ قائلًا: «يا إلهي! إذا ذاع خبرٌ أنَّ الحكومة اليابانية ساعدتك، الله مع أي أحد». المن عملنا، أرجوك لا تتحدث مع أي أحد».

كنت أُفدًر كل ما فعلَتْه الوزارة من أجلي؛ لذا من البديهي أنني ما كنت المديث إلى الصحفيين، ثم قال عضو برلمان أنه يودُّ مقابلتي، كانت وبين صلة بِلَجِنةٍ برلمانية تعمل على فضيحة اختطاف متورَّطةٌ فيها وريا الشمالية عندما اختُطِف عدد من المواطنين اليابانيين وخُدُروا ورُخُلُوا إلى كوريا الشمالية.

قررتُ الذهاب لمقابلته وأنا يحدوني أمل أنه ربما يتمكن، بطريقةٍ ما، من ممارسة بعض نفوذه ليساعدني في إجلاء أُسْرتي.

كان صريحًا وودودًا، قال: «أردتُ مقابلتك فحسب، لقد مررتُ بمحنة قاسىة، أليس كذلك؟».

لشَّتُ أنتظره ليخبرني عما يريده مني، أو ليمنحني الفرصة للحديث عن أُسْرتي، لكن لم يكن لديه الكثير ليقوله باستثناء «حظًّا موفقًا!». غادرتُ بعد ثلاثين دقيقة.

وجدت فرصة لمفابلة عضو برلمان آخر، لكنه أيضًا تجاهل مناشدتي المساعدة، بل أسوأ، أحسست أنه لا يريد أن يتدخل بأي طريقةٍ كانت.

كانوا جميعهم متشابهين، وصُدِمت لإدراكي أنهم غير مهتمين بكوريا الشمالية، وما فتئتُ أحاول الجدل في سبيل أَسْرتي، لكنني لم أجد أُذُنًا مصفرة.

غادرتُ «هاماكاوا» بعد عام، والحقيقة هي أنني لم أنجح في إيجاد عمل لاثق. حاولت كلّ شيء، لكن الأمر لم يكن سهلًا، كرهت أنني أعيش على الإعانات الاجتماعية وأنني غير قادر على إرسال أي شيء لزوجتي وأطفالي، بَيْد أنني لم أكن المرشح المثالي لأيّ وظيفة، تخيّلوا كيف تبدو سيرتي الذاتية، الخلفية التعليمية.. هذه مسألة شائكة، الخبرة العملية، هل تريدون حقًا أن تعرفوا؟

وجدتُ ذات مرة عملًا في شركة تنظيف، وزعمتُ في سيرتي الذاتية أنني عدت من كوريا الجنوبية، عملًا بنصيحة السكرتير الأول، لكن المشكلة كانت أنَّ الناس يطرحون الكثير من الأسئلة، كيف كانت كوريا الجنوبية؟ كيف كان هذا؟ وكيف كان ذاك؟ لم أذهب إليها قط، فبالطبع ما كنت أقدر على الإجابة، وتدريجيًّا انتشرت إشاعة مفادها أنني جاسوس كوري شمالي، وإضطررتُ للمغادرة في نهاية المطاف.

ذهبتُ إلى عدة مقابلات عمل، لكتني فشلت في كل واحدة منها بسبب الاقتصاد السيئ وسِنْي وخلفيتي غير الواضحة، ومَن يدري ماذا أيضًا.

وإضافة إلى وضع عملي، كان عليّ تحمُّل مصدر حزن آخر، ذي طابع شخصي. تعقَّبتُ وزارة الخارجية أقارب أمي، لكن لم يرغب في رؤيتي أيّ أحد، اقترح أحد أقاربي أن نلتقي عندما هاتفتُه، لكن عندما اتصلتُ المرة الثانية، أخبرني بألًا أتصل به مجددًا، وأغلق الخط في وجهي، على الأرجح ظن أننى سأطلب منه مالًا.

إذن ما من عمل، وما من عائلة، وما من أصدقاء، بالطبع كنت سعيدًا بأنني لم أعد أتضور جوعًا، لكن كان من الصعب أن أكون وحيدًا تمامًا، وكان من الصعب أن أشعر بأن الحكومة تخلَّت عني وهي مدركة تمامًا؛ لأنها أرهبتنا تقريبًا لترغمنا على الهجرة قديمًا، ومع هذا، كانوا يزعمون -بما أننا غادرنا بمحض إرادتنا- أننا لا نستحق الدعم أو المساعدة.

كنتُ ذات يوم مُعدَمًا ويائسًا لدرجة أنني اتصلتُ بالسكرتير الأول. قلت: «أحتاج إلى مساعدتك». نال: «لا يمكنني مقابلتك، أنا مشغول جدًا، قدَّمت الحكومة اليابانية المحالية من أجلك، يجب أن تفهم هذا، وعليك إيجاد طريقة لتعيش المحالية وتُعيل نفسك»،

المدادة أن أقول له: «هل سبق لك أن بنيت كوخًا بيديك العاريتين؟ أردت بشدة أمك إلى جانب جبل؟ هل كافحت لتبقى على قيد الحياة بأكل الأعشاب؟ • .

الكن لا ذنب له في كل هذا، كان رجلًا طيّبًا في أعماقه، لكنه لم يفهم لكنه لم يفهم للسب.

عُقِدت أول قمة بين الكوريتين في «بيونغيانغ» في يونيو 2000، ونالت وسائل الإعلام اليابانية: إنها تُمثُّل «تقدُّمًا نحو المصالحة بين الشمال والجنوب»،

انسوا أمر الصواريخ،

انسوا انتهاكات حدود المياه الإقليمية. Telegram.@mbopks90

آه، ولقد أخطأنا بشآن «كيم جونغ إيل»، ربما لا يكون سينًا رغم كل شيء، حان الوقت لـــ «تعديل آرائنا».

رأبت صور «كيم جونغ إيل» وهو يتحدث مع «كيم داي جونغ»، رئيس كوريا الجنوبية، وكانت صورهم تُغْرَض على التلفاز طوال الوقت، لكنني لم أحتمل المشاهدة.

كنت أفكر كلَّ يوم بأُسْرَتي التي لا تزال تكافح من أجل النجاة في كوريا الشمالية، وأمثالهم ممن يُعدُّون ولا يُحصَون، الذين يتضورون جوعًا ببطء حتى الموت، وكنت أمضي لياليَّ مضَّجعًا مستيقظًا، تعذَّبني رُواهم.

كانت قبضة «كيم جونغ إيل» على السلطة ضعيفة في أحسن الأحوال، فبعد موت والده، غيَّر الأعضاءُ القياديون في الحزب ولاءهم وذهبوا إلى كربا الجنوبية، ثم اختفت أيضًا أبرز قيادات الجيش التي كانت مُقرَّبة

من «كيم إيل سونغ»، وكان «كيم جونغ إيل» يعلم أنَّ الحديث عن توحيد الكوريتين مجرد مسرحية هزلية، لم يكن يكترث بشيء سوى أنه أصبح على المسرح العالمي وبأنه أخيرًا صار يُؤخذ على محمل الجد.

«ربما تتعرض دولة للدمار، لكن جبالها وأنهارها ستبقى دائمًا»، لطالما عددتُ أنَّ هذه المقولة تعني: مهما حدث، فإن مشهد موطنكم لن يتغير أبدًا. لكنني كنت مخطئًا، أو بالأحرى، كانت المقولة خاطئة، فبعدما عدت إلى اليابان، زرت البلدة التي وُلدتُ فيها، كنت أتوق لاستعادة الإحساس بالانتماء، وظننت أنَّ مشهدًا كان مألوفًا ذات يوم سيُعيد إليَّ بعض الذكريات الجميلة من أيام طفولتي، ويساعدني في شفاء ألمي، بعض الذكريات الجميلة من أيام طفولتي، ويساعدني في شفاء ألمي، لكن هيهات، ضاعت معالم البلدة، وتلاشى المشهد الذي كنت أُعول عليه ليُعزِّبني.. لم أفقد موطني فحسب، بل ومسقط رأسي أيضًا. إذن هأنذا أجدني في مكان لا أنتمي إليه.

كنت لا أزال، بمعنى من المعاني، غير موجود، عالقًا بين عالمين، لم تُقِرّ الحكومة اليابانية رسميًّا بعودتي إلى اليابان، فكنت رسميًّا «لا أعيش» هنا. حياةُ «دون عيش»، يبدو أنَّ هذه هي لعنتي.

Telegram:@mbooks90

رغم أنَّ الحياة صارت أسهل بكثير فيما يخص الحصول على الاحتياجات الأساسية، كانت بعض الأشياء البسيطة لا تزال تؤرَّقني، فعندما أتناول شيئًا يُعدُّ طعامًا رئيسًا في اليابان –أبسط بكثير مما يتناوله معظم اليابانيين، فلنقل الأرز العادي – أنظر إليه وأتساءل عن عدد الوجبات التي سيوفرها في كوريا الشمالية، وليس عدد الوجبات فحسب، بل عدد الأيام التي يمكن أن يطعمنا خلالها. والمشكلة هي أنَّ مثل هذه الخواطر تجعل الأكل مستحيلًا بالنسبة إليَّ؛ لأن قلبي يَعتصِر حزنًا، وعندما يحدث هذا، أتدرون ما أفعله؟ أذهب إلى المحيط وألقي بالبقية للنوارس، أريد أن أمنح أتدرون ما أفعله؟ أذهب إلى المحيط وألقي بالبقية للنوارس، أريد أن أمنح النوارس، وفي قلبي، يطيرون بها إلى أسرتي.. وأنتحب.

عرَفْتُ مِن رسالة أُرسلت منذ مدة طويلة أنَّ زوجتي ماتت، ودُفنت عرَفْتُ مِن رسالة تلقيتُها من «ميونغ هوا» على جانب جبل في «هامجو»، وآخر رسالة تلقيتُها من «ميونغ هوا» على جانب خريف 2005.

"ساعدني! أريد أن أعيش معك، لا أملك شيئًا إطلاقًا، لديَّ طفلان، الماعدني الثانية من عمره، والآخر في الخامسة».

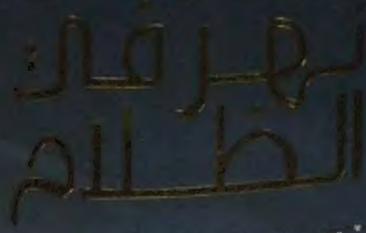
اضطربت أيّما اضطراب، إذ لم يكن لديّ ما يكفي من المال لإرساله الهمالة مُرتزَقي عندئذ، فبحثت عن عمل آخر على الفور ووجدت علا في مصبغة بمكان قريب من برج «طوكيو». عملت فيها شهرًا واحدًا، اساعات طويلة، من الخامسة صباحًا إلى الواحدة ظهرًا، وحالما ثلثيت أُجْري، قصدت مكتب بريد «طوكيو» وأرسلت لها مئة ألف ين. ولاحقًا، تلقيت رسالة من «هو سون» يخبرني بأنها ماتت من الجوع، كانت في أواخر العشرينيات من عمرها، والمال الذي أرسلته كان متأخرًا. هو تشول، يبحث عن عمل في منطقة تعدين قحم مع أطفاله الأربعة، مو نشول، يبحث عن عمل في منطقة تعدين قحم مع أطفاله الأربعة، مأنقطعت الرسائل فجأة. لم أتمكن من النوم أكثر من ساعات قليلة منطقة منذئذ، ما زلتُ آمل أن أنقذ أطفالي الباقين. إنها لعنة فظيعة ألا أعرف حتى إذا كانوا على قيد الحياة، لكنني أعتقد أنهم أحياء، وعليّ أن أعقد هذا، وإلاً فلن أستمر في الحياة.

غالبًا ما أفكر بما كان لِيحدث لي إذا بقيت في كوريا الشمالية، لَمُتُ من الجوع على الأرجح، لكن على الأقل لَمُتُ بين يدي أحدهم وعائلتي مجتمعة حولي، ولتمكّنا من توديع بعضنا.. ما فرصة حدوث هذا الآن؟ يتحدث الناس عن الله، ورغم أنني لا أراه بنفسي، ما زلت أصلي من أجل نهاية سعيدة.

عن المؤلف

وُلد «ماساجي إيشيكاوا» عام 1947 في «كاواساكي» باليابان، وانتقل مع والديه وشقيقاته الثلاث إلى كوريا الشمالية عام 1960 وهو بعمر الثالثة عشرة، حيث عاش حتى هربه عام 1996، وهو الآن يقيم في اليابان.

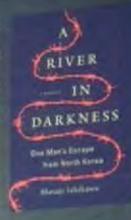
Telegram:@mbooks90



قصة حقيقية مُروّعة عن حياة رجل في كوريا الشمالية وهروبه منها لاحقًا.

عاش ماساجي إيشيكاوا، الكوري من جهة الأب والياباني من جهة الأم، حياته بأكملها وهو يشعر بأنه رجلُ بلا وطن. ولم يَرْدُدُ هذا الشعور إلَّا تعمَّقًا عندما انتقلت أسرته من اليابان إلى كوريا الشمالية، عندما كان إيشيكاوا في الثالثة عشرة من عمره فحسب، وصار دون رغبته ضمن أدنى طبقة اجتماعية. أغري والده، الكوري، بالذهاب إلى الدولة الشيوعية الجديدة يوعود توفر العمل والتعليم لأطفاله ومكانة رفيعة في المجتمع. لكن واقع حياتهم كان أبعد ما يكون عن اليوتوبيا.

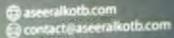
فى هذه السيرة الذاتية، يسرد إيشيكاوا صراحة نشأته المُضطربة والستة والثلاثين عامًا القاسية التي أمضاها في العيش في ظل نظام شمولي ساحق، علاوة على التحديات التي واجهها عند عودته إلى اليابان بعدما نجح بالكاد في النجاة بحياته والهروب من كوريا الشمالية. لا يُمثّل كتاب "نهر في الظلام" تصويرًا صادمًا للحياة في الدولة فحسب، لكنه أيضًا شاهد على شمو الروح البشرية وطبيعتها التي لا تُقهر.











- AseerAlkotb
 AseerAlkotb
- AseerAlkotb